الحياة البرزخية

من الموت إلى البعث

« وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد عبد الظاهر خليفة

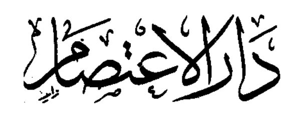


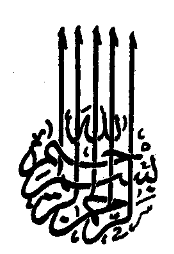


« وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ »

صاحب الفضيلة الشيخ

محمد عبد الظاهر خليفة







بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدتى الحنون ، وأمى الرءوم ، وهى الآن فى الدار البرزخية وفى عالم الموتى .

إلى من كانت سبباً فى تعليمى وتثقيفى ، وتأديبى وتهذيبى ، ومواسية لى بمالها ، ومشجعة لى بأقوالها وأفعالها .

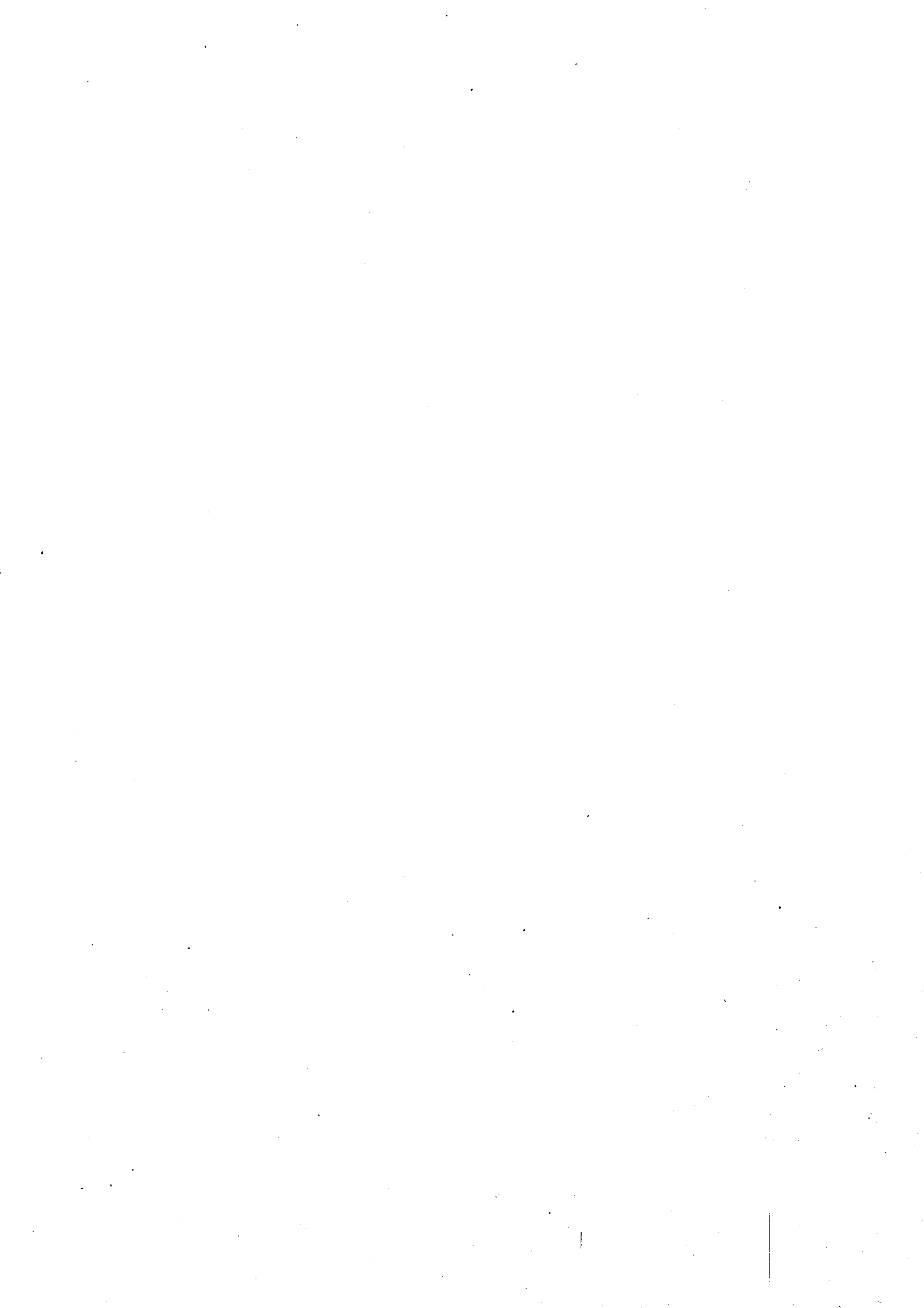
إلى من أهتف بإسمها ، وأفخر بذكرها ، وأترحم عليها ، ما دام فى جسمى عرق ينبض ، وروح يسرى .

أهدى هذا الكتاب المتواضع ، والمؤلف الوادع وهو :

ثمرة طيبة من ثمرات جهودها ، وقطف صالح من قطوف أعمالها الخالدة المباركة ، جزاها الله أحسن الجزاء ، وأسكنها جنة النعيم ، ومتعها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وإلى اللقاء – إن شاء الله – يا أحب الناس إلى بعد حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى عالم البرزخ ، وفى الدار الآخرة : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » .

ابنك البار

محمد عبد الظاهر خليفة عوض يوسف



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير للمؤلف

حمداً لك يا رب وشكراً ، ومغفرة منك ، ورحمة لعبادك المؤمنين المذنبين ، الذين فارقوا الحياة ، وتركوا الدنيا وراءهم ظهرياً ، فأصبحوا من سكان القبور ، ومن أهل البرزخ إلى يوم البعث والنشور .

وصلاة وسلاماً على حبيبك محمد الذى اخترته لجوارك ، بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الناس إلى صراط مستقيم ، والذى خاطبته بقولك الحكيم فى كتابك الكريم : « **إنك ميت وإنهم ميتون**(١) » .

ورضواناً منك إلى آله وأصحابه ، ومن سلك هداهم إلى يوم الدين .

(وبعد) فإن لكل نفس فى حياتها الدنيوية والأخروية دوراً أربعاً ، كل دار منها أعظم من التى قبلها وأطول زمناً من سابقتها .

والله عز وجل ينقل النفس فى هذه الدور من حال إلى حال حتى يبلغها دار القرار التى لا يصلح لها غيرها ، ولا يليق بها سواها وهى التى خلقت لها ، وهيئت للعمل الموصل إليها .

وللنفس فى كل دار شأن غير شأن الدار الأخرى ، فسبحان من أبدع وصور ، وخلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأمات وأحيا .

وهاك الدور مرتبة داراً بعد دار من أول نشأة الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) سورة الزمر آية ٣٠ .

الدار الأولى : (بطن الأم) : فالجنين فى بطن أمه تغشاه ظلمات ثلاث (ظلمة البطن ، وظلمة الرحم(١) ، وظلمة المشيمة(٢)) ، وهو فى هذه الدار ينتقل فى تكوينه من خلق إلى خلق ، فمن نطفة إلى علقة ، ومن علقة إلى مضغة ، ومن مضغة إلى عظام عارية من اللحم إلى مكسوة لحماً إلى مخلوق بديع قد دبت فيه الحياة ، وسرت فيه الروح سريان الماء فى العود الأخضر ، وانبعثت فى كل أعضائه حتى أصبح بشراً سوياً ، ومخلوقاً عجيباً مصداق هذا قوله تعالى :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(٣) » .

هذه الدار أقصر الدور الأربع أمداً ، وأضيقها مجالا ، وأخفاها أثراً ، وأضعفها احتمالا .

الدار الثانية : دار الكفاح ، ودار العمل ، ودار عالمنا المشاهد الذى نعيش فيه ، والذى كلفنا فيه بتكاليف مستطاعة لنا إذا نحن قمنا بها على الوجه الأكمل سعدنا فى دنيانا وأخرانا ، وإذا أهملناها ، وطرحناها خلف ظهورنا خسرنا خسراناً مبيناً ، وضللنا ضلالا بعيداً .

هذه الدار مدتها أطول من الأولى ، ومجالها أوسع ، وآثارها أشهر وأظهر فمن آثارها :

أشجار باسقة ، وقصور عالية ، وقطر تسير ، وطائرات تحلق فى الجو وتطير ، وأقمار صناعية ، وسفن فضائية ، وصل بها رواد الفضاء إلى القمر

---

(١) الرحم : مكان تكوين الجنين ونموه ، وهو تجويف كمثرى الشكل موضوع بين المستقيم والمثانة رأسه متجه إلى أسفل ويسمى عنق الرحم وقاعدته متجهة إلى أعلى .

(٢) المشيمة (بفتح الميم وكسر الشين) : غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة ، ويقال لها : الكيس والغلاف ، وهى داخل الرحم ، فالجنين يكون داخل المشيمة ، والمشيمة داخل الرحم ، والرحم داخل البطن .

(٣) سورة المؤمنون الآيات : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الطبيعى لمعرفة أسراره وعجائبه . إلى غير ذلك من المخترعات الحديثة التى أدهشت العالم . وحيرت الأفكار . واستولت على المشاعر . وأخذت بمجامع القلوب .

الدار الثالثة : دار البرزخ : الذى يبتدئ بالموت ، وينتهى بالبعث قال الله تعالى : « **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون(١)** » .

ونسبة هذه الدار إلى الثانية كنسبة الثانية إلى الأولى . فيمكنك أن تعد مدة الأولى بآحاد الشهور ، ومدة الثانية بعشرات السنين . ولكنك فى هذه الدار لك أن تعدها بمئات السنين والقرون ، وفى هذه الدار تكون ضغطة القبر وضمته ، ونوره وظلمته ، واتساعه وضيقه ، ودخانه وخضرته . وسؤاله وامتحانه ، وعذابه ونعيمه .

فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

وفى هذه الدار البرزخية تنطلق الروح(٢) إلى الرحاب الأوسع . والملأ الأعلى ، وتسبح فى ملك الله حيث أراد الله لها وقدر لأن البدن كالسجن أو القفص والروح محبوسة فيه ، وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها . وتأنس بها ، وتشعر باللذة والألم ، والنعيم والعذاب .

وقد يأذن الله لها وهى فى عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله أو بعضه اتصالا برزخياً يشبه اتصال أشعة الشمس ، وأضواء القمر بالعوالم الأرضية ، وهو اتصال إشراق وإمداد . فيشعر البدن بالنعيم أو العذاب . ويسمع ويجيب

هذه الدار بالذات (الدار البرزخية) قد وجهت عنايتى إلى التأليف فيها ،

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٠ ، والبرزخ كما فى مختار الصحاح لأبى بكر الرازى هو : الحاجز بين الشيئين وهو أيضاً ، ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

(٢) الروح (بضم الراء) ما به حياة البدن يذكر ويؤنث فيقال : روح طيب وروح طيبة ، وروحه فاضت إلى ربها وفاض إلى ربه ، وقد ألفت رسالة فيما يجوز تذكيره وتأنيثه أسميتها الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معاً فى العربية ، وقد طبعتها فى سنة ١٣٧٢ هـ — الموافق ١٩٥٢ م حينما كنت مدرساً بمعهد سوهاج الدينى . فارجع إليها إذا شئت فإنها تفيدك بإذن الله ، والله الموفق والمعين .

والذى دعانى إلى ذلك هو : أننى كنت ألقى دروساً فى علم التوحيد على طلاب العلم ببلدتى المسماة بالشيخ عيسى . والتابعة لمحافظة ومركز قنا .

ولما حان وقت سفرى إلى القاهرة لأطلب العلم فى كليه الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف . وكان ذلك فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية . وقفت(١) نفسى عن إلقاء هذه الدروس . وصادف أن كان هذا الوقف عند الكلام على القبر وأحواله .

ولما دخلت الكنانة(٢) بمشيئة الله وإرادته آمناً مطمئناً . واستقرت لى النوى(٣) وطاب لى المقام فيها أحببت أن أقرأ . وأبحث فى كتب التوحيد والتفسير والحديث والمجلات الدينية وغيرها بدار الكتب المصرية وسواها عن كل ما يتعلق بالدار البرزخية فشاء الله لى ذلك . وخرجت من هذه القراءة . وذلك البحث بمحصول كبير دونته فى كراسة بخط يدى .

وكم كنت تواقاً إلى طبع ما دونته فى حينه غير أنى كنت فى هذا الأوان(٤) خاوى(٥) الوفاض . بادى(٦) الإنفاض . لا أملك من النشب(٧) نقيراً(٨) .

---

(١) قال صاحب المصباح المنير فى مادة (وقف) : ووقفت الرجل على الشىء وقفاً منعته عنه ، وأوقفت الدار والدابة لغة تميم ، وأنكرها الأصمعى وقال : الكلام وقفت بغير ألف ، وأوقفت عن الكلام بالألف أقلعت عنه ، وكلمنى فلان فأوقفت أى أمسكت عن الحجة عياً ، وحكى بعضهم ما يمسك باليد يقال فيه : أوقفته بالألف وما لا يمسك باليد يقال : وقفته بغير ألف .

والفصيح : وقفت بغير ألف فى جميع الباب إلا فى قولك : ما أوقفك ههنا وأنت تريد أى شأن حملك على الوقوف فإن سألت عن شخص قلت : من وقفك بغير ألف ؟

(٢) الكنانة : (بكسر الكاف المراد بها هنا مصر) .

(٣) النوى : أى الجهة التى ينويها المسافر وهى مؤنثة لا غير .

(٤) الأوان : هو الحين والوقت جمعه آونة مثل زمان وأزمنة .

(٥) خاوى الوفاض : أى فارغ المكان الذى يمسك الماء ، والوفاض أيضاً الجلدة التى توضع تحت الرحى ليتجمع عليها الدقيق .

(٦) بادى : أى ظاهر ، والإنفاض : مصدر أنفض كناية عن فناء الزاد والمال .

(٧) النشب (بفتح النون والشين) : المال .

(٨) النقير هو : النقرة التى تكون فى ظهر النواة ، ومنها تنبت الشجرة .

ولا من المال قطميراً(١) ، وكما يقال فلان ماله سبد ولا لبد(٢) .

ولما وجد المال شاء الله وما تشاءون إلا أن يشاء الله تأجيل طبعه إلى أجل غير مسمى لظروف طارئة ، وأسباب قاهرة ، ومنذ عامين اثنين أخذت أزيد فيه وأنقح ، وأغير وأبدل فزاد المحصول وصدقت العزيمة وتأكدت على طبعه بعد تيسير الله ، وتسهيل سبله إياى فقمت بطبعه والحمد لله ، وخرج اليوم للناس بثوبه القشيب المتواضع ولباسه الجديد الوديع وهو جهد المقل آخذاً مكانه فى عالم المؤلفات ، ومجاله فى ميادين المطبوعات ، وقد أسميته (الدار البرزخية من الموت إلى البعث) .

فما أحوج الناس فى هذا العصر الذى طغت فيه المادة وألهتهم مفاتن الحياة وزخارفها عن ذكر الموت هازم اللذات ومفرق الجماعات ، وميتم البنين والبنات إلى مثل هذا اللون من التأليف الذى يرقق القلوب ، ويستهوى الأفئدة ويؤثر فى النفوس تأثيراً بليغاً ، ويحملهم على إعداد أنفسهم للحياة الباقية ، والدار الآخرة .

الدار الرابعة : دار الجزاء ، ودار الخلود ، ودار البقاء ، ودار الحياة الحقيقية المعبر عنها بقوله تعالى :

« **وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** »(٣) .

أى لهى الحياة الحقة الكاملة ، والتامة الباقية .

هذه الدار لا تعد بآحاد الشهور ولا بعشرات الأعوام ولا بمئات القرون والأجيال فليست لها مدة معدودة ، ولا نهاية محدودة ، نعيمها يبقى ولا يفنى ، يدوم ولا يزول :

---

(١) والقطمير هو : القشرة الرقيقة التى تكون على النواة كاللفافة لها .

(٢) فى القاموس ، وشرحه تاج العروس فى مادة (سبد) ومن ذلك قولهم : فلان (ما له سبد ولا لبد محركتان : أى لا قليل ولا كثير) وهذا قول الأصمعى ، وهو مجاز : أى لا شىء له ، وفى اللسان : أى ما له ذو وبر ولا صوف متلبد يكنى بها عن الإبل والغنم ، وقيل : السبد من الشعر ، واللبد من الصوف اهـ .

أقول ما ذكرته من رقم ٥ إلى ١٠ كنايات عن أنى لا أملك شيئاً من المال ، وأنى فقير معدم فى هذا الوقت .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٤ .

» . . . أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار«(١) .

« فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

هذا لمن مات مسلماً . وبربه موحداً . ولنعمه شاكراً . وبكتبه ورسله ، وملائكته واليوم الآخر مؤمناً مصدقاً . أما من مات كافراً بمولاه وخالقه والعياذ بالله . فهو المطرود من رحمة الله . وله نكال أليم ، وعذاب مقيم ، وجهنم وبئس المصير .

« إن الذين كفروا لو أن لهم مافى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم »(٢) .

هذه الدار دار السعادة الأبدية ، كما أنها دار الشقاوة السرمدية .

« فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ »(٣) .

فاللهم اجعلنا من عبادك السعداء الموفقين ، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء المحرومين ، واهدنا صراطك المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ، والله أسأل أن يكتب لمؤلفي هذا القبول والتمكين ، والنظر إليه بعين الرضا والتقدير لا بعين السخط والتحقير .

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
كما أَنّ عينَ السُّخطِ تُبْدِى الْمَسَاوِيَا(٤)

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) سورة هود عليه الصلاة والسلام الآيات رقم : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومعنى غير مجذوذ : (أى غير مقطوع) أى أن هذا العطاء فى الجنة دائم لا ينقطع أبداً .

(٤) هذا البيت من بحر الطويل وهو للإمام الشافعي رحمه الله (محمد بن إدريس بن العباس

وأن يغرس فيه البركة . والنفع العام لقارئيه . والمطلعين عليه . وأن يجعله من الكلم الطيب . والعمل الصالح :

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »(١) .

وأرجو من قرائه الكرام أن يغضوا النظر عن هفواته وزلاته . وسقطاته وأخطائه . فإن العصمة لله وحده . والكمال لله رب العالمين . والرشاد والسداد منه ، والتوفيق به

« وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »(٢) .

• • •

ابن عثمان بن شافع الهاشمي المطلبي من بني المطلب بن عبد مناف يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ) .

(١) سورة فاطر آية : ١٠ (أي خالق) .

(٢) سورة هود آية : ٨٨ .

مقدّمة

اعلم وفقك الله تعالى أنى قسمت كتابى هذا إلى أربعة أقسام ، وخاتمة .

القسم الأول : فى الكلام عن أحوال الإنسان من احتضاره إلى أن يوضع فى قبره .

القسم الثانى : فى الكلام عن أحوال الميت من وضعه فى لحده إلى أن يبعث من قبره .

القسم الثالث : فى البحث عما ينفع الميت من الأعمال التى تسبب هو فيها فى حياته ، أو تسبب فيها غيره بعد مماته ، ومالا ينفعه من الأعمال التى يفعلها أهله فى جنازته ومأتمه ومقبرته مما يخالف الدين ، ويتنافى مع سماحة الإسلام .

القسم الرابع : فى التحدث عن الساعة وعلاماتها ، وعن النفخ فى الصور ، وعن البعث وأدلته ، وشبه المنكرين له ، والرد عليهم وغير ذلك .

أما الخاتمة فقد جعلتها فى ذكر فوائد منثورة ، ومنافع مبعثرة هنا وهناك ولكنها لا تخرج عن موضوعنا ، ولا عن مقصودنا من وضع هذا الكتاب .

وفى كل هذا المتقدم أذكر فى المناسبات المواتية تراجم من جاء بكتابى هذا .

من ساداتنا الأجلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصفياء ، وأتباعهم الأتقياء رضوان الله عنهم أجمعين وغيرهم من سلفنا الصالح وعلمائنا الأماثل .

وأتحدث عن بعض البقاع والأماكن ، وأشرح الألفاظ التى تحتاج إلى الشرح ، وأضبط فى كثير من الأحيان الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ،

وغيرها مع تخريج بعض الأحاديث ولو أتيحت لى فرصة طبع هذا الكتاب مرة ثانية لعملت إن شاء الله على تخريج بقية الأحاديث التى لم أخرجها فى هذه الطبعة ، والله الموفق والمعين .

غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٣ هـ
٤ من إبريل سنة ١٩٧٣ م .

المؤلف
محمد عبد الظاهر خليفة
المفتش بالأزهر

• • •

القسم الأول

من احتضار الإنسان إلى أن يوضع فى القبر

الإنسان فى حالة الاحتضار(١) :

قدر الله لكل نفس فى هذه الحياة الدنيوية أوقاتاً محدودة ، وأنفاساً معدودة . وجعل لها أجلا مكتوباً لا تتعداه ولا تتخطاه ، ولا تتقدم عليه ، ولا تتأخر عنه :

« فإذا جاء(٢) أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

حَيَـاتُكَ أَنفـاسٌ تُعَـد فَكُلَّمَا
مَضَى نَفَسٌ منكَ انتقَصْتَ به جُزْءَا

---

(١) فى المصباح المنير للفيومى : حضره الموت واحتضره = أشرف عليه فهو فى النزع .

وفى غير المصباح : المحتضر (بضم الميم وفتح الضاد) اسم مفعول من احتضر : أى من حضرته مقدمات الموت ؛ أو من حضره الموت وحل به وعلاماته :

١ – استرخاء قدمى المحتضر .

٢ – واعوجاج أنفه .

٣ – وانخساف صدغيه .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣٤ ، سورة النحل آية : ٦١ ، والمراد من الساعة فى هذه الآية الكريمة اللحظة القليلة من الزمن .

وبهذه المناسبة يطيب لى أن أذكر هنا خلاصة عما قيل فى المقتول : هل هو ميت بانقضاء أجله الذى قدره الله له أو بغير أجله ؟ فأقول : وبالله التوفيق . –

الأجل : هو الوقت الذى تبطل فيه الحياة من غير تقدم ولا تأخر .

وأنه لا نزاع بين أهل السنة والمعتزلة (فرقتين مشهورتين من علماء التوحيد) فى أن بطلان الحياة بالموت واقع فى الأجل الذى قدره الله ، وإنما النزاع بينهم فيما إذا كان بطلان الحياة بالقتل . فأهل السنة والجماعة يقولون :

إن المقتول ميت بانقضاء أجله ، وانتهاء عمره فى الوقت الذى علم الله حصول موته فيه أزلا بخلقه تعالى من غير مدخلية فيه للقاتل .

فبينما يتمتع الإنسان بصحته ، وينعم بعافيته ؛ ويرتع ويلعب ، ويصول ويجول ويتيه عجباً ، ويشمخ أنفاً ، ويقوم ويقعد ، ويأمر وينهى .

إذ بمرض الموت قد هجم عليه هجوم الأسد على فريسته ، فيضعف جسمه ، ويخفت صوته ، وترتخى مفاصله، وتضمحل قواه ، حتى إذا ما قرب انقضاء أجله ، وأزفت حياته على الانتهاء وأوشكت على الزوال ؛ ودقت ساعة الخطر معلنة بأنه سيرتحل عن دنياه ، وستطوى صحف أعماله ، ضعفت دقات قلبه ، واصفر وجهه ، واسترخت قدماه ، واعوج أنفه ، وغارت عيناه ، وانخسف صدغاه ، وشوش عقله ، وأبكم لسانه ، وثقل سمعه ، وضعف بصره .

وهنا فى هذه اللحظة الرهيبة ، وفى هذا الوقت العصيب يأتى إبليس اللعين فيتمثل أمام هذا الإنسان المحتضر ، ومعه شيطان آخر بصورة والديه ، أحدهما يكون عن يمينه ، والآخر عن شماله .

= وإنما وجب القصاص على القاتل نظراً للكسب الذى عنده (وهو : صرف العبد قدرته المخلوقة فيه نحو العزم المصمم على الفعل ، وبعد وجود هذا العزم منه يخلق الله الفعل بحسب جرى العادة) .

فالأجل عند أهل السنة واحد لا يقبل الزيادة والنقصان لقوله تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

فقد أخبر الله فى هذه الآية وأمثالها بأن الكل ميت بأجله من غير زيادة ولا نقصان ، ولم يفرق بين الموت والقتل .

ولا يعارض هذه الآية القاطعة ما ورد فى الحديث النبوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : (إن الصدقة والصلة تعمران الديار ، وتزيدان فى العمر) لأن هذا الحديث خبر آحاد فلا يقوى على الآية التى خبرها قاطع وثابت بطريق التواتر أو نقول : إن الزيادة فى الحديث بحسب الخير والبركة : أى أن الله يبارك فى عمر المتصدق والذى يصل أرحامه فى عمره بفعل الخير ، والعمل الصالح وقيل غير ذلك .

وجمهور المعتزله يقولون : إن المقتول له أجل واحد وهو الوقت الذى علم الله موته فيه لولا القتل ، فلو لم يقتل لعاش إليه قطعاً فالقاتل عندهم قطع على المقتول أجله .

واستدلوا بقوله تعالى فى سورة آل عمران : « ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون » .

وقالوا فى استدلالهم بهذه الآية : إن العطف يقتضى المغايرة فالقتل غير الموت .

ورد عليهم أهل السنة ، بأن معنى هذه الآية : ولئن متم من غير سبب أو قتلتم بأن متم بسبب لتحشرون إلى الله فى يوم القيامة فى الموقف العظيم .

ورأى أهل السنة هو الصواب والله أعلم .

فالذى عن يمينه يكون على صفة أبيه يقول له : (يا بنى إنى كنت عليك شفيقاً ، ولك محباً ، ولكن مت على دين النصارى وهو خير الأديان) .

والذى عن شماله يكون على صورة أمه يقول له : (يا بنى كان بطنى لك وعاءاً ، وثديى لك سقاء وفخذى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود ، وهو خير الأديان) .

ذكر هذا أبو الحسن الفاسى المالكى ، وذكر الإمام الغزالى :

أن الشياطين يأتون المحتضر على صفة أبويه فى زى يهود ونصارى ، حتى يعرضوا عليه كل ملة .

ولإبليس فتن أخرى منها :

أنه يأتى للمؤمن المحتضر فى حالة النزع بقربة خضراء فيها ماء بارد . وهو فى كرب شديد ، وكبده قد احترق من شدة العطش فيقول له اللعين .

« قل كذا وكذا حتى أسقيك ، ويتحول من جهة إلى أخرى ، ويريه الماء » فمن كان من أهل السعادة ثبته الله ، ومن كان من أهل الشقاوة اتبع الشيطان الرجيم .

وقد أجاب الحافظ السيوطى عن مثل هذا قائلا : (فى إتيان الشيطان المحتضر إلى آخره لم يرد فى السنة بل ورد ما يقرب منه وهو حديث أبى نعيم) .

(احضروا موتاكم ، ولقنوهم لا إله إلا الله ، وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع) .

وفى حديث مرسل(١) جيد الإسناد : (أقرب ما يكون عدو الله من الإنسان ساعة طلوع روحه) .

تلقين المحتضر وحكمته :

ولهذه الفتن وغيرها شرع تلقين المحتضر يقول من بجواره (لا إله إلا الله)

---

(١) الحديث المرسل : هو ما سقط من آخر إسناده الصحابى .

لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لقنوا موتاكم(١) لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار) أخرجه الجماعة إلا البخارى . ولقوله (عليه الصلاة والسلام) : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

أى مع الفائزين رواه الإمام أحمد . وأبو داود . والحاكم وصححه عن معاذ ابن جبل(٢) .

ولا يشدد عليه فى التلقين مخافة أن ينطق بكلام غير لائق . ويقرأ عنده صورة الرعد لأنها تسهل عليه خروج الروح ، وسورة يس لما روى فى سنن أبى داود أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (اقرءوا على موتاكم يس) .

والحكمة فى قراءتها أن أحوال القيامة والبعث مذكورة فيها فإذا قرئت عند المحتضر تجدد له ذكر الأحوال المتقدمة . وفيها البشرى بالجنة لأهل التوحيد فى قوله تعالى :

« يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .

ويسن توجيه المحتضر إلى القبلة مضطجعاً على شقه الأيمن متى أمكن ذلك ، وليقل من كان عنده خيراً فإن الملائكة يحضرون فى هذه الساعة . ويؤمنون على ذلك .

---

(١) المراد بالموتى هنا : (من قرب موتهم) بدليل قوله عليه الصلاة والسلام بعد هذا : (فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار) ، وحديث : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ، والنسائى عن عبد الله بن جعفر وعائشة والطبرانى رضى الله عنهم ، عن ابن عباس وابن مسعود ، والبزار عن جابر بن عبد الله ، وابن أبى الدنيا فى المحتضرين عن حذيفة وعمر وعثمان وأنس بن مالك اهـ من كتاب : (الأزهار المتناثرة للسيوطى)

(٢) معاذ بن جبل : هو سيدنا معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى من خيار الصحابة وكرام الأنصار ، وسادة الخزرج .

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فى فضله : (أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل) ، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن وجعل إليه القضاء ، وتعليم القرآن والشرائع ، وجمع الصدقات من العمال ، وحديثه فى العمل بالاجتهاد بعد الكتاب والسنة مشهور . وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة ، ومات فى سنة ١٩ هـ فى طاعون عمواس بأرض الشام عن ٣٨ سنة .

فقد روى عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون) .

قالت : فلما مات أبو سلمة(١) أتيت النبى (صلى الله عليه وسلم) فقلت : يا رسول الله : إن أبا سلمة قد مات قال : (قولى : اللهم اغفر له ، واعقبنى منه عقبى حسنه) فقلت : فأعقبنى الله من هو خير لى منه محمداً (صلى الله عليه وسلم) . (رواه مسلم)

هذا وإن المحتضر ليشاهد الملائكة ويراهم ، وقد يسلمون عليه ، ويرد عليهم تارة باللفظ وتارة بالإشارة ، وتارة بالقلب ، وذلك عند عدم التمكن من النطق والإشارة ، ثم يجلسون عنده يتحدثون ، وأهل الميت وغيرهم لا يبصرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون مصداق هذا قوله تعالى فى سورة الواقعة : « **فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** » .

قبض الروح ، وصعودها إلى السماء ثم هبوطها ، ثم اتصالها بجسدها إلى غير ذلك :

تكفل بشرح هذا الموضوع شرحاً مستفيضاً الحديث العظيم المشهور حديث البراء(٢) بن عازب رضى الله عنه وغيره .

---

(١) أبو سلمة هو : عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومى الصحابى الفارس ، وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه برة بنت عبد المطلب) وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب . كان من السابقين الأولين فى الإسلام ، هاجر مع زوجته هند بنت حذيفة الملقب بزاد الراكب إلى الحبشة وهناك فى الحبشة ولد لهما ابنهما سلمة (بفتح السين واللام) فكنيا به ، فقيل لعبد الله أبو سلمة ، ولهند أم سلمة ، ثم قدما مكة ، ثم هاجرا إلى المدينة ، وشهد أبو سلمة بدراً وأحداً ومات شهيداً بأحد بعد جهاد عظيم وبلاء حسن ، وبعد أن خلف من أم سلمة أربع أولادهم سلمة (ولد بالحبشة) وعمر ودرة وزينب (ولدن بالمدينة) .

(٢) البراء (بفتح الباء والراء مخففة) : هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدى أنصارى خزرجى ، وصحابى ابن صحابى ، نزل الكوفة ومات بها سنة ٧٢ هـ أيام مصعب بن الزبير عن ٨٢ سنة وله عقب .

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش(١) عن المنهال(٢) ابن عمرو عن زا(٣) ذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر (مرتين أو ثلاثاً) ثم قال:

إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة. اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان – قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين. حتى يأخذوها،

= وأمه حبيبة بنت أبى حبيبة بن الحباب، أنصارية خزرجية، كان البراء يوم غزوة الخندق ابن خمس عشرة سنة، ولم يجز قبلها لصغر سنه.

قال البراء: استصغرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وعبد الله بن عمر فردنا يوم بدر، وكان يقول: أنا وعبد الله لدة (أى مستويان فى السن).

(١) الأعمش هو: سليمان بن مهران الأسدى الكوفى التابعى لقب بالأعمش لعمش فى عينيه: (أى ضعف فى عينيه مع سيلان الدموع فى أكثر الأوقات).

كانت ولادته هو وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عروة بن الزبير، وابن شهاب الزهرى فى شهر المحرم سنة ٦١ هجرية، وكان من أقرأ الناس للقرآن، وأعرفهم بالفرائض، وأحفظهم للحديث، كما كان من العلماء العاملين بالعلم، المقبلين على الله وعلى الآخرة، وكان أيضاً نظيف الخلق مزاحاً.

(٢) المنهال بن عمرو: أحد الثقاة العدول، قال ابن معين: المنهال ثقة، وقال العجلى: المنهال كوفى ثقة.

(٣) زاذان (بزاى ثم ألف ثم ذال بعدها ألف ونون): الكندى الثقة، روى عن أكابر الصحابة كسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره، فهو تابعى، روى له مسلم فى صحيحه، وثقه ابن معين وغيره.

فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له . فيفتح له فيشيعه فى كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربى الله : فيقولان له ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام : فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

وقال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح(١) فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال — فتفرق فى جسده — فينتزعها كما ينتزع السفود(٢) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده

---

(١) المسوح (بضم الميم) جمع مسح (بكسر الميم وسكون السين) : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد .

(٢) السفود (بتشديد السين مع الفتح ، وتشديد الفاء مع الضم) : حديدة يشوى عليها اللحم جمعه سفافيد .

طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « . . . **لاتفتح لهم أبواب السماءولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط**(١) » فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً — ثم قرأ : « . . . **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق**(٢) » . فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه(٣) لا أدرى فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فافرشوا(٤) له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه . قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد فيقول : ومن أنت ؟ فوجهك الوجه يجىء بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة ، يتمنى عدم قيام الساعة لأنه يعلم أن مصيره إلى النار .

قال ابن القيم فى كتاب الروح :

هذا (أى حديث البراء بن عازب المتقدم) حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلا من أصول الدين .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٤٠ .

(٢) سورة الحج آية ٣١ .

(٣) هذه الكلمة تقال للتوجع فتكون الهاء الأولى مبدلة من همزة آه يقال : تأوه وتهوه آهة وهاهة .

(٤) فرشت البساط وغيره فرشاً من باب قتل وفى لغة من باب ضرب بسطته وفرشته فافترش اهـ مصباح .

١ – فى عذاب القبر ونعيمه . ٢ – ومساءلة منكر ونكير .
٣ – وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدى الله ثم رجوعها إلى القبر .

وقول أبى محمد (ابن حزم) لم يروه غير زاذان فوهم منه ، بل رواه عن البراء غير زاذان فرواه عنه عدى بن ثابت ، ومجاهد بن جبير ، ومحمد ابن عقبة وغيرهم .

وقد جمع الدارقطنى طرقه فى مصنف مفرد .

وزاذان من الثقاة روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره ، وروى له مسلم فى صحيحه ، قال : يحيى بن معين ثقة وقال حميد بن هلال : وقد سئل عنه هو ثقة لا تسأل عن مثل هؤلاء ، وقال ابن عدى : أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة .

وقوله : إن المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهى قوله : (فتعاد روحه فى جسده) وضعفه فالمنهال أحد الثقاة العدول :

قال ابن معين : المنهال ثقة ، وقال العجلى : كوفى ثقة .

وأعظم ما قيل فيه : أنه سمع من بيته صوت غناء ، وهذا لا يوجب القدح فى روايته ، واطراح حديثه .

وتضعيف ابن حزم له لا شىء فإنه لم يذكر موجباً لتضعيفه غير تفرده بقوله : (فتعاد روحه فى جسده) وقد بينا أنه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره ، وقد روى ما هو أبلغ منها أو نظيرها كقوله : (فترد إليه روحه) وقوله : (فتصير إلى قبره فيستوى جالساً) .

وقوله فيجلسانه ، وقوله فيجلس فى قبره .

وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها .

وقد أعل غيره بأن زاذان لم يسمعه من البراء ، وهذه العلة باطلة .

فإن أبا عوانة الأسفرايينى رواه فى صحيحه بإسناده ، وقال عن أبى عمرو زاذان الكندى قال : سمعت البراء بن عازب .

وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده : هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء .

ولو نزلنا عن حديث البراء فسائر الأحاديث الصحيحة صريحة فى ذلك مثل حديث بن أبى ذؤيب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة الخ (انتهى) .

إدراج الروح بين الكفن والجسد ، وسماع الميت الكلام ، ومعرفة من يحمله ، ومن يغسله ، ومن يدليه فى قبره :

اعلم أن الميت إذا غسل وكفن أدرجت روحه بين الكفن والجسد ، فإذا دفن ردت فيه الروح ، يشهد لذلك ما رواه الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه :

إن الملائكة ترفع الأرواح حتى توقفها بين يدى الله عز وجل ، فإن كانت من أهل السعادة قال : سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها فى الجنة على قدر ما يغسل الميت .

فإذا غسل وكفن ردت ، وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام من تكلم بخير ، أو تكلم بشر ، فإذا وصل إلى المصلى ، وصلى عليه ، ودفن ردت فيه الروح ، وقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتانان (أى منكر ونكير) فيسألانه إلى آخر ما ورد .

دل هذا الحديث على أن الروح تعاد بين الجسد والكفن ، ولكن هذا العود غير التعلق الذى كان بالبدن فى الدنيا ، وغير تعلقها به فى حال النوم ، وغير تعلقها به فى القبر .

وروى الإمام أحمد فى مسنده من رواية رجل اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن الحارثى يحدث عن أبى سعيد الخدرى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : إن الميت يعرف من يحمله ، ومن يغسله ، ومن يدليه فى قبره ، بأن يدرك ذلك بسبب اتصال شعاع الروح به) .

فقال ابن عمر : وهو فى المجلس ممن سمعت هذا ؟ قال من أبى سعيد : فانطلق ابن عمر إلى أبى سعيد فقال : يا أبا سعيد ممن سمعت هذا ؟ قال : من النبى (صلى الله عليه وسلم) .

وأخرجه أيضاً ابن جرير فى تهذيبه عن أبى سعيد ، وفى إسناده من لم يعرف

عزرائيل

(عزرائيل) معناه بالعربية عبد الجبار — وهو أحد الملائكة الأربعة الرؤساء (جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) .

وهو ملك الموت ورسوله : وقابض جميع الأرواح بإذن الله ومشيئته . بعد أن تستوفى كل نفس رزقها وينقضى أجلها . سواء أكانت أرواح إنس وجن وملائكة أم أرواح بهائم وطيور وحشرات خلافاً للمعتزلة فإنهم قالوا : إن ملك الموت لا يقبض إلا أرواح الإنس والجن فقط .

روى الطبرانى وغيره أن ملك الموت قال : (والله لو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأذن بقبضها) .

وله أعوان عديدون يساعدونه فى أداء مهمته .

فقد أخرج بن جرير الطبرى وأبو الشيخ فى العظمة عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذى يلى قبض الأرواح ؟ قال : هو الذى يلى أمر الأرواح . وله أعوان على ذلك . غير أن ملك الموت هو الرئيس.

وهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع جداً . يترفق بالمؤمن ولا سيما الصالح المخلص . ويأتيه فى صورة حسنة ، ويجذب روحه بسهولة ولطف . ويخاطبها بكلام حسن فيقول لها : (اخرجى أيتها النفس (أى الروح) الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان . ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها حتى تخرج :

ويشتد بغير المؤمن . ويقول لروحه : (اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج) .

وهو الذى يقبض أرواح خلق كثيرين فى لحظة واحدة قد ماتوا جميعاً فى وقت واحد فى أماكن متعددة بأن تكون الدنيا كلها أمامه كالقصعة بين يدى الآكل يأخذ منها ما شاء .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لقى جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال : (يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوبا ؟ فهنا عشرة آلاف ، وههنا كذا وكذا ؟) . فقال له ملك الموت : (تزوى لى الأرض (أى تقبض وتجمع) حتى كأنهم بين فخذى فألتقطهم بيدى) .

وأخرج بن أبى الدنيا وأبو نعيم عن أشعث بن سليم (بالتصغير) قال : سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان فى وجهه ، وعينان فى قفاه فقال : (يا ملك الموت ما تصنع ؟ إذا كانت نفس بالمشرق ، ونفس بالمغرب ، ووقع الوباء بأرض ، والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال : (أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين . قال : ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست يتناول منها كيف يشاء) .

هذا وقد كان عزرائيل يأتى للناس عياناً إلى موت موسى عليه الصلاة والسلام ثم أتاهم خفية رحمة بهم ، وشفقة عليهم .

فقد أخرج الإمام أحمد والبزار والحاكم وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن ملك الموت كان يؤتى للناس عياناً (بكسر العين أى المشاهدة) فأتى موسى فى صورة آدمى فلطمه موسى ففقأ عينه ، فأتى عزرائيل ربه فقال : يا رب عبدك موسى فقأ عينى . ولولا كرامته عليك لشققت عينه قال : اذهب إلى عبدى فقل له : فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة . فأتاه .

فقال موسى للملك الموت : ما بعد هذا ؟ قال : الموت قال : فالآن ، فشمه شمة فقبض روحه ، ورد الله على عزرائيل عينه .

فكان بعد ذلك يأتى الناس خفية .

وهذا الحديث رواه أيضاً البخارى ومسلم موقوفاً على أبى هريرة من طريق طاووس ، ومرفوعاً إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) من طريق همام بن منبه (وهو أخو وهب بن منبه التابعى المشهور) .

قال الحافظ بن حجر وهذا هو المشهور عن عبد الرازق ، وقد رفع محمد ابن يحيى عن أبى هريرة رواية طاووس أيضاً (أخرجه الإسماعيلى) .

وهنا يسأل بعض الناس السؤال الآتى :

كيف أقدم موسى وهو نبى الله ورسوله على ضرب ملك الموت وفقء عينه حين أراد قبض روحه ؟

وأحسن جواب قيل :

إن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد أخبره ربه أنه لا يميته حتى يخيره. فلما جاءه ملك الموت أولا على غير هذا الوجه ظنه آدمياً قد تسور عليه منزله بدون إذن منه ليوقع به مكروهاً فبادر بلطمه تأديباً له ، ودفاعاً عن نفسه ، فأدت المدافعة إلى فقء عينه . فلما رجع إليه وخيره طبق ما عنده عرف أنه ملك الموت فاستسلم واختار الموت .

وعزرائيل آخر من يموت من الخلائق. وأما بقية الملائكة فإنهم يموتون عند النفخة الأولى إلا من شاء الله فمن جملة المستثنى الرؤساء الأربعة فهؤلاء يموتون بعد النفخة الأولى (نفخة الصعق) ويحيون قبل النفخة الثانية (نفخة البعث والإحياء) .

فإن قلت : قال الله تعالى فى سورة الزمر :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » .

وقال فى سورة السجدة :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » .

وقال فى سورة الأنعام :

« حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » .

فقد أسند التوفى إلى الله فى سورة الزمر وإلى ملك الموت (عزرائيل) فى سورة السجدة ، وإلى أعوان ملك الموت من الملائكة فى سورة الأنعام فكيف الجمع بين هذه الآيات الثلاث ؟

قلنا وجه الجمع بين هذه الآيات : أن المتوفى (بكسر الفاء المشددة) فى الحقيقة هو الله تعالى فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روح العبد . ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من

جسده . فينزعونها من العصب والعظم والعروق فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى ملك الموت قبضها بنفسه .

فحصل الجمع والتوفيق بين هذه الآيات والله أعلم .

رسل ملك الموت ونذره :

روى فى الحديث أن بعض الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) : قال لملك الموت . أما لك رسول تقدمه بين يديك ؟ ليكون الناس على حذر منك فقال : (نعم) .

والله لى رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب ، ونقص السمع والبصر . فإذا لم يتفكر من نزل به ذلك فى الموت ولم يتب : ولم يحصل الزاد ناديته عند قبض روحه .

ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ؟ ونذيراً بعد نذير ؟

فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير .

وفى الحديث أيضاً (ما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادى : يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد ، أذهانكم حاضرة . وأعضاؤكم قوية شديدة . يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد . يا أبناء الستين قد نسيتم العقاب وسوء الحساب) .

« أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » .

ذكره ابن الجوزى رحمه الله ، وكان الطبرى رحمه الله يقول : (النذير فى هذه الآية هو الشيب) .

وما أحسن قول القائل (من بحر الوافر) . :

رَأَيْتُ الشَّيبَ فى نُذُرِ الْمنَايا ... يُذكرُنِى بِعُمْر لى قَصِير
تَقُولُ النَّفْسُ غَيِّرْ لَوْنَ هَذَا ... عَسَاكَ تَطِيبُ فى عُمرٍ يَسِير
فَقُلْتُ لهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمرِ ... ى وَلسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِير

ويقول العلماء : موت الأهل والأقارب وغيرهم من الأحباب والأصحاب أبلغ فى التذير فى كل وقت وزمان .

الموت وسكراته(١) :

قال الله تعالى : **« وجاءت سكرة الموت بالحق »** . وقال تعالى : **« ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون »** وقال : **« فلولا إذا بلغت الحلقوم ... »** وقال جل شأنه : **« كلا إذا بلغت التراقى . . . »**

إعلم أن للموت ألماً لا يعلمه إلا من نزل به ، وسكرات لا يعرفها إلا من أحاط به الموت ، وغمرات مزعجات ونزعات للروح فظيعات . ويقال فى الأثر :

إن الموت أشد من ضرب بالسيوف ، ونشر بالمناشير ،وقرض بالمقاريض وذلك أن ضرب البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة فى البدن، ولذلك يستغيث المضروب ويصيح أما من نزل به الموت فإنه ينقطع صوته عن الصياح لضعف قوته ! فإن الموت قد هد كل جزء من أجزاء الجسم فلم يترك قوة للاستغاثة ، فإن بقى فيه بعض قوة سمع له عند نزع الروح وجذبها غرغرة من حلقه وصدره وقد اصفر لونه . وارتعدت(٢)فرائصه . وارتفعت الحدقتان والحصيتان إلى أعلى ، ومات كل عضو منه على حدته . وبسطت يداه إشارة إلى أنه خرج من الدنيا ولم يأخذ منها شيئاً .

ولكل عضو سكرة بعد سكرة . وكربة بعد كربة حتى تبلغ الروح الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، ويغلق دونه باب التوبة ، وتحيط به الحسرة والندامة .

---

(١) سكرات الموت : جمع سكرة وهى الشدة ومنه قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

(٢) ارتعدت : أى اضطربت ، وفرائصه : جمع لفريصة وهى لحمة بين الجنب والكتف ، أو بين الثدى والكتف ترعد وتضطرب عند الفزع والخوف .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على محتضر فقال : « إنى لأعلم ما يلقى ليس فيه عرق إلا وهو يتألم بالموت على حدته » .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : (ما أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم هون على محمد سكرات الموت) .

وروى أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : (يا خليلى كيف وجدت الموت ؟ قال : كسفود محمى جعل فى صوف رطيب مبلول ثم جذب قال : أما إنا قد هوناه عليك .

وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له ربه : (يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسى كالعصفور الحى يلقى على المقلاة لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير) . وفى رواية قال : (وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب أى الجزار) .

ولما حضرت الوفاة عمرو(1) بن العاص قال له ابنه عبد الله (يا أبتاه إنك كنت تقول لنا : يا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لنا ما يجد . وأنت ذلك الرجل ، فصف لى الموت فقال : (والله يا بنى كأن جنبى فى جب نار .وكأنى أتنفس من سم إبرة (أى ثقب إبرة) وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشد يقول :

ليتنى كنتُ قبل ما قد بدا لى ... فى قلال الجبال أرعى الوعولا

فتمنى عمرو بن العاص أنه كان يكون راعياً للتيوس الجبلية فى أعالى الجبال وقممها ، ولم يتول إمارة من الإمارات . ولم يتملك مالا من الأموال .

---

(1) عمرو بن العاص بن وائل السهمى رضى الله عنه (من بنى سهم بطن من بطون قريش) كان أسن من سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يقول : أذكر الليلة التى ولد فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم طال به العمر نحو عشرين سنة بعد عمر رضى الله عنه ، وكان مولده فى سنة ٥٧٥ م ووفاته فى سنة ٦٦٣ م عاش ٨٨ سنة شمسية ، وأكثر من ٩٠ سنة قمرية فكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ بمصر حين كان والياً عليها وهو القائد العرفى العظيم فاتح مصر ومؤسس مدينة الفسطاط ، وبانى بها الجامع المعروف باسمه ويعد أقدم مسجد فى إفريقيا كلها وأحد دهاة العرب ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجلاء .

والحكمة فى شدة الموت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هى : أن يتسلى المؤمنون بما وقع للأنبياء من ذلك . وأن يتصبروا . وأن يكون هذا مكملا لمراتبهم العلية ، ومقاماتهم السامية .

قال القرطبى : (لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان) :

إحداهما : تكميل فضائلهم ، ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً بل هو كما جاء : (إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) .

والثانية : أن تعرف الخلق مقدار ألم الموت ، وأنه باطن . وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج الروح فيظن سهولة أمر الموت . ولا يعرف ما الميت فيه . فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألم الموت مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذى يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار فإنه لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم مس القرصة على ما ثبت فى الحديث (ا . هـ) .

الموت كفارة للمسلم :

روى أبو نعيم بسند حسن صحيح عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الموت كفارة لكل مسلم) .

قال العلماء : وإنما كان الموت كفارة لكل مسلم لما يلقاه فى مرضه وفى قبره من الألم بقرينة قوله : صلى الله عليه وسلم فى حديث الإمام مسلم (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة اليابسة ورقها) .

وفى الحديث أيضاً يقول الله عز وجل : (وعزتى وجلالى لا أخرج عبداً من الدنيا ، وأريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً فى جسده أو مصيبة فى أهله وولده ، أو ضيقاً فى معيشته ، وإقتاراً فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقى عليه شىء شددت عليه الموت حتى يلقانى كيوم ولدته أمه) .

قال العلماء : وهذا بخلاف المسلم الذى لا يحبه الله عز وجل بقرينة حديث :

يقول الله عز وجل : (وعزتى وجلالى لا أخرج عبداً من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة فى جسده ، وسعة فى رزقه ، ورغداً فى عيشه ، وأمناً فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر . فإن بقى شىء هونت عليه الموت حتى يقبض إلى ، وليس له حسنة واحدة يتقى بها النار) .

وفى مثل هذا المعنى ما أخرجه أبو داود بسند صحيح مرفوعاً (موت الفجأة أخذة أسف) (أى غضب) .

وفى رواية للترمذى : (موت الفجأة راحة للمؤمن ، وأخذة أسف للكافر) .

وكان عمر بن الخطاب يقول : إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شدد الله عليه سكرات الموت وشدائده حتى يبلغ بذلك درجته من الجنة ، وأما الكافر إذا عمل معروفاً فى الدنيا فيهون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار (ا . هـ) من كتاب مختصر تذكرة القرطبى .

الحجاج وسكرات الموت(١) :

لما حضرت الوفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وأيقن بالموت قال : أسندونى . وأذن للناس بالدخول عليه فدخلوا ، فتذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وكان ممن دخلوا عليه أبو المنذر (يعلى بن مخلد) فقال : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ قال : « يا يعلى غما شديداً ، وجهداً(٢) جهيداً

---

(١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى ، أحد جبابرة العرب وحكامها ، وأحد الخطباء المصاقع ، والفصحاء المشهورين ، ولد بالطائف (موطن ثقيف) سنة ٤١ هـ ، وكان والياً لعبد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد ، وكانت ولايته ما بين الشام والصين وكان سفاكاً للدماء بحق وبغير حق إلا أن من مآثره الحسنة الخالدة وضع النقط والشكل للمصحف العثمانى ، ونسخه منه عدة مصاحف وإرسالها إلى بقية الأمصار .

مات سنة ٩٥ هـ فى مدينة واسط التى بناها بالعراق ، وعاش ٥٤ سنة .

(٢) جهداً (بفتح الجيم) جهيداً : أى تعباً شديداً .

وألماً مضيضاً(١) ، ونزعاً جريضاً(٢) ، وسفراً طويلا ، وزاداً قليلا ، فويلى ، ويلى إن لم يرحمنى الجبار فقال له : يا حجاج . إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولى الرحمة والرأفة والعطف على عباده وخلقه أشهد أنك قرين فرعون(٣) وهامان لسوء سيرتك ، وترك ملتك ، وتنكبك(٤) عن قصد الحق ، وسنن(٥) المحجة ، وآثار الصالحين ، قتلت صالحى الناس فأفنيتهم وأبرت(٦) عترة التابعين فتبرتهم ، وأطعت المخلوق فى معصية الخالق ، وهرقت الدماء(٧) وهتكت الأستار ، وسُسْتَ سياسة متكبر جبار .

ما قيل فى مرض الموت :

لما حضرت سيدنا بلالا رضى الله عنه الوفاة قالت امرأته : واحزناه . فقال لها بلال : واطرباه . غداً ألقى الأحبة ، محمداً صلى الله عليه وسلم وحزبه ، ودخل المزنى(٨) على الإمام الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف

---

(١) مضيضاً : (أى شاقاً) .

(٢) جريضاً (بجيم مفتوحة وضاد معجمة) : أى نزعاً لا يستطيع معه ابتلاع الريق ، والجريض هو الريق يغص به ومنه المثل : حال الجريض دون القريض (أى حال الغصص بالريق دون الشعر) .

(٣) هامان هو وزير فرعون سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وفى شأنهم نزل قوله تعالى فى سورة غافر حكاية عن فرعون : « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً . . . » .

(٤) التنكب : الميل والبعد (والقصد) : الاستقامة ، والمعنى : أن الحجاج يميل عن طريق الحق .

(٥) السنن (بفتحات) الطريق ، والمحجة (بفتح الميم والحاء وبتشديد الجيم) وسط الطريق ، والمعنى : أن الحجاج لا يسير فى الطريق المستقيم .

(٦) أبرت (بفتح الهمزة والباء) : أهلكت ، والعترة (بكسر العين) : النسل والذرية تبرتهم (بفتح التاء وكسر الباء) : دمرتهم وأفنيتهم ، والمعنى : أن الحجاج أهلك نسل التابعين حتى دمرهم وأفناهم .

(٧) هرقت : أى أسلت ، والهاء هنا عوض عن الهمزة : أى أرقت .

(٨) المزنى : هو إسماعيل بن يحيى المزنى المصرى ، ولد سنة ١٧٥ هـ واتصل بالإمام الشافعى فى مصر سنة ١٩٩ هـ وتفقه عليه ، ويعتبر المزنى أفصح وأذكى وأمهر أصحاب الشافعى وأكثرهم تدويناً لمذهبه ، ومن كتبه التى يعول عليها عند الشافعية : المختصر الصغير — وهو الذى نشر به مذهب الشافعى لأن الشافعية تناولوه بالتدريس والشرح وقد توفى سنة ٢٦٤ هـ .

أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت عن الدنيا راحلا ، وللإخوان مفارقاً : ولسوء عملي ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى ربى وارداً ، ولا أدرى روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها ، أو إلى النار فأعزيها ، ثم أنشد يقول :

ولمَّا قسَا قلبي وضـاقتْ مذَاهبي
جعلتُ الرَّجا منِّى لِعَفْوكَ سُلمَا
تعـاظمنى ذَنْبي فلمَّـا قَرَنْتُه
بعفوك ربى كان عفْوُكَ أَعْظمَا
فما زِلْتَ ذَا عَفوٍ عن الذنب لم تَزَلْ
تجُود وتعفو مِنَّةً وَتَكرُّمـا

وقال بعض العلماء : دخلنا على عطاء السلمي نعوده فى مرضه الذى مات فيه فقلنا له : كيف حالك ؟ فقال : الموت فى عنقى ، والقبر بين يدى ، والقيامة موقفى ، وجسر جهنم طريقى ، ولا أدرى ما يفعل بى ، ثم بكى بكاء شديداً حتى غشى عليه فلما أفاق قال : (اللهم ارحمنى ، وارحم وحشتى فى القبر ، ومصرعى عند الموت ، وارحم مقامى بين يديك ، يا أرحم الراحمين) ، وبكى أبو هريرة رضى الله عنه عند الموت فقيل له : ما يبكيك؟ فقال : (أخاف أن أكون قد أتيت بذنب أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم) .

وحكى عن هارون الرشيد أنه لما اشتد مرضه أحضروا له طبيباً فارسياً فأمر الطبيب أن يعرض بوله عليه مع أبوال كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا البول يوصى فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت بنيته ، فيئس الرشيد فى نفسه وأنشد يقول :

إن الطبيب له علم يَدلّ بِهِ[1] مادام فى أجل الانسانْ تأْخير

(١) يدل به (بكسر الدال) : أي يتيه ويفتخر به .

حتى إذا ما انقضتْ أيامُ مُهْلتهِ

حـار الطبيب وخانته العقاقير[1]

ثم دعا بأكفان فتخير منها كفناً ، وأمر بأن يحفروا له قبراً أمام فراشه وقال : « ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه » فمات رحمه الله من ليلته .

ولما اشتد مرض الموت بالسيدة نفيسة (٢) رضى الله عنها وهى صائمة أشار عليها الأطباء بالإفطار للضعف الذى أصابها فقالت : واعجباه : لى ثلاثون سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة ، أو أفطر الآن ؟ معاذ الله هذا لا يكون ثم أنشدت تقول :

اصْرِفوا عنِّى طبيبى وَدَعُونى وَحَبيبى
زَادَ بى شَوْقِى إليه وَغَرامِى فى لَهيبى
جَسَدِى رَاضٍ بسُقْمى وجفـونى بنحيبى

ثم ابتدأت تقرأ فى سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » .

خرجت روحها إلى بارئها ، وإلى ما أعده الله لها من التكريم فى دار الكرامة والتنعيم .

وما أحسن قول بعضهم فى خروج روحها الطاهرة :

رُوحٌ دَعَاها لِلوصال حَبيبُها فَأَتتْ إليهِ مُطيعَةً وَمُجيبه
يَا مُدَّعى صدق المحبَّةِ هكذَا صِدْقُ المُحبِّ إذادَعاهُ حَبيبُه

---

(١) العقاقير : جمع عقار (بفتح السين وبعدها قاف مشددة) وهو الدواء .

(٢) السيدة نفيسة هى بنت حسن الأنور بن زيد بن الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه . ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية ونشأت بالمدينة ، وكانت تقية عابدة حجت ثلاثين حجة ، وكانت زاهدة كثيرة البكاء ، تحفظ القرآن ، وتجيد تفسيره وتتلوه حق تلاوته .

قدمت مصر فى شهر رمضان سنة ١٩٣ هـ ، وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ثم وهبها أمير مصر إذ ذاك هو (السرى بن الحكم) المكان الذى دفنت فيه .

سمع عليها الإمام الشافعى الحديث ، ولما توفى رحمه الله أدخلت إليها جنازته فصلت عليه فى دارها ، وقد انتقلت إلى جوار ربها فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هجرية ، وقبرها فى القاهرة مشهور يفد إليه الزائرون من كل جهة فى القاهرة ولا سيما فى يوم الأحد .

الموت (١)

الموت فى الحقيقة كما قال بعض العلماء : — ليس بعدم محض . ولا فناء صرف وإنما هو :

انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار (أى من دار التكليف والعمل إلى دار البرزخ والسؤال) .

فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : (إنما خلقتم للأبد والبقاء ، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار) ، وكان بلال بن سعد يقول فى وعظه : (يا أهل الخلود . ويأهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء ، وإنما خلقتم للخلود والأبد ، وإنكم تنقلون من دار إلى دار) .

وأخرج الإمام أحمد ، وسعيد بن منصور فى سننه بسند صحيح عن محمود ابن لبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب) .

وأخرج الشيخان (البخارى ومسلم) عن أبى قتادة الحارث بن ربعى رضى الله عنه قال (٢) :

مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال : مستريح ومستراح منه قالوا : يا رسول الله ، ما المستريح ؟ وما المستراح منه ؟ فقال : (العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب) .

---

(١) الإيمان بالموت واجب على الوجه المعهود شرعاً من تقدير الآجال إليه فلا يموت أحد حتى يستكمل أجله المقدر .

(٢) أبو قتادة كنية الراوى واسمه الحارث بن ربعى (بكسر الراء وسكون الباء الموحدة وبالعين المهملة وتشديد الياء) الأنصارى السلمى (بفتح السين واللام) منسوب إلى أحد أجداده (كعب بن سلمة) ، شهد أبو قتادة رضى الله عنه غزوة أحد وما بعدها من الغزوات مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع فى حضوره غزوة بدر خلاف ، وتوفى بالمدينة سنة ٥٤ هجرية وعمره سبعون سنة ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٠ حديثاً وهو غير قتادة الذى أصيبت عينه فإن الذى أصيبت عينه هو قتادة بن النعمان .

أما استراحة العباد والدواب من الفاجر فمعناها دفع أذاه عنهم ، وأما استراحة البلاد والشجر منه فمعناها أنه يغصبها ، ويمنعها حقها من الشرب وغيره

وكان أبو الدرداء يقول : (تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى ، وتذرون ما يبقى . ألا حبذا المكروهات الثلاث الموت والفقر والمرض) .

وأخرج الإمام أحمد أن ملك الموت جاء إلى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ليقبض روحه فقال إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلا يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك الموت إلى ربه فقال له ربه : (قل له : هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله ؟ فرجع قال : فاقبض روحي الساعة) .

تذكر الموت والاتعاظ به :

وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تذكرنا بالموت لتلين قلوبنا ، وتقشعر جلودنا ، وتتعظ نفوسنا فإن نسيان الموت ضلال مبين قال الشاعر :

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو ت فنسيانه ضلال مبين

من ذلك قوله تعالى : « **كل نفس ذائقة الموت** » وقوله عز وجل : « **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** »وقوله تبارك وتعالى : « **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » .

كما وردت فى السنة النبوية أحاديث جمة كلها تحدث على ذكر الموت والاتعاظ به من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا من ذكر الموت ، فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد فى الدنيا) . (رواه ابن أبى الدنيا فى الموت بإسناد ضعيف جداً) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (أكثروا من ذكرها ذم اللذات) (يعنى الموت) .

(رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ، كما رواه غيرهما ومعناه نغصوا بذكر الموت اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها).

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : (كفى بالموت واعظاً) .

(رواه الطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (١)) .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس يا رسول الله ؟ فقال : (أكثرهم للموت ذكراً ، وأشدهم استعداداً أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ، وكرامة الآخرة) روى معناه الإمام أحمد ، ورواه ابن ماجه مختصراً ورواه ابن أبى الدنيا بكماله بإسناد جيد) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : (اذكروا الموت ، أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيراً) (رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف) .

كذلك وردت أقوال مأثورة فى ذكر الموت والاتعاظ به عن بعض الصحابة وسلفنا الصالح رضى الله عنهم أجمعين من ذلك :

قالت السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، وأم الزبير بن العوام : إن امرأة اشتكت إلى عائشة قساوة قلبها فقالت لها : (أكثرى ذكر الموت يرق قلبك) . ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها) .

وورد : (أن سيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضى الله عنه كان يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة) .

وقال محمد اللفاف رحمه الله : (من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء

---

(١) وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمى ، ثم اليربوعى خراسانى من ناحية مرو مدينة بفارس من قرية يقال لها : (فندين) من الطبقة الأولى من طبقات الصوفية ، ولد بسمرقند ببلاد فارس ، ونشأ بأبيورد من بلاد التركستان ، وأصله من الكوفة ، مات فى شهر المحرم سنة سبع وثمانين ومائة بمكة .

١ — تعجيل التوبة . ٢ — وقناعة القلب. ٣ — والنشاط فى العبادة .

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء .

١ — تسويف التوبة . ٢ — وعدم الرضا بالكفاف .

٣ — والتكاسل فى العبادة .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول :

(لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد) .

وقال حكيم من الحكماء : (كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعمل) .

الاستعداد للموت

والاستعداد للموت يكون بالمبادرة إلى التوبة النصوح التى منها رد المظالم إلى أهلها ، ويكون بكتابة وصيته ولا سيما إذا كان فى مرض الموت . . لقوله عليه الصلاة والسلام : (ما حق امرئ مسلم له شيء يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده . (رواه الشيخان)

ويكون أيضاً بالمبادرة إلى العمل الصالح لقوله (عليه الصلاة والسلام) (يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتؤجروا) .

(رواه ابن ماجه عن على بن زيد بن جدعان)

وكان الحسن البصرى يقول : (لا تكونوا من قوم أهلكتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (الكيس(١) من دان(٢) نفسه . وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع(٣) نفسه هواها ، وتمنى(٤)على

---

(١) الكيس (بتشديد ياء مكسورة) : العاقل .

(٢) دان نفسه : أذلها وقيل : حاسبها .

(٣) أتبع نفسه هواها : أى جعل نفسه تابعة لهواها .

(٤) تمنى على الله بأنه كريم غفور رحيم ، غنى عنه وعن عمله فلا يعاقبه بل يدخله الجنة ويعطيه ما يشتهى .

الله الأمانى) . (رواه يعلى شداد بن أوس)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** » قال : إذا دخل النور القلب انفسخ وانشرح قالوا : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : (الإنابة إلى دار الخلود ، والتنحى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت) .

(رواه ابن جرير ، وله طرق مرسلة ، ومتصلة يشد بعضها بعضاً)

وقال الشاعر الحكيم :

تـأَهبْ[1] للَّذى لَا بُدَّ مِنْهُ
فإِنَّ الموتَ ميقـاتُ الْعِبَـادِ
أَترضَى أَن تكون رَفيقِ قَوْم
لهم زَادٌ وأَنت بِغير زَادِ

وقال آخر :

هو الموت فاحذرْ أَن يجيئك بغتةً
وأَنت على سوءٍ من الفعل عاكف[2]
وإِياك أَن تُحْصِى مِنَ الدَّهر ساعةً
ولا لحظةً إِلَّا وقلبكَ وَاجفُ[3]
وبادِرْ بأَعمـال يَسُركَ أَنْ تُرَى
إِذا نُشَرتْ يَومَ الْحِسَاب الصحائف

---

(١) استعد للموت .

(٢) عاكف : أى مقيم .

(٣) واجف : أى خائف .

وقال آخر :

سَــتباشر الغــبراءُ خَــدكْ
وسيضَحكُ الباكون بعــدَكْ
وليــنزلن بك البــلَى
وَلَيُخْلِفَنَّ المـوْتُ عهــدَكْ
ومتى رحــلت عن الــدِّيَارِ
وأهلِهــا وسكنتَ لحــدَكْ
لم تنتفــع إلَّا بفعـــل
صــالح قــد كان عنــدك
وترى الذين قَسَمتَ مَــالك
بينهم حصصًــا وَكَــدكْ
يتــلذذون بمــا جمعت
لهم ولا يشكون بعــدكْ

فاستعدوا لحياة دائمة . ونعيم لا يفنى ، وتذكروا قوله تعالى :

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة. فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

الميت يدفن فى الأرض التى خلق منها :

روى الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة) وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

وروى الحكيم الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يطوف فى نواحى المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال : (لمن هذا

القبر ؟) فقالوا : لرجل من الحبشة فقال : (لا إله إلا الله سيق من أرضه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها) .

وأخرج ابن ماجه مرفوعاً (إذا كان أجل العبد بأرض أو ثقته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره فتوفاه الله بها فبعثه الله فتقول الأرض يوم القيامة : يا رب هذا ما استودعتنى) .

ومن هنا قال العلماء :

يستحب للعبد إذا سافر أن يخرج عن المظالم . ويقضى جميع ديونه ، ويوصى بماله وبما عليه فإنه لا يدرى هل يرجع من تلك السفرة أو لا .

وأنشد سيدى عبد العزيز الدرينى رحمه الله .

إذا ماضاق صدرُك من بلاد ... تَرَحَّلْ طالبًا بلدًا سواها

فإنك واجدٌ أَرضًا بأَرض ... وَنَفْسَك لم تجدْ نفْسًا سواها

مشَيناها خُطًى كتبتْ علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها

ومن كانت مَنِيَّتُهُ بأَرض ... فليس يموت فى أرض سواها

وروى أن رجلا دخل على سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : يا نبى الله لى حاجة بأرض الهند ، وأسألك أن تأمر الريح فتحملنى إليها هذه الساعة ، فرأى سيدنا سليمان ملك الموت عنده وهو مبتسم فقال له : مم تبتسم يا ملك الموت ؟ فقال تعجباً :

إنى أمرت بقبض روح هذا الرجل فى بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك .

روى أن الريح حملت هذا الرجل إلى الهند فى تلك الساعة ، وهناك قبض عزرائيل روحه بها والله أعلم (انتهى) بتصرف من مختصر التذكرة القرطبية للإمام عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله .

مناجاة الموت :

مالك يا موت ؟ تفرق بين الأحباب والأصحاب ، وتباعد بين الأقرباء ، وتحول بين القرناء ، تهدم اللذات ، وتقطع الصلات وتيتم البنين والبنات ، وتشتت الجماعات .

مالك يا موت ؟ لا تخاف الأباطرة والأكاسرة ، ولا تخشى الملوك والقياصرة ، ولا ترهب الأمراء و القادة ، ولا الزعماء والسادة ، تبطش بالعظيم كما تبطش بالحقير ، وتفنى الشيخ الكبير كما تفنى الولد الصغير ، وتهلك الكهل القوى ، كما تهلك الشاب الفتى ، لا ترحم مسكيناً ولا فقيراً ، ولا تترك عزيزاً ولا ذليلا ، ولا تدع باراً تقياً ، ولا جباراً عصياً .

تنزع الولد من أمه وهو وحيدها ، وقرة عينها ، وفلذة كبدها . وثمرة فؤادها ، فتصبح ثكلى(١) .

وتقضى على الأب وولده لا يزال فى المهد صبياً فيصير يتيما(٢) ، وتخطف الأم من رضيعها فيمسى عجياً (٣) .

وتفترس الوالدين وولدهما فى ريعان الطفولة ، وشرخ الصبا ، فيحور لطيما(٤) .

أنت الذى لك هيبة تخضع لها الرءوس، وتنحنى لها الظهور ، ولك رهبة تخشع لها النفوس ، وترجف من أجلها القلوب :

آه(٥) لا مفر منك ، ولا محيص عنك ، ولا مناص من سلطانك ، ولا إفلات من شباكك .

فأنت سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وأنت سبيل كل حى ، وغاية كل كائن . **« كل شيء هالك إلا وجهه »** ، **« كل نفس ذائقة الموت »**. **« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة(٦) »** ، **« قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم »** .

وأنت الذى قال فيك الشاعر الحكيم :

---

(١) الثكلى : المرأة التى فقدت ولدها .

(٢) اليتيم من الآدميين من مات أبوه وهو صغير .

(٣) العجى (بفتح العين وكسر الجيم وتشديد الياء) : من ماتت أمه قبل بلوغه .

(٤) اللطيم (بكسر الطاء) : من مات أبوه وأمه قبل البلوغ .

(فائدة) : اليتيم فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم ، وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو (يتيم) يقال : درة يتيمة .

(٥) آه : اسم فعل مضارع معناه أتوجع وأتضجر وهو بسكون الهاء ، وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنا : أى أتوجع أنا وأتضجر من الموت الذى لا مفر منه .

(٦) بروج مشيدة : أى قصور عالية .

الْمَوْتُ بابٌ وكل النـاس داخله
فَليتَ شِعْري بعد الباب مَا الدَّارُ

فاللهم إننا للموت مستعدون ، ولقضائك وقدرك مستسلمون ، وإنا إليك راغبون ، ونحن من عذابك مشفقون(١) ، وفى دخول الجنة طامعون ، وبرؤية ذاتك العلية مولعون مشتاقون .

مترادفات الموت :

يقال للموت منية (بفتح الميم وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة) وحمام (بكسر الحاء) وسام ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : لليهود . وعليكم السام (أى الموت) حينما قال اليهودى للرسول صلى الله عليه وسلم : السام عليكم ، ومنون (بفتح الميم ، وضم النون مخففة) ومنه قوله تعالى فى سورة الطور خطاباً لنبيه عليه السلام .

« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »

ويقال للموت أيضاً : منى (بفتح الميم مع القصر) : وشعوب (بفتح الشين ممنوع من الصرف لأنه صار علماً على المنية) وسمى الموت أو المنية شعوب لأنه أو أنها تشعب الخلائق أى تفرقها قال نافع بن لقيط الأسدى من بحر الكامل) .

ذَهَبَتْ شَعُوبُ بِأَهْلِهِ ..
إنَّ الْمَنَايا لِلرجَالِ شَعُوبُ

وحين (بفتح الحاء وسكون الياء) فيقال نزل بفلان الحين أى الموت والهلاك . ومن معانى أم قشعم (بفتح القاف والعين مع شين معجمة ساكنة بينهما) الموت والمنية .

---

(١) مشفقون : أى خائفون ، ومنه قوله تعالى فى سورة المعارج فى بيان صفات المصلين الحقيقيين : « والذين هم من عذاب ربهم مشفقون » .

ذكر الموت فى القرآن :

قد أفاض القرآن الكريم فى ذكر الموت لما له من عظيم الأثر فى ترقيق القلوب ، وتهذيب النفوس وتمحيص الذنوب . والتزهيد فى الدنيا والعمل للدار الآخرة . فوردت كلمة الموت وما تصرف منها فى آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل . ولكثرتها اقتصرت هنا على الآيات التى ورد فيها لفظ الموت مصدراً فقط . وقد ذكر هذا اللفظ فى القرآن اثنتين وخمسين مرة .

هناك بيان الآيات التى ذكر فيها هذا اللفظ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

١ - قال الله تعالى : « **يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** » . (سورة البقرة - آية ١٩)

٢ - « **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** » .
(البقرة - آية ٥٦)

٣ - « **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** » . (البقرة - آية ٩٤)

٤ - « **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت**(١) » .
(البقرة - آية ١٣٣)

٥ - « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » . (البقرة - آية ١٦٤)

٦ - **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين** » . (البقرة - آية ١٨٠)

٧ - « **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت** » .
(البقرة - آية ٢٤٣)

٨ - « **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها** » . (البقرة - آية ٢٥٩)

---

(١) يعقوب : هو سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام فى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واسمه إسرائيل ويقال لأبنائه الاثنى عشر : بنو إسرائيل .

٩ – « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » . (آل عمران – آية ١٤٣)

١٠ – « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » . (آل عمران – آية ١٦٨)

١١ – « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » . (آل عمران – آية ١٨٥)

١٢ – « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » . (النساء – آية ١٥)

١٣ – « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً » . (النساء – آية ١٨)

١٤ – « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » . (النساء آية ٧٨)

١٥ – « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » . (النساء – آية ١٠٠)

١٦ – « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » . (النساء – آية ١٥٩)

١٧ ، ١٨ – « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » . (المائدة – آية ١٠٦)

١٩ – « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام – آية ٦١)

٢٠ – « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون(١) بما كنتم تقولون على الله غير

---

(١) الهون والهوان : الذل .

الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » . (الأنعام – آية ٩٣)

٢١ – « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . (الأنفال – آية ٦)

٢٢ – « ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » . (هود – آية ٧)

٢٣ – « يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت(١) من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » . (إبراهيم – آية ١٧)

٢٤ – « والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون » . (النحل – آية ٦٥)

٢٥ – « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .
(الأنبياء – آية ٣٥)

٢٦ – « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون » .
(المؤمنون – آية ٩٩)

٢٧ – « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً » .
(الفرقان – آية ٣)

٢٨ – « كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون » .
(العنكبوت – آية ٥٧)

٢٩ – « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد بعد موتها ليقولن الله » . (العنكبوت – آية ٦٣)

٣٠ – « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » . (الروم – آية ١٩)

٣١ – « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .
(الروم – آية ٢٤)

---

(١) قوله تعالى : « ويأتيه الموت » : أى ألم الموت وشدة نزع الروح من كل مكان فى جسمه وما هو بميت ولكنه الألم والتعب والهم والحزن وعدم الراحة ، والضمير البارز قوله : « يتجرعه » يعود على « ماء صديد » فى الآية قبله ، ومعنى : « يتجرعه » يكلف تجرعه وابتلاعه مرة بعد مرة .

٣٢ – « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير » . (الروم – آية ٥٠)

٣٣ – « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » .
(السجدة – آية ١١)

٣٤ – « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا » . (الأحزاب – آية ١٦)

٣٥ – « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » .
(الأحزاب – آية ١٩)

٣٦ ، ٣٧ – « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » . (سبأ – آية ١٤)

٣٨ – « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » . (فاطر – آية ٩)

٣٩ ، ٤٠ – « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (الزمر – آية ٤٢)

٤١ – « إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين » .
(الدخان – آية ٣٤ ، ٣٥)

٤٢ ، ٤٣ – « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم » . (الدخان – آية ٥٦)

٤٤ – « واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » .
(الجاثية – آية ٥)

٤٥ – « ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت » . (محمد عليه السلام – آية ٢٠)

٤٧ – « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين » .
(الواقعة – آية ٦٠)

٤٨ – « اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » . (الحديد – آية ١٧)

٤٩ – « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » . (سورة الجمعة – آية ٦)

٥٠ – « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . (سورة الجمعة – آية ٨)

٥١ – « وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » .
(المنافقون – آية ١٠)

٥٢ – « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » . (الملك – آية ٢)

طائفة من الأحاديث والخطب النبوية جاء فيها ذكر الموت :

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (يوئتى بالموت كهيئة كبش أملح(١) فينادى مناد . يا أهل الجنة فيشرئبون(٢) ، وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . هذا الموت وكلهم قد رآه(٣) ، ثم ينادى : يأهل النار فيشرئبون ، وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم : هذا الموت وكلهم قد رآه . فيذبح(٤) ، ثم يقول :

يأهل الجنة خلود فلا موت ، ويأهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم (قوله تعالى :

---

(١) (أملح) : أى فيه بياض وسواد .
(٢) يشرئبون : أى يمدون أعناقهم ، ويرفعون رؤوسهم .
(٣) يعرفون أنه الموت بما يلقيه الله فى قلوبهم أنه الموت .
(٤) قال الشيخ محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى ، وأمور الآخرة : محال أن ينقلب الموت كبشاً لأن الموت عرض .

« وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » .
(سورة مريم – آية ٣٩)
(رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه)

وقوله صلى الله عليه وسلم من خطبه ووصاياه :

(أيها الناس : إن لكم معالم(١) ، فانتهوا إلى معالمكم . وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن العبد بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه .

فليأخذ(٢) العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب(٣) ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار) .

(رواه البيهقى فى شعب الإيمان)

وقوله عليه الصلاة والسلام (فى خطبة أخرى يذكر فيها الموت :

(أيها الناس ، كأن الموت فيها(٤) على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر(٥) عما قليل إلينا راجعون . نبوئهم(٦) أجداثهم . ونأكل من تراثهم(٧) كأنا مخلدون بعدهم . نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة(٨) .

= وإنما المعنى : أن الله سبحانه يخلق شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار ، وهكذا كلما ورد عليك فى هذا الباب فالتأويل فيه ما ذكرت لك .

(١) المعالم : أى الآثار ، والمراد بها هنا أوامر الدين ونواهيه .

(٢) أى فليبذل العبد من جهده اليوم ما يكفل لنفسه الخير فى الغد .

(٣) المستعتب (اسم مفعول) : أى طلب الإعتاب . والمعنى : أنه لا مجال بعد الموت لطلب المغفرة للذين لم يعملوا فى الدنيا عملا صالحاً .

(٤) فيها : أى فى الدنيـــا .

(٥) سفر (بفتح السين وسكون الفاء) : جمع لسافر مثل صاحب وصحب ، وراكب وركب : أى مسافرون ، وبابه ضرب .

(٦) نبوئهم أجداثهم : أى ننزلهم فى قبورهم .

(٧) تراثهم : أى ميراثهم ومنه قوله تعالى : « وتأكلون التراث أكلا لما » .

(٨) الجائحة : أى الآفة ، يقال : جاحت الآفة المال تجوحه جوحاً من باب قال : إذا أهلكته .

(واتقوا الله حق تقاته(١) . واسعوا فى مرضاته . وأيقنوا من الدنيا بالفناء . ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت . فكأنكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . ألا وإن من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية . وإن الضيف مرتحل . والعارية مردودة . ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صدق يحكم فيها ملك قادر .

فرحم الله امرأ نظر لنفسه . ومهد لرمسه(٢) . ما دام رسنه(٣) مرخى ، وحبله على غاربه(٤) ملقى قبل أن ينفذ أجله . وينقطع عمله .

كراهة تمنى الموت :

يكره للإنسان أن يتمنى الموت لفقر أو مرض أو ضر نزل به لما رواه الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل : (اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى) . فإن خاف أن يفتن فى دينه فإنه يجوز له تمنى الموت بلا كراهة .

فما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فى دعائه :

(اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة فى قومى فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك) .

(رواه الترمذى(٥) . وقال : حسن صحيح)

---

(١) بأن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .

(٢) الرمس (بفتح الراء وسكون الميم) : القبر جمعه رموس مثل فلس وفلوس .

(٣) الرسن (بفتح الراء والسين) : الحبل الذى يوضع فى رأس الدابة لتشد به جمعه أرسان وأرسن ، ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن ، وبابه نصر ، وأرسنه أيضاً .

(٤) الغارب (بكسر الراء) : ما بين السنام إلى العنق .

(٥) الترمذى : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، ولد بترمذ (مثلثة التاء والميم والمشهور فيهما الكسر) وهى مدينة على نهر جيحون سنة ٢٠٠ هـ مائتين هجرية سمع الحديث من البخارى وغيره ، وكان إماماً ثقة ألف كتاب السنن ، وكتاب العلل ، وكان ضريراً ، توفى بترمذ أواخر شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وهو غير الحكيم الترمذى صاحب نوادر الأصول .

واعلم أن ما قال عنه الترمذى حديث غريب : يريد أنه ضعيف ، وما قال عنه حسن غريب أو صحيح غريب يريد أنه تفرد به راوٍ فى بعض طبقاته أو جميعها وهو المصطلح عليه .

نعى(١) الميت ورثاؤه :

يستحب إعلام الناس وإخبارهم بموت الشخص ولا سيما أهله وأقاربه . وأصدقاؤه ليكون لهم أجر المشاركة فى تجهيزه من تغسيله وتكفينه وتشييعه ودفنه ، ولتكثير المصلين عليه ، والمستغفرين له . وتنفيذ وصاياه وقضاء ديونه .

فقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى لأصحابه النجاشى (ملك الحبشة) فى اليوم الذى مات فيه وخرج إلى المصلى فصف أصحابه ، وكبر عليه أربعاً .

وأنه نعى أيضاً لأصحابه زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله ابن رواحة الذين قتلوا شهداء فى غزوة مؤتة قبل أن يأتيه خبرهم معجزة له صلى الله عليه وسلم .

على أن يكون الإعلام خالياً من الضجيج والبكاء والنياحة كما كان يفعله أهل الجاهلية . وقد نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن مثل نعى الجاهلية .

ونعى الميت فى الصحف اليومية وغيرها جائز بشرط الاقتصار على ذكر اسم(٢) الميت واسم أبيه وجده . وبيان زمان ومكان التشييع ونحو ذلك مما هو ضرورى فى النعى . وعدم حشد أسماء فيه لا داعى لذكرها شرعاً كما يفعل كثير من المصريين فى زماننا هذا .

---

(١) يقال فى اللغة : نعى ينعى (بفتح العين فى الماضى والمضارع) لنا وإلينا فلاناً نعيا : أخبر بموته . فالنعى : هو الإخبار بالوفاة .

(٢) خذ مثالين للنعى الجائز نشرا بجريدة الأهرام :

الأول - نشر بها فى يوم ١٩٧٢/٩/١٠ م صفحة ٩

وفاة عالم جليل

شيعت أمس جنازة فضيلة المرحوم الشيخ على عواد المفتش بالأزهر .

للفقيد الرحمة ، ولأهله الصبر والسلوان ، والعزاء بمنزله ٣ شارع الشيخ طاهر الجزائرى بشبرا.

الثانى : نشر بها أيضاً فى يوم ١٩٧٢/٩/١٩ م :

مصاب آل الشمشاعى بالقاهرة

شيعت أمس جنازة المرحوم الحاج حسن الشمشاعى عميد أسرة الشمشاعى بالقاهرة - تلغرافياً : ٤ شارع الركبية قسم الخليفة . =

وغرضهم من ذلك المباهاة والافتخار وإشعار الغير بأن الميت من قبيلة عريقة في المجد يشار إليها بالبنان ، وأنه قريب فلان العظيم وابن خالة الوزير الخطير ، وابن عمة المرحوم الباشا فلان بن المرحوم فلان باشا ، وصهر فلان الموظف الكبير ، وابن خالة المرحوم فلان مدير . . .

وربما يكون هؤلاء لا يعرفون الميت بل يسمعون عنه . وليست لهم به صلة من قريب أو من بعيد ، قاتل الله حب التباهي والظهور ، قاصم الظهور ، وجالب الديون .

فإن كان الغرض ما ذكرنا كره على الأقل نعيه في الصحف وغيرها لأن فيه إضاعة للمال بدون جدوى . وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا : (القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال) .

ولأن المباهاة والافتخار منهى عنهما شرعاً .

هذا إذا لم يكن في ورثة الميت صغار هم في حاجة ملحة إلى المال الذى ينفق في النعي وما شابهه فإذا كان فيهم من ذكر حرم النعي .

وذكرى الأربعين والذكرى السنوية والإعلام عنهما في الصحف فمن باب إضاعة المال المنهى عنها شرعاً . فضلا عن أن كلا منهما بدعة سيئة .

وأما رثاء(١) الميت : وهو تعديد محاسن الميت ، والثناء عليه بشعر أو غيره فإنه جائز ما لم يكن في الرثاء كذب صراح ، أو إفراط في مدح الميت ، أو فيه ألفاظ تتنافى مع سماحة الدين الإسلامي وأصوله كإسناد الخطإ إلى الموت ، وكالعيب على القضاء والقدر والعياذ بالله فإنه حينئذ ينهى عنه شرعاً .

= وهاك مثالا للنعي غير الجائز شرعاً ، نشر بجريدة الأهرام في يوم ١٠/٩/١٩٧٢ م :

مصاب آل فلان الفادح ب . . .

توفيت إلى رحمة الله تعالى الحاجة فلانة بنت فلان بن فلان كريمة المرحوم فلان بن كلان ابن فلان وحفيدة المرحوم فلان بن فلان عمدة . . . السابق ، وزوجة المرحوم فلان بن فلان ، وشقيقه السيد فلان بن فلان من أعيان . . . وحرم الأستاذ فلان . . . مراقب التفتيش العام بشركة . . . لتصدير الحاصلات . . . إلى آخر السطر الخامس والستين .

وقد يصل النعي في الأهرام إلى مائة سطر بل يزيد ، وغالبه حشو وحشد أسماء لا غرض لأهل الميت من ذكرها إلا الفخر والمباهاة وحب الظهور .

(١) الرثاء (بكسر الراء) : من رثى يرثى (بفتح الثاء في الماضي وكسرها في المضارع) رثياً (بفتح الراء وسكون الثاء) ، ورثاء ورثاية (بكسر الراء فيهما) من باب رمى ، ويقال فيه أيضاً : رثا يرثو رثوا من باب عدا يعدو عدوا .

ومن أمثلة ذلك ما حدثنا به التاريخ فقد حدثنا أنه لما توفى الخليفة العباسى ببغداد (المستنصر بالله سنة ٦٤٠ هـ) أيام الملك الصالح الأيوبى (نجم الدين أيوب) عمل هذا الملك له حفلة عزاء فى مصر جمع فيها العظماء والقراء والشعراء وغيرهم . فأنشد بعض الشعراء فى مرثيته (من بحر الخفيف) :

مات من كان بعض أجناده المو ت ومن كان يختشيه القضاء

فأنكر عليه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله وأمر بتأديبه وحبسه لما تضمنته قصيدته من التعرض للقضاء بقوله : من كان بعض أجناده الموت تعظيما لشأن هذا الخليفة الميت وأن مثله ما كان ينبغى أن يخلو منه منصب الخلافة .

وقوله يختشيه القضاء يشير بهذا إلى أن الله عز وجل كان يخاف منه وهذا كفر والعياذ بالله . فأقام بعد التأديب فى الحبس زماناً طويلا ولم يخرج من السجن إلا بعد شفاعة الأمراء والرؤساء لدى الشيخ عز الدين لهذا الشاعر الآثم . ثم استتابه الشيخ وأمره بأن ينظم قصيدة يثنى فيها على الله عز وجل كفارة لما تضمنه شعره من التعرض للقضاء والقدر(١) .

ومن أمثلة المبالغة فى الرثاء والإغراق فى المدح ، والخروج عن الحد المعقول ما قاله بشارة الخورى الشاعر اللبنانى فى رثاء وتأبين الزعيم المصرى سعد زغلول(٢) بمناسبة إقامة حفل الأربعين من وفاته فما قاله : (من بحر البسيط) :

جـاءَ النبيون من قبلُ فما لأَمُوا

وجاءَ سعدٌ فشملُ الشرقِ مُلتئمُ

---

(١) من كتاب الإبداع للشيخ على محفوظ .

(٢) ولد سعد زغلول فى قرية أبيانة بالوجه البحرى سنة ١٨٥٧ م ودرس بالأزهر الشريف ، واتصل بزعماء الحركة الفكرية ، وكان رحمه الله زعيماً سياسياً ، وخطيباً مفوهاً ، ومحامياً ممتازاً ، وقاضياً محنكاً ، مات فى اليوم الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٢٧ م .

وفى يوم الجمعة الموافق ٧ من أكتوبر من هذه السنة أقيمت له حفلة التأبين الكبرى ، وتوافد إليها المتوافدون ، ورثاه فيها الخطباء والشعراء الذين جاءوا من كل حدب ينسلون .

إنْ أَنَّ أَنّتْ له بغدادُ وانخلعتْ

له دِمشقٌ وراح البيتُ يلتطمُ

لطفُ المسيح مذاب فى محاجره

وعزهُ أَحمَــدَ فِى جنبيه يَحتدِمُ

أقول : قد خرج الشاعر الحورى بشعره هذا عن الحد المعقول . والحد الشرعى أيضاً ، ولكن ليس بعد الكفر ذنب .

وصدق الله إذ يقول :

« والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(١) .

ومن الرثاء المبالغ فيه ما قاله أبو الحسن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

يرثى به أبا طاهر محمد بن بقية (وزير عز الدولة بن بويه) ، وكانت قد وقعت حرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة انتصر فى هذه الحرب عضد الدولة فقبض على الوزير ، وقتله بين أرجل الفيلة ثم صلبه .

وهى من أعظم الرثاء ، ولم يسمع بمثله فى مصلوب كما قيل : حتى إن عضد الدولة الذى صلبه تمنى لو كان هو المصلوب . وقيلت فيه : (وهى من بحر الوافر) .

عُلُوٌّ(٢) فى الحيــاة وفى الممــات

لَحَقٌّ أَنت إحْـدَى المعجزاتِ

كأَنَّ النــاسَ حولَك حين قاموا

وُفودُ نَدَاكَ(٣) أَيامَ الصِّلاتِ(٤)

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) أى أن ارتفاع أبى طاهر على الجذع الذى صلب عليه فيه علو ورفعة له .

(٣) النـدى : الكرم . (٤) الصلات (بكسر الصاد) : جمع صلة العطية .

كأنك قــائم فيهم خطيبًا

وكلُّهمُ قيــام للصَّــلاةِ

مددتَ يديْك نحوَهُم احتِفاءً[1]

كمدهمــا إليهم بالهِبــاتِ[2]

ولمـا ضاق بطنُ الأَرض عن أَن

يَضُمَّ عُلاكَ مِن بعـد الوفاة

أَصَاروا الجوَّ قبرَك واستعاضوا

عن الأَكفان ثوْبَ السافيات[3]

لِعُظْمِك فى النفوس بَقيتَ تُرعى

عن الأَكفان ثوْبَ السافيات

لِعُظْمِك فى النفوس بَقيتَ تُرعى

بحُـرَّاس وحفــاظ ثِقَاتِ

وتُوقَــدُ حولك النيرانُ ليلًا

كذلك كنت أَيام الحيــاة

ركبتَ مَطيَّةً[4] مِنْ قبْلُ زيد[5]

عَلاهــا فى السنين المـاضيات

---

(١) الاحتفاء : المبالغة فى الإكرام . (٢) الهبـات : جمع هبة وهى العطية .

(٣) السافيات : الرياح التى تذر التراب ، وثوبها هو : ما يلصق بالمصلوب من التراب .

(٤) المطية : الدابة ، والمراد بها هنا الخشبة التى صلب عليها أبو طاهر .

(٥) زيد هو : زيد بن على زين العابدين بن الإمام الحسين طالب بالخلافة فى زمن هشام ابن عبد الملك فقتل وصلب .

ولم أَر قبل جِذْعك قطُّ جـذْعًا

تمكن من عِنــاق المكرُمــات

أَسأت إلى النوائب فاستثارتْ[١]

فأَنت قتيل ثـأرِ النـائبـات

وكنتَ تجيرُنا من صرْف[٢] دهْر

فَعاد مُطـالبًا لك بالتِّرات[٣]

وصير[٤] دهرُك الإِحسان فيه

إليـنــا من عظيم الســيئات

وكنت لمعشر[٥] سـعدًا فلما

مُضيتَ تفــرقوا بالمُنحِساتِ

غليـل[٦] باطنٌ لك فى فؤادى

يخفَّفُ بالدمــوع الجــاريات

ولو أَنى قــدرتُ على قيـام

بفرضك والحقوق الواجبـات

ملأْت الأَرضَ من نظم القوافى

ونُحتُ بها خلاف[٧] النائحات

---

(١) استثارت من الثأر بمعنى طالبت بثأرها ، فأنت قتيل ثأر المصيبات .

(٢) تجيرنا : أى تحفظنا وتنقذنا من صرف دهر : أى حوادثه .

(٣) الترات : جمع ترة وهى الثأر .

(٤) يعنى أن الدهر قلب الحال علينا فصير الإحسان إساءة عظيمة .

(٥) أى كنت لجماعة سعداً ، فلما مضيت : أى مت تبدل سعدهم نحساً وشقاء .

(٦) غليل (بالغين المعجمة) : أى حقد مستتر فى قلبى من أجلك .

(٧) أى وبكيت بالأشعار على خلاف نوح النساء .

ولكنى أُصبِّر عنك نفسى

مخافة أن أُعَدَّ من الجُناة

ومالكَ تُربةٌ فأَقول تُسقَى(١)

لأَنك نُصبُ هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تَترَى(٢)

برَحْمَات غواد رائحاتِ

رثاء(٣) الإمام على لرسول الله :

قاله وهو يلى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهيزه : (بأبى أنت وأمى ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء ، وأخبار السماء ، خصصت(٤) حتى صرت مسلياً ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء .

ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع ، لأنفدنا عليك ماء الشئون(٥) .

بأبى أنت وأمى ، أذكرنا عند ربك ، واجعلنا من بالك .

رثاء السيدة عائشة رضى الله عنها لوالدها :

لما توفى سيدنا أبو بكر الصديق ذهبت ابنته السيدة عائشة رضى الله عنها

---

(١) أى ليست لك تربة وقبر فأقول : تسقى بالمطر لأنك جعلت علماً منصوباً للسحائب التى يتتابع مطرها .

(٢) تترى : متتابعة مع رحمات تتعاقب تذهب الواحدة فتأتى الأخرى .

(٣) هذا الرثاء مكتوب فى الجزء الأول صفحة ٤٩١ من نهج البلاغة وعليه شرح المرحوم الشيخ محمد عبده والجميع طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر .

(٤) أى خص النبى صلى الله عليه وسلم أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن من سواه ، وهو برسالته عام للخلق فالناس بالنسبة إلى دينه سواء .

(٥) لأنفدنا : أى لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجارية من شئونه وهى منابع الدمع من الرأس .

إلى قبره . ثم وقفت بجانب القبر فرثت أباها رثاء رائعاً وأبنته تأبيناً بليغاً ، يأخذ بمجامع القلوب . ويعطيك صورة صادقة صالحة لا تكذيب فيه ولا تأثيم . فمما قالته :

نضر[١] الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها . وللآخرة معزاً بإقبالك عليها .

ولئن كان أجل[٢] الحوادث بعد رسول الله رزؤك[٣] ، وأعظم المصائب بعده فقدك[٤] .

إن كتاب الله تعالى ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض عنك . وأنا أستنجز[٥] موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه[٦] بالاستغفار لك .

فعليك سلام الله توديع غير قالية[٧] لحياتك . ولا زارية على القضاء فيك .

وقالت ليلى الأخيلية[٨] المتوفاة سنة ٨٠ هـ من قصيدة لها (من بحر الطويل) فى الرثاء :

لَعمْرُكَ ما بالموت عـارٌ على الفتى
إذا لم تُصبْهُ فى الحياة المعايرُ[٩]
وما أَحــدٌ حيٌّ وإن عاش سالمـاً
بـأَخـلدَ ممن غيَّبتهُ المقـابر

---

(١) نضر : أى حسن وزين .
(٢) أعظم المصائب .
(٣) الرزء (بضم الراء وسكون الزاى) : المصيبة .
(٤) فقــدك : أى موتك .
(٥) استنجز : أى أسأل الله إنجاز الموعود بالصبر .
(٦) أستقضيه : أى أطلب من الله قضاءه بالاستغفار لك .
(٧) غير قالية لحياتك : أى غير كارهة لها ولا مبغضة ومنه قوله تعالى : « ما ودعك ربك وما قلى » : أى ما تركك ربك ولا أبغضك .
(٨) هى بنت عبد الله الأخيلية من عامر كانت شاعرة عظيمة ، وكان توبة يهواها ، وهو من بنى عقيل من عامر أيضاً وقال فيها الشعر .
(٩) المعـاير : (المعايب) .

وكل شباب أَو جـديد إلى بلى

وكل امرىءٍ يومًا إلى الله صـائرُ

يا أبت إن فى الله عوضاً عن فقدك . وفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة من مصيبتك . ثم قالت :

اللهم نزل بك عبدك خالياً مقفراً من الزاد . محشوش(١) المهاد . غنياً عما فى أيدى العباد . فقيراً إلى ما فى يديك يا جواد ، وأنت أى رب خير من نزل به المؤملون ، واستغنى بفضله المقلون ، وولج فى وسع رحمته المذنبون .

اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ، ثم بكت وانصرفت .

رثاء أعرابية لولدها :

أصيبت أعرابية بابنها وهى حاجة . فلما دفنته قامت على قبره وقالت :

(والله يا بنى : لقد غذوتك رضيعاً . وفقدتك سريعاً . وكأنك لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها . فأصبحت بعد النضارة ، ورونق الحياة ، والتنسم فى طيب روائحها تحت أطباق الثرى جسداً هامداً . ورفاتاً سحيقاً . وصعيداً(٢) جرزاً .

أى بنى : لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء . وأسكنتك دار البلى ، ورمتنى بعدك نكبة الردى .

أى بنى : لقد أسفر لى عن وجه الدنيا صباح داج ظلامه . ثم قالت :

أى رب : ومنك العدل . ومن خلقك الجور . وهبته لى قرة عين فلم تمتعنى به كثيراً .

بل سلبتنيه وشيكاً(٣) . ثم أمرتنى بالصبر ، ووعدتنى عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك فرحم الله من تراحم على من استودعته الردم(٤) ، ووسدته الثرى .

---

(١) محشوش المهاد : أى مقطوع الفراش ، يقال : حش الحشيش قطعه .

(٢) صعيداً : (أى تراباً) ، وجرزاً : (أى لا ينبت) .

(٣) وشيكاً : (أى سريعاً) . (٤) الردم هو : السد ، والمراد به القبر .

اللهم ارحم غربته . وآنس وحشته . واستر عورته يوم تكشف الهنات(١) والسوءات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها قالت :

أى بنى : إنى قد تزودت لسفرى فليت شعرى(٢) ما زادك ؟ لبعد طريقك ، ويوم معادك .

اللهم إنى أسألك الرضا برضائى عنه ثم قالت :

استودعتك من استودعك فى أحشائى (٣) جنينا ، وأثكل الوالدات ما أمض(٤) حرارة قلوبهن وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان .

الإحداد(٥) على الميت وحكمه :

الإحداد الشرعى : هو ترك لبس ما فيه زينة من الثياب ، وترك الكحل والطيب والحلى ، وما أشبه ذلك .

والإحداد على الميت المحرم (بفتح الميم والراء) مباح مدة ثلاثة أيام بلياليها من الوفاة ويحرم بعد ذلك ، ما لم يكن الميت زوجاً فإن امرأته تحد عليه أربعة أشهر وعشرة أيام وجوباً وهى مدة عدة المتوفى عنها زوجها المذكورة فى قوله تعالى : « **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** » . (سورة البقرة — آية ٢٣٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد (أى تترك الزينة) على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً) .

---

(١) الهنات (بفتح الهاء) : جمع هنة ، يقال فى فلان : هنات : أى خصلات شر ولا يقال ذلك فى الخير ، والمراد هنا المساوئ والسوءات العورات .

(٢) شعرى (بكسر الشين) : أى علمى ، والمعنى : ليتنى علمت بما تزودت به لبعد طريقك ويوم معادك .

(٣) الأحشاء : جمع حشا ، وهو ما انضمت عليه الضلوع ما فى البطن .

(٤) أمض (بفتح الهمزة والميم وبضاد مشددة) : أى أوجع وآلم .

(٥) فى المختار : (أحدت المرأة) امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها فهى محد ، وكذا (حدت) تحد بضم الحاء وكسرها (حداداً) بالكسر فهى (حاد) ولم يعرف الأصمعى إلا الرباعى : أى أحدت .

والحكمة فى ذلك هى : إظهار نعمة الزواج ، والتأسف على العشرة التى كانت بين الزوجين .

وكانت نساء النبي عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح لا يتجاوزن مدة الإحداد الشرعى ، ويحرصن كل الحرص على الخروج منها مخافة الوقوع فى الإثم .

فها هى ذى أم حبيبة (رملة أم المؤمنين ، وبنت أبى سفيان) كانت قد أحدت على أبيها فلما انقضت مدة الإحداد الشرعية (ثلاثة أيام بلياليها) دعت بصفرة (بضم الصاد وسكون الفاء نوع من الطيب) فى اليوم الثالث فتطيبت بها وقالت : إنى كنت عن هذا لغنية ، لولا أنى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت) الحديث .

وهذه زينب بنت جحش أم المؤمنين لما توفى أخوها عبد الله بن جحش ، وانقضت مدة الإحداد الشرعية عليه دعت بطيب ومنت منه وقالت: مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث) الحديث.

(وبعد) فما لنا نحن المصريين والمصريات نبالغ فى الإحداد ، ونتجاوز فيه الحد الشرعى ، فقد يصل بنا الأمر إلى أن نترك الزينة سنة أو أكثر ، ونلبس الملابس السوداء القاتمة التى تجلب الكآبة والحزن . ولا سيما فى الأعياد الإسلامية التى شرعت للغبطة والسرور ، والبهجة والحبور .

ولا نباشر زوجاتنا شهوراً ، ولا نحلق الشعر ولا نقصه أربعين يوماً بل أكثر مبالغة منا فى الأسى ، وتعمقاً فى الحزن وإمعاناً فى الهم والغم ، وازدياداً فى التحسر والتفجع .

الصبر على المصيبة :

ينبغى لمن نزلت به مصيبة أن يصبر عليها ، وليحتسب(١)أجره عند الله تعالى ويطلب منه الخلف ، ويحمده على السراء والضراء ، ويقابل ما نزل به بالرضا والتسليم ، وليتعز بمصيبته برسول الله فإن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب ، روى الطبرانى وغيره قول رسول الله صلى الله

(١) أى ليدخر أجره عند الله فى الآخرة ، ولا يرجو ثواب الدنيا .

عليه وسلم : (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته فى ، فإنها من أعظم المصائب) .

وفى لفظ بن ماجه ، فليتعز بمصيبته بى ، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعد أشد عليه من مصيبتى . ولله در أبى العتاهية (من بحر الكامل) :

اصبرْ لكل مصيبة وَتجلَّدِ
واعلمْ بأن المرء غيرُ مُخَلدِ
وإذا ذكرتَ مصيبةً تَسْلُو بها
فاذكرْ مُصَابك بالنبيِّ مُحمد

وما أحسن قول القائل فى الصبر والتصبر (أى تكلف الصبر ، وحمل النفس عليه) وهو (من بحر الطويل) :

تصبر ففى اللأواء[1] قد يحمدُ الصَّبرُ
ولولا صروف الدهْر لم يُعرف الْحُرُّ
وإن الذى أبلى هو العون فانتدب[2]
جميلَ الرضا يبقى لك الذكرُ والأَجْرُ
وثق بالذى أعطى ، ولا تَك جازعًا
فليس بحزم أن يُرَوعكَ الضر
فلا نعمٌ تبقى ، ولا نِقمٌ ،
وَلَا يدومُ كِلَا الحالين عُسْرٌ ولا يُسْر

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) .

---

(١) اللأواء : أى الشدة والمحنة .

(٢) انتدب : أى ادع واطلب .

ومن أروع ما قيل فى الصبر ، ما عزاه بعض الأدباء لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . وهو (من بحر الطويل) :

خليلَّى لا واللهِ مـا مِنْ مُلمة
تدوم على حى وإن هى جَـلَّتِ
فإن نزلت يومًا فلا تَخْضَعَنْ لهـا
ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت
فكم من كريـم قد بُلى بنوائبٍ
فصابرَها حتى مضتْ ، واضمحلت
وكانت على الأيام نفسى عزيزةٌ
فلمارأت صبرى على الذل ذلتِ
فقلت لهـا يا نفس مُوتى كريمةً
فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

واعلم أيها الأخ المسلم أن كل إنسان فى هذه الحياة الفانية لا بد أن يبتلى بالمصائب ، ويختبر بالنكبات ، ويمتحن بالنوائب — وما أكثرها — ليعلم هل هو صابر على قضاء الله وقدره فيؤجر ويثاب . أو غير صابر فيحرم من الثواب ويعرض للعقاب .

وأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب دينه . فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة .

هذا وإن المصائب متنوعة . فهذا يصاب بضر فى جسمه . وذاك فى ماله ، وآخر فى أولاده وهكذا .

وهناك مصيبة لا مفر منها ولا مهرب ، تلحق كل إنسان ، وتطرأ على كل مخلوق قد دبت فيه الحياة . وسرت فيه الروح ألا وهى مصيبة الموت .

وإنى أحدثك الآن عن جزاء الصابرين على المصيبة أياً كان نوعها مع ضرب أمثلة برجال ونساء كانوا وكن أروع مثل فى الصبر . واحتمال المصيبة وإليك البيان :

جزاء الصابرين :

قال الله تعالى : **« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »** . (سورة البقرة آيات ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧)

فقد بشر الله الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه ، الراجعين إليه عند صدمة المصيبة ، وحين نزولها ببشارتين عظيمتين :

١ — صلواته وهى غفرانه .

٢ — ورحمته وهى إحسانه ، ثم زادهم الهداية علاوة على البشارتين : فنعمت البشارتان ، ونعمت العلاوة .

وقال عز وجل : **« وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا . . . »** (سورة الدهر)

وقال تعالى : **« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »** .
(سورة الزمر — آية ١٠)

وقال تبارك وتعالى : **« ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »** . (سورة النحل — آية ٩٦)

وقال الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »** . (سورة البقرة — آية ١٥٣)

وروى الإمام مالك فى الموطأ عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أصابته مصيبة فقال : كما أمره الله تعالى : **« إنا لله وإنا إليه راجعون »** . اللهم آجرنى فى مصيبتى ، واعقبنى خيراً منها إلا فعل الله تعالى ذلك به) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى : (إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى إلى عواده أطلقته

من إسارى . ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل) .

(رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما (أى على شرط البخارى ومسلم) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أصيب فى ماله أو فى نفسه فكتمها ، ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له) . (رواه الطبرانى ولا بأس بإسناده)

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) .

وروى أبو موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته ، قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون نعم فيقول : هل قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة ، وسموه بيت الحمد) . (قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث (سن التكليف) إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » (رواه البخارى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه) أى روح صفيه كالولد والأخ وكل من أحبه الإنسان من أهل الدنيا (ثم احتسبه إلا الجنة) (رواه البخارى)

الصابرون والصابرات :

يحدثنا التاريخ أن الخنساء الشاعرة التى أدركت الجاهلية والإسلام قد أرسلت أبناءها الأربعة وهم أشطار كبدها ، ونياط قلبها إلى حرب القادسية فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة لينضموا تحت لواء الجيش الإسلامى بقيادة سيدنا سعد بن أبى وقاص فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فأوصتهم وصيتها المشهورة . وحضتهم على الصبر عند الزحف فقالت : (يا بنى إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم . ولا فضحت أخوالكم . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية : اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وخوضوا غمارها ، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة).

فلما كشرت الحرب عن نابها تدافعوا إليها وتواقعوا عليها وكانوا عند حسن ظن أمهم بهم حتى قتلوا واحداً فى إثر واحد .

ولما أخبرت بموتهم جميعاً لم تزد على أن قالت : (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم . وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ودار رضوانه) .

هكذا يكون الصبر ، وهكذا تكون التضحية فى سبيل الله .

أم سليم وأبو طلحة :

يحدثنا البخارى ومسلم فى صحيحيهما ما معناه أنه مرض صبى (اسمه أبو عمير) لأبى طلحة(١) من أم سليم(٢) ، ثم مات وأبو طلحة خارج البيت ولما رأت أم سليم أن ولدها قد مات لم تجزع ولم تظهر الحزن علماً منها أن لله ما أخذ وله ما أعطى لذلك تذرعت بالصبر ، وغسلت الصبى وكفنته ، ونحته فى جانب

---

(١) أبو طلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة النجارى الأنصارى الخزرجى وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل ، وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا ونخلا ، وكان أحب أمواله إليه بير حاء فجعلها لله يرجو برها وذخرها عنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : له بخ ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين ، (وبير حاء حديقة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل فيها ؛ ويشرب من مائها) .

(٢) أم سليم اسمها سهلة وقيل : الرميصاء بنت ملحان وهى أم أنس بن مالك الصحابى الجليل وخادم الرسول عليه الصلاة والسلام وأولادها من أبى طلحة إخوة أنس بن مالك لأمه . قال الكرمانى : وأم سليم هى زوجة أبى طلحة وأم أنس وخالة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، ولدت بالمدينة المنورة سنة ٥٩٥ ميلادية من أبوين كريمين ، فأبوها ملحان ابن خالد بن زيد بن جندب الأنصارى وأمها أنيقة بنت مالك بن عدى بن زيد اشتهرت أم سليم بالشجاعة ، وضبط النفس ، وبالعلم والفضل ، توفيت سنة ٣٠ هـ .

البيت . وأبعدته عن نظر أبيه ولم يشغلها حزنها عن واجبها فقامت إلى طعام زوجها فهيأته وأعدته . وقامت إلى نفسها ولبست أحسن الثياب .

ولما جاء أبو طلحة قابلته بأحسن ما اعتادت أن تقابله به من البشر والسرور ، فسألها عن حال ابنها فطمأنته وكتمت الأمر حتى لا تزعجه ولا تمنعه من مآربه ، وتحرت الصدق فى جوابها لزوجها حين سألها عن حال ابنه فقالت له : هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، ثم قربت إليه فتعشى ، وتاقت نفسه إليها فمكنته من نفسها ثم اغتسل من جنابته .

ولما أراد أن يخرج للصلاة كعادته أعلمته أن الغلام قد مات . فلما سمع بموت ابنه خرج من فوره للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشغله عن صلاته موت ولده ، وبعد أن أدى صلاة الصبح لمولاه أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما وقع منهما فوقع ذلك موقع الاستحسان من الرسول ، ورضى به ، ودعا لهما بالبركة فى ليلتهما جزاء صبرهما . وحسن إيمانهما ، وأجاب الله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهما وعوضها خيراً فحملت أم سليم تلك الليلة المباركة ثم ولدت غلاماً فجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تمرات فمضغها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وضعها فى فم هذا الصبى وسماه عبد الله (وهو أخو أنس بن مالك لأمه) .

(قال رجل من الأنصار هو عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج) فرأيت تسعة أولاد كلهم قرءوا القرآن يعنى من أولاد عبد الله بن أبى طلحة المولود من تلك الإصابة المدعو لها بالبركة .

وروى عن ذى النون المصرى رحمه الله قال : كنت فى الطواف وإذا بجاريتين قد أقبلتا ، وأنشدت إحداهما تقول : (من بحر الطويل) :

صَبرْتُ عَلَى مَا لَوْ تحَمل بَعْضهُ

جِبالُ حُنين أَوْشكتْ تَتصدعُ

مَلكتُ دُمُوعَ العينِ ثم رَدَدْتُها

إِلَى ناظِرى فالعينُ فى القلب تدمعُ

فقلت : ماذا يا جارية ؟ فقالت من مصيبة نالتنى لم تصب أحداً قط

قلت : وما هي ؟ قالت : كان لى شبلان (أى ابنان صغيران) يلعبان أمامى وكان أبوهما ضحى بكبشين فقال أحدهما للآخر : يا أخى . أريك كيف ضحى أبونا بكبشيه فقام وأخذ شفرته (سكينه) ونحره ، فهرب القاتل فدخل أبوهما فقلت له : إن ابنك قتل أخاه وهرب . فخرج فى طلبه فوجده قد افترسه الأسد ، فرجع الأب ولم يتفوه ببنت شفة ، ومات فى الطريق ظمأ وحزناً .

وأخذت الآكلة(١) عروة بن الزبير فى رجله فأشاروا عليه ببترها . وقالوا نسقيك المرقد(٢) فإن الألم ربما عزب (بعد) معه الصبر .

ثم دخل عليه جماعة فأنكرهم فقال :من هؤلاء ؟ قالوا : إنهم جماعة يمسكونك إن تتفلت من أيدينا ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى ؛ ثم مد رجله ، وأعمل الطبيب فيها السكين ، حتى إذا بلغ العظم أغلى الزيت فى مغارف الحديد . وحسم به الدم وعروة لم ينقبض له وجه . ولم تتغير له سحنة(٣) . ولم تسمع له أنة . ولم يكد يتم الطبيب عمله حتى دخل على عروة رجل يعزيه فقال : إن كنت تعزينى عن رجلى فقد احتسبتها . قال: بل عن ولدك فقد سقط الساعة فى اصطبل وما زالت ترفسه الدواب حتى قتلته .

فما زاد على أن قال : (اللهم إنك أخذت ابناً ، وأبقيت أبناء . وأخذت عضواً ، وتركت أعضاء . اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت) .

ويحكى أن عبد الله بن مطرف لما مات خرج أبوه مطرِّف (بكسر الراء مع التشديد) على قومه فى ثياب حسنة ، وقد ادهن فغضبوا فقالوا : يموت عبد الله ، وتخرج فى مثل هذه (أى المصيبة) مدهناً . قال : أفأستكين لها ؟

---

(١) الآكلة : داء فى العضو يأتكل منه .

(٢) المرقد (بضم الميم وكسر القاف) : دواء يرقد شاربه كالأفيون يسمى الآن البنج .

(٣) السحنة (بفتح السين والحاء ساكنة أو مفتوحة) : الهيئة واللون .

وعروة : هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى من التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ابن أبى بكر ، وخارجه بن زيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث أمه أسماء بنت أبى بكر ، وشقيقه عبد الله بن الزبير . وأخوه لأبيه مصعب بن الزبير ولد سنة ٢٣ هـ فى خلافة سيدنا عمر . ومات سنة ٩١ هـ .

وقد وعدنى ربى تبارك وتعالى عليها خصالا كل خَصلة (بفتح الخاء أى صفة) منها أحب إلى من الدنيا كلها ، قال تعالى :

« وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وأختم هذا الموضوع بنصيحتى إلى كل من تنزل به مصيبة أن يصبر عليها عند أول نزولها ، وساعة وقوعها لأنها ترد على القلب بغتة فيكون للمصيبة شدة ، فإذا صبر الشخص حينئذ كان صبره محموداً ، فيترتب عليه جزيل الثواب ، وعظيم الأجر .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه (كما فى البخارى وغيره) قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة تبكى عند قبر على ابن لها فقال لها : (يا أمة الله اتقى الله واصبرى) فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تكن تعرف الرسول عليه الصلاة والسلام .

فمر بها الفضل بن العباس فقال لها : إن الذى أمرك بالصبر هو النبى صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : يا رسول الله لم أعرفك فاعذرنى فقال لها عليه الصلاة والسلام : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) .

وقد اغتفر لها الرسول عليه الصلاة والسلام ما حصل منها .

(وبعد) فقد نص العلماء كالحافظ بن حجر العسقلانى فى فتح البارى على شرح البخارى . وابن عابدين المسمى بمحمد أمين بن عمر عابدين فى حاشيته المشهورة المسماة برد المختار على الدار المختار على أن تكفير المصائب للذنوب لايتوقف على الصبر وأن المتوقف على الصبر إنما هو الثواب لأن المصائب عقوبات على الخطايا ، والعقوبة لا يشترط الصبر عليها والله أعلم .

امرأة تجزع لموت ابنها(١) ثم تتوب إلى ربها :

كانت فى بلدتى (الشيخ عيسى(٢)) منذ خمسين سنة امرأة تسمى فاطمة بنت رشوان ليس لها فى دنياها إلا ابن وحيد يدعى محمداً وكان يقرأ معى

---

(١) جزع يجزع جزعاً (من باب طرب) حزن ولم يصبر .

(٢) الشيخ عيسى : بلدة من بلاد صعيد مصر ومن أعمال محافظة قنا تقع شمالى مدينة قنا .

فى كتاب القرية هو قرة عينها ، وثمرة فؤادها . وفلذة كبدها . وأملها المرجى .

ولكن الموت اختطفه من بين أحضانها بعد ما استوفى أجله . وانقضى عمره . وهو فى أوائل العقد الثانى من حياته فصارت تلك الأم تصرخ بأعلى صوتها باكية جزعة ، تندب وتنوح . وتلطم خدها ، وتشق ثيابها ، وتدعو بدعوى الجاهلية . وأخذت تسب خالقها بأقذع الشتائم ، وترمى السماء بالحجارة اعتقاداً منها أنها بعملها هذا تأخذ بثأرها من ربها وخالقها . والمنعم عليها ، والذى له ما أخذ وله ما أعطى . وكل شيء عنده بقدر . ولكنها تابت بعد ذلك إلى ربها توبة نصوحاً . وأنابت إلى مولاها حسن الإنابة . وعرفته حق المعرفة فصلت وصامت . وقنتت وخشعت . وصدقت فى قولها . وأخلصت لله فى عملها . وصارت تغسل الموتى من المسلمات بدون أجر ابتغاء وجه الله . وطلباً لرضاه وثوابه . وتحسيناً لعلاقتها بربها .

فشاهدت بعينى رأسى وجهها مشرقاً وضاء بعد توبتها . والرجوع إلى منشئها . عليه علامة التوبة الصادقة وسمة الصلاح والتقوى . وعاشت على ذلك بضع سنين حتى وافاها الأجل المحتوم . وفاضت روحها إلى ربها فتحدث

=على بعد يقدر بتسعة من الكيلو مترات ، وعدد سكانها ثلاث آلاف نسمة تقريباً كلهم مسلمون إلا قليلا من المسيحيين .

وبها قبائل عديدة : كقبيلة كرار ، ومصطفى حسن ، وعثمان ، وعلى حسن ، والدبقشى (الخلايلة) ، وغانم ، ومغنم ، وآل خليفة عوض وشخصى المتواضع منها .

ومن قبائلها أيضاً : الجرابيع ، والحسنية ، وسكوت ، وبدرية ، وجاد الله ، والخضورة .

وسميت بلدتنا بالشيخ عيسى لوجود ضريح فيها لولى من أولياء الله يسمى بالشيخ عيسى ، ولا أعرف مدى صحة صاحب هذا الضريح وتاريخه والعلم لله وحده وبها الآن أكثر من ثلاثين شخصاً من المتعلمين الذين يحملون شهادات عليا منهم شخصى صاحب هذا المؤلف وهذا العدد آخذ فى الزيادة بإذن الله .

وبها أيضاً عدد لا بأس به من الذين يحملون شهادات متوسطة ، وهى الآن بحق آخذة بخطى واسعة فى التعليم ، وسيكون فيها إن شاء الله نهضة تعليمية مباركة ، وبها مسجد عظيم ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم تتبع الأزهر الشريف ومدرسة ابتدائية تتبع وزارة التربية والتعليم ، ووحدة صحية ، ويشتهر أهلها بالاستقامة والهدوء وحب العمل ، بارك الله فيها ، ورفع مكانها فى العالمين .

الناس عنها حديثاً طيباً ، وأثنو عليها ثناء جميلا ، وترحموا عليها ، ودعوا لها بخير .

طيب الله ثراها ، ورحمها رحمة واسعة ، وأسكنها فسيح جناته . ودار رضوانه .

البكاء على الميت وحكمه :

البكاء على الميت جائز متى كان بدمع العين ، ولم يصحبه ندب أو نياحة أو صراخ وعويل .

فنى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا يعذب بدمع العين ، و لا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم . وأشار إلى لسانه .)

وقد بكى عليه الصلاة والسلام على ابنه إبراهيم(١) حين مات بإرسال الدمع من عينيه الشريفتين فقط فقال عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله فقال : (يا ابن عوف ، إنها رحمة — إن العين تدمع ، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) .

(أخرجه البخارى ومسلم)

وروى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أتى رسول الله بأميمة

---

(١) إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد بعد بلوغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام ستين سنة قمرية ، ولم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم ولد باق على قيد الحياة إلا السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وتخير له الرسول صلى الله عليه وسلم مرضعة تدعى أم سيف ، وجعل فى حوزتها سبعاً من الماعز ، لترضعه من لبنها ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام شبيهاً بأبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً ودفن بالبقيع .

وكانت أمه تسمى مارية القبطية بنت شمعون التى ولدت فى قرية من صعيد مصر تسمى حفن (بالحاء والفاء) تقع على الضفة الشرقية لنيل مصر ، أهداها المقوقس عظيم القبط هى وأختها سيرين للرسول عليه الصلاة والسلام وأشياء أخرى ، فاختار الرسول عليه الصلاة والسلام مارية لنفسه ووهب شقيقتها (سيرين) لشاعره حسان بن ثابت فأنجب منها ولده عبد الرحمن بن حسان الشاعر ابن الشاعر ، وأهديت مارية فوصلت إلى المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وتوفيت — سنة ست عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وكان عمر رضى الله عنه يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها عمر رضى الله عنه ودفنت بالبقيع .

إبنة زينب (بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم وزوج أبي العاص بن الربيع ابن خالتها) ونفس أميمة تقعقع (أى تتحرك وتضطرب) كأنها فى شن بفتح الشين المعجمة(أى قربة قديمة يابسة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله ما أخذ . ولله ما أعطى . وكل إلى أجل مسمى) . فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد بن عبادة : (سيد الخزرج) يا رسول الله أتبكي ؟ أو لم تنه عن البكاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما هى رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) .

وورد أنه لما دفن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقبل عبد الله بن مسعود ، وقد فاتته الصلاة عليه فوقف على قبره يبكي وطرح رداءه ثم قال : (والله لئن فاتتنى الصلاة عليك لا فاتنى الثناء عليك ، أما والله لقد كنت سخياً بالحق بخيلا بالباطل ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ما كنت عياباً ولا مداحاً فجزاك الله عن الإسلام خيراً) .

أما الندب : وهو تعديد محاسن الميت كواجملاه . واكبداه ، واجسراه وغير ذلك من ألفاظ الجاهلية .

والنوح : هو رفع الصوت بالندب .

وكذا الإفراط فى رفع الصوت بالبكاء على الميت وإن لم يكن معه ندب ولا نوح فهذا كله حرام ومثل ذلك فى الحرمة :

ضرب الوجه . وشق الجيب ونحوهما ، ونشر الشعر . وتسويد الوجه بالطين وغيره . وإلقاء الرماد على الرأس ، وعدم إتيان النساء الحليلات ، وتحريم بعض الأطعمة مدة معلومة إلى غير ذلك من كل فعل يتضمن إظهار الجزع الذى ينافى التسليم . والقضاء لله رب العالمين .

يشهد لذلك ما ورد فى الصحيحين (البخارى ومسلم) عن عبد الله بن مسعود(١) رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، الصحابى الجليل ، كان من السابقين إلى الإسلام ، تحمل كثيراً من العذاب فى مكة ، وكان قصير القامة قدر ذراع ، كما كان دقيق الساقين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لرجل عبد الله أثقل فى الميزان من أحد شهد بدراً =

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى موسى(١) الأشعرى أنه قال : (أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم : برىء من الصالقة(٢) . والحالقة(٣) ، والشاقة(٤)) .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم عهداً على النساء حين بايعهن ألا ينحن ، فقلن يا رسول الله ، إن نساء أسعدن فى الجاهلية أفنسعدهن فى الإسلام . فقال : (لا إسعاد(٥) فى الإسلام) .

وروى البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة ، مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة) .

وورد فى الحديث الصحيح أن النائحة تكسى يوم القيامة قميصين قميص من جرب(٦) ، وقميص من قطران .

فعن أبى مالك(٧) الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

= وبقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن مسعود من فقهاء الصحابة وعلمائهم بشره الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ، وتوفى سنة ٣٢ هجرية عن أربع وستين سنة .

(١) أبو موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم ينتهى نسب هذا الصحابى الجليل إلى الأشعر وهو : (مرة بن أدد بن زيد بن يشجب) وقيل له : الأشعر ، لأن أمه ولدته والشعر على بدنه ، وهو صاحب الهجرات الثلاث :

١ – هاجر من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة .

٢ – ثم هاجر من مكة إلى الحبشة .

٣ – ومن الحبشة إلى المدينة بعد فتح خيبر .

وكان رضى الله عنه حسن الصوت بالقرآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستمع إليه وكان يقول له : (ذكرنا ربك يا أبا موسى ويقول له : لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود) .

وهو جد أبى الحسن الأشعرى إمام الأشاعرة من أهل السنة ، استعمله الرسول عليه الصلاة والسلام على زبيد وعدن واستعمله عمر رضى الله عنه على الكوفة والبصرة ، وهو أحد الحكمين فى صفين . مات بالكوفة سنة اثنتين وأربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٢) الصالقة (بالصاد والقاف) : هى المرأة التى ترفع صوتها بالندب والنياحة .

(٣) والحالقة (بالحاء والقاف) : هى المرأة التى تحلق شعر رأسها عند المصيبة .

(٤) والشاقة (بالشين والقاف) : هى المرأة التى تشق ثيابها عند نزول المصيبة .

(٥) الإسعاد : هو المساعدة فى النياحة .

(٦) الجرب (بفتح الجيم والراء) : داء يحدث فى الجلد بثوراً صغاراً لها حكة شديدة .

(٧) أبو مالك الأشعرى : هو الحارث بن عاصم الأشعرى (نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة =

عليه وسلم : (أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركوهن — الفخر فى الأحساب(١) . والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران . ودرع من جرب) . (رواه الإمام مسلم وابن ماجه)

والحكمة فى ذلك أن الأجرب سريع الألم لتقرح جلده ، والقطران (وهو النحاس المذاب) يقوى شعلة النار ليكون عذاب النائحة بالنار بسبب هذين القميصين أشد العذاب وأسوأه .

وقد سمع سيدنا عمر بن الخطاب مرة ندباً ونياحة فدخل مكان الصوت . وأخذ يضرب الحاضرات بدرته (أى سوطه) حتى وصل إلى النائحة فضربها حتى سقط خمارها(٢) وقال لمن معه : (إضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكى لشجوكم(٣) ، وإنما تريق دموعها لأخذ دراهمكم ، إنها تؤذى موتاكم فى قبورهم ، وأحياءكم فى دورهم ، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به . وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه) .

وروى أبو داود وغيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : النائحة والمستمعة) .

وعن أسيد بن أبى أسيد التابعى عن امرأة من المبايعات لرسول الله قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المعروف الذى أخذ علينا ألا نخمش(٤) وجهاً ، ولا ندعو ويلا ولا نشق جيباً ، ولا ننشر شعراً) (رواه أبو داود)

= باليمن منها الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى ، ورئيس طائفة الأشاعرة من أهل السنة أبو الحسن الأشعرى) .
قدم أبو مالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأشعريين فى السنة السابعة من الهجرة عند فتح خيبر ، ومات فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه بالطاعون (طاعون عمواس المشهور) وطعن هو ومعاذ بن جبل ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن عقبة فى يوم واحد ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرون حديثاً .

(١) الفخر فى الأحساب : هو التعاظم بمناقب الآباء ، والطعن فى الأنساب : هو أن ينسب الشخص غيره لغير أبيه ، والاستسقاء بالنجوم : هو اعتقاد أن النجوم تؤثر فى نزول المطر .
(٢) الخمار (بكسر الخاء المعجمة) : ما تغطى به المرأة رأسها .
(٣) الشجو (بالشين المفتوحة والجيم الساكنة) : هو الحزن .
(٤) يقال : خمشت المرأة وجهها من بابى ضرب ونصر جرحت ظاهر البشرة ثم أطلق الخمش على الأثر .

(وبعد) فهل يعذب الميت ببكاء(١)أهله عليه بصوت ونياحة أو لا يعذب؟

والجواب أنه لايعذب ولا يؤاخذ لقوله تعالى فى سورة الأنعام . وفى سورة النجم «**ولا تزر وازرة وزرأخرى**» إلا إذا أوصى بالبكاء والنوح عليه كما قال القائل(٢) :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشق على الجيب يا ابنة معبد

لأنه فى هذه الحالة يكون هو الذى قد تسبب فى البكاء والنوح عليه .

وأما ما ورد فى الصحيحين عن سيدنا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) .

وما ورد فيهما أيضاً عن المغيرة بن شعبة(٣)رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه) .

فمحمولان على ما إذا أوصى الميت أهله قبل وفاته بالبكاء والنوح عليه ، أو نقول :

إن المراد بالعذاب فى هذين الحديثين تألم الميت وتأذيه بسماعه بكاء أهله عليه . يشهد لذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر امرأة وهى صفية بنت مخرمة عن البكاء على أبيها وقال : (إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه) .

فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ، وفى رواية لا تعذبوا موتاكم .

---

(١) قيدنا البكاء على الميت فى هذا السؤال بالصوت والنياحة لأن العلماء قد أجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين فإنه جائز ، كما يفهم ذلك من شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم .

(٢) القائل هو طرفة بن العبد (بفتح الطاء والراء) شاعر جاهلى ، وأم معبد هى زوجه ، وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يوصى الشخص قبل أن يموت بالبكاء والعويل عليه مع الندب والنياحة .

(٣) هو المغيرة بن شعبة (بضم الشين وسكون العين) بن أبى عامر بن مسعود الثقفى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم عام الخندق ، وشهد الحديبية ، وكان موصوفاً بالدهاء ، شهد حرب اليمامة ، وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، وشهد القادسية وغيرها استعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات سنة خمسين من الهجرة ودفن بها .

روى عنه من الصحابة : أبو أمامة الباهلى ، والمسور بن مخرمة ، وقرة المزنى ومن التابعين أولاده : عروة ، وحمزة ، وعقار (بالقاف المشددة) ، وروى عنه مسروق ، وقيس ابن أبى حازم وأبو وائل وغيرهم .

ومعنى استعبر له صاحبه أنه يبكى لأجل بكائه ، ويتألم له .

قال الحسن البصرى من كبار التابعين وأجلائهم : (شر الناس للميت أهله يبكون عليه . ولا يهون عليهم قضاء دينه) .

والخلاصة أن الميت إذا كان له تسبب فى البكاء عليه بالصوت فالعذاب على حقيقته . ويعذب بفعل نفسه حيث تسبب فى ذلك ، وإلا فمحمول على تألمه وتأذيه .

علامات حسن الخاتمة وسوئها

حسن الخاتمة : هو الموت على الإيمان ، الموجب للخلود فى الجنان .

ومن أسباب حسن الخاتمة مراقبة الله تعالى على الدوام وهى مقام الإحسان الذى هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، ومن الأسباب أيضاً تقوى الله التى هى رأس الأمر كله . ولحسن الخاتمة وجميل العاقبة علامات كثيرة :

١ ـ منها دوام التوبة النصوح ، وقرع بابها ، والأسف على ما فات مما اقترف الإنسان من الآثام ، فالتوبة تمحو الخطايا ، وتزيل ران القلوب ، وتغسلها من رجس الذنوب ، فقد صح مرفوعاً (إن المؤمن إذا أذنب نكتت نكتة سوداء فى قلبه . فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه) .

٢ ـ ومنها امتلاء جوف الإنسان بالخوف والوجل ، والرهبة والخشية من الخالق الأعظم ذى البطش الشديد أيام صحته وعافيته ، وقبل مرض موته ، ودنو أجله مغلباً الخوف على الرجاء ، قال الله تعالى : **وخافون إن كنتم مؤمنين(١) » ، « ولمن خاف مقام ربه جنتان(٢) » .**

٣ ـ ومنها توفيق الله الإنسان إلى العمل الصالح قبل مجىء الأجل ، وإتيان الموت . فلا تراه إلا منتقلا من الأقل إلى الأجل ، ومن الطالح إلى الصالح ،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

ومن فعل الشر إلى فعل الخير ، ومن ترك الصلاة إلى فعلها والمواظبة عليها إلى غير ذلك من العبادات وفعل الخير .

ففي الخبر (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل : كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت) . (رواه الترمذي والحاكم)

وفي خبر آخر (إذا أحب الله عبداً عسله) بفتح العين والسين المهملتين بالتخفيف والتشديد أي جعله حلواً كالعسل) وهو مجاز عن توفيق الله .

قيل : وما عسله يا رسول الله ؟ قال : (يفتح له عملا صالحاً قبل موته ، ثم يقبضه عليه) . (رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن)

٤ — ومنها أن يموت الإنسان وهو يحسن ظنه بربه ، ويغلب الرجاء على الخوف في مرض موته ، ويطمع في رحمة ربه ، وعفو مولاه لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، يعفو عن السيئات ، ويقيل العثرات ، ويمحو الخطيئات روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته : (أي بثلاث ليال) (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) (أي يظن أنه يغفر له ويرحمه ، ويعفو عنه) .

(رواه الإمام مسلم)

وإذا امتزج خوف العبد برجائه عند سياق الموت كان ذلك محموداً وجميلا . فقد روى أنس بن مالك خادم الرسول رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف) .

(رواه الترمذي وحسنه)

ودخل واثلة(١)بن الأسقع رضي الله عنه على مريض فقال : أخبرني كيف ظنك بالله ؟ قال : أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على الهلكة (أي الهلاك) ولكني أرجو رحمة ربي .

---

(١) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد يا ليل بن ناشب الكناني الليثي . أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك وكان من أصحاب الصفة ، وأقام بالمدينة ثم سكن البصرة وله بها دار ، ثم سكن الشام بقرية البلاط على ثلاثة فراسخ من دمشق ، وشهد فتح دمشق وشهد المغازي بدمشق وحمص ، ثم تحول إلى فلسطين ونزل بيت المقدس ، وتوفي بها سنة ثلاث وثمانين هجرية وهو ابن مائة وخمس سنين .

فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره ، وقال : الله أكبر . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل (أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر) ، وفى رواية : (أنا عند ظن عبدى فلا يظن بى إلا خيراً) .

٥ — ومنها أن يبتسم عند خروج روحه لما يراه من بشائر الرحمة ، كالملائكة التى تدفع عنه الفتان ، وكالنعيم الذى يراه معداً له فى جنة الخلد والرضوان ، كما حصل لعبد الله(١)بن المبارك فإنه لما شارف الموت فتح عينيه وضحك ، وقال : (لمثل هذا فليعمل العاملون) .

٦ — ومنها — أن يعرق جبينه فقد صح مرفوعاً .

(المؤمن يموت بعرق الجبين) رواه الترمذى والحاكم وغيرهما ، وإنما يعرق جبين المؤمن لما يعتريه حينئذ من شدة الحياء لنحو تذكره ما سلف من تقصيره .

٧ — ومنها — أن يظهر عليه نور ساطع ولو على بعض أعضائه كما حدث الشيخ أبو صالح المؤذن قال : مرض الشيخ أبو محمد الجوينى(٢)سبعة عشر يوماً ، وأوصانى أن أتولى غسله وتجهيزه ، فلما توفى غسلته ، فلما لففته فى كفنه رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء ، وهى تتلألأ تلألؤ القمر ، فتحيرت وقلت فى نفسى : هذه بركات فتاويه .

٨ — ومنها — تحدث الناس بالثناء على الميت بالخير فقد روى البخارى

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التيمى المروزى من أتباع التابعين ، أحد الأئمة الأعلام . كان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً سخياً شجاعاً شاعراً . وكان أبوه مملوكاً لرجل من همدان ولكنه أعتقه وزوجه بنته التى ولدت عبد الله هذا .

قال ابن مهدى : الأئمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد ، وابن المبارك ، وقال الإمام حمد : لم يكن فى زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه ، وكان صاحب حديث حافظاً . وقال ابن معين : ما رأيت من يحدث لله إلا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالماً مثبتاً صحيح الحديث . ولد سنة ثمانى عشرة ومائة هجرية ومات منصرفاً من الجهاد فى رمضان بهيت سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة .

(٢) أبو محمد : هو عبد الله بن يوسف الجوينى والد إمام الحرمين (أبى المعالى عبد الملك) المتوفى سنة أربع أو ثمان وثلاثين وأربعمائة بنيسابور ، كان عالماً فاضلا ، صالحاً مباركاً .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (مروا (أى الصحابة) بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : وجبت) . فقال عمر بن الخطاب . ما وجبت ؟ قال النبى عليه الصلاة والسلام : (هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض) والمعتبر شهادة أهل الفضل والصدق لا أهل الفسوق والفجور ، ولا من بينه وبين الميت عداوة ، لأن شهادة العدو لا تقبل .

أما الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله كما قال العلماء . فهى :

التهاون بالصلاة ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، وأذى المسلمين ، وأذى من لهم مالنا وعليهم ما علينا من أهل الذمة والعهد .

وأما علامات سوء الخاتمة فمنها :

اسوداد الوجه ، وزرقة العينين ، ونتن الرائحة ، وتغير صورته عند الموت وتحدث الناس عنه بالشر .

جعلنا الله من أهل الخاتمة الحسنة ، والعاقبة الحميدة ، ومن أهل السعادة فى الدنيا والآخرة(١) .

أحكام تتعلق بالميت

إذا مات ابن آدم ، وفاضت روحه إلى بارئها شد لحياه بعصابة عريضة تعمهما ، ثم تربط فوق رأسه تحسيناً وحفظاً لفمه ، وأغمضت عيناه حتى لا يقبح منظره ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أغمض عينى أبى سلمة ثم قال : (اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وفسح له فى قبره ، ونور له فيه) .

ويقول من يقوم بعملية الإغماض : (باسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم يسر عليه أمره ، وسهل عليه ما بعده ، وأسعده بلقائك ، واجعل ما خرج إليه خيراً مما خرج عنه) .

---

(١) أقول : إن علامات حسن الخاتمة وسوئها إنما هى علامات ظنية وليست بقطعية ، ونحن نسترشد بها ولا نجزم .

وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر ، فإن البصر يتبع الروح . وقولوا خيراً فإنه يؤمن على ما قال أهل الميت) .

(رواه الإمام أحمد وابن ماجه (بالهاء الساكنة لا بالتاء المتحركة) .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث : (فإن البصر يتبع الروح) معناه أن الروح إذا خرجت من الجسد يتبعها البصر ناظراً إليها إلى أين تذهب .

وبعد إغماض عين الميت يغطى جسده كله ببرد ونحوه صيانة له من الانكشاف ، وستراً لعورته .

لما روى أن سيدنا أبا بكر(١) رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وهو مسجى (أى مغطى) ببرد حبرة (بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة بعدها راء) ثوب فيه أعلام ، فكشف عن وجهه وأكب عليه فقبله ثم بكى وقال : (رحمة الله عليك يا رسول الله . ما أطيبك حياً وميتاً) ثم غطاه .

ولما توفى سيدنا عثمان(٢) بن مظعون كشف النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) هو سيدنا عبد الله بن عثمان بن عامر التيمى من تيم بن مرة بن كعب الصحابى الجليل ، والصديق المشهور ، كان صديقاً مخلصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها وهو أول من آمن من الرجال بدون تردد ، وقد أسلم على يديه عدد كبير من سادات العرب منهم : (عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبوعبيدة ابن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف) .

تولى الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد سنتين وثلاثة أشهر من خلافته فاضت روحه إلى بارئها فى ٢١ من جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية (أغسطس سنة ٦٣٤ م) بعد أن أدى للإسلام خدمات جليلة سجلها له التاريخ بمداد من النور .

ولم يمت خليفة وأبوه حى إلا سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، فإن أباه أبا قحافة (عثمان ابن عامر) عاش بعد وفاة ابنه الصديق ، كما ذكره الحافظ السيوطى .

(٢) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن السابقين إلى الإسلام .

أسلم فى الثلاثين من عمره بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وحرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وكان يقول : (إنى لا أشرب شيئاً يذهب عقلى ، ويضحك بى من هو أدنى=

الثوب عن وجهه ، وبكى بكاء طويلا وقبله بين عينيه فلما رفع على السرير قال : (طوبى لك يا عثمان (أى الجنة) لم تلبسك الدنيا ، ولم تلبسها) .

ويوضع على بطن الميت حديدة لئلا ينتفخ (والحديد يدفع الانتفاخ لسر فيه كما قيل والله أعلم) .

وتوضع يداه بجنبه إشارة لتسليمه الأمر لربه .

ومن الأمور المطلوبة بعد ذلك شرعاً أيضاً :

١ – تغسيل الميت :

والأصل فى مشروعيته تغسيل الملائكة آدم عليه الصلاة والسلام فقد روى الحاكم(١) فى المستدرك عن أبى بن كعب أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (كان آدم رجلا أشعر (أى كثير الشعر) طُوالا (بضم الطاء أى طويلا) كأنه نخلة سحوق (أى طويلة) فلما حضره الموت نزلت الملائكة بحنوطه وكفنه من الجنة ، فلما مات عليه الصلاة والسلام غسلوه بالماء والسدر ثلاثاً ، وجعلوا فى الثالثة كافوراً ، وكفنوه فى وتر من الثياب وحفروا له لحداً ، وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه فى قبره ، ووضعوا عليه اللبن ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا : (يا بنى آدم هذه سنتكم من بعده فكذاكم فافعلوا) .

= منى) ، وكان من أشد الناس اجتهاداً فى العبادة ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التبتل والاختصاء فنهاه عن ذلك .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حتى إنه قبله بين عينيه لما مات ، وبكى عليه ودعا له .

شهد غزوة بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات رحمه الله فى شهر شعبان بعد الهجرة بثلاثين شهراً ، وهو أول من دفن بالبقيع وعمره خمس وأربعون سنة تقريباً .

(١) ذكر فى كتاب (نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعى فى تخريج الزيلعى) أن هذا الحديث (أى حديث تغسيل الملائكة آدم عليه السلام) ذكره الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى السنن ، وابن سعد فى الطبقات .

كلهم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عتى (بالعين على وزن حتى) بن ضمرة السعدى عن أبى بن كعب .

ورواه أحمد فى مسنده عن حماد عن سلمة عن الحسن (أى البصرى) .

وقال (أى الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (أى البخارى ومسلم) لأن على بن ضمرة ليس له راو غير الحسن البصرى .

ورواه أيضاً عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فى المسند للإمام أحمد رحمه الله .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : بتغسيل ابنته زينب (زوج أبى العاص وهى أكبر بناته) لما توفيت فى السنة الثامنة من الهجرة وقال لأم عطية ومن معها من النساء : اغسلنها وتراً الحديث .

وقد غسل نبينا صلى الله عليه وسلم بعد موته ، وكذا خليفته أبو بكر من بعده وتوارث الناس تغسيل الميت خلفاً عن سلف إلى يومنا هذا مع عدم الإنكار على ذلك .

ولم يعرف ترك تغسيل الميت إلا فى الشهيد .

والسنة فى المغسل أن يكون أميناً ومتديناً ، وعارفاً كيفية التغسيل .

وإذا رأى من الميت ما يعجبه كاستنارة وجه الميت . وطيب رائحته ، وسرعة انقلابه فى المغتسل جاز أن يتحدث به .

أما إذا رأى ما يكره كسواد وجه الميت وبدنه . ونتن رائحته ، وتغير صورته ونحو ذلك فإنه يحرم عليه أن يتحدث به إلا إذا كان الميت مجاهراً بالفسق والظلم حين حياته فيذكر ذلك وعظاً وزجراً لأمثاله لقوله عليه الصلاة والسلام :

(أذكروا محاسن موتاكم . وكفوا عن مساويهم) (أخرجه أبو داود والترمذى . وصححه بن حبان) .

٢ – تكفين الميت :

يجب تكفين الميت من ماله الخالص . فإن لم يكن له مال فكفنه على من تلزمه نفقته فى حال حياته ، فإن لم يكن لمن تلزمه نفقته مال كفن من بيت المال إن كان للمسلمين بيت مال وأمكن الأخذ منه ، وإلا فعلى جماعة المسلمين القادرين إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

ومثل الكفن فى هذا التفصيل مؤن التجهيز كالحمل إلى المقبرة والدفن ونحوه .

كفن الرجل :

يكفن الرجل للسنة فى ثلاثة أثواب :

١ — درع من أصل العنق إلى القدمين ليس له كمان ولا جيب وهو الشق النازل على الصدر .

٢ — وإزار من الرأس إلى القدمين .

٣ — ولفافة تزيد على ما فوق الرأس والقدم ليلف فيها الميت . وتربط من أعلاه وأسفله .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية (بفتح السين وضمها) منسوبة إلى قرية باليمن تسمى سحول من كرسف (بضم الكاف والسين) أى قطن ليس فيها قميص ولا عمامة .

قال أبو عبد الله الحاكم (تواترت الأخبار عن على وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل رضى الله عنهم فى تكفين النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة) .

وروى عنها أيضاً أنها قالت : نظر أبو بكر إلى ثوب كان يمرض فيه فقال : اغسلوا هذا ، وزيدوا عليه ثوبين وكفنونى فيها قلت : إن هذا خلق (بفتح الخاء واللام) أى قديم قال : (الحى أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة (بفتح الميم والهاء واللام) — وهى دم الميت وصديده ونحوه) .

(رواه البخارى)

كفن المرأة :

وتكفن المرأة للسنة فى خمسة أثواب ، الثلاثة السابقة فى كفن الرجل ، وتزاد عليه خماراً لوجهها ورأسها ، وخرقة عرضها من الثدى إلى الفخذ لربط ثدييها وبطنها ، ويجعل شعرها ضفيرتين ، وتوضعان على صدرها فوق الدرع ، ثم يوضع الخمار على رأسها ووجهها فوق الدرع وتحت الأزار ثم تربط الخرقة فوقه ثم تعطف اللفافة .

ومن أراد توضيحاً وتفصيلا فى كفن الميت أكثر من ذلك فعليه بالكتب

الفقهية ففيها ما يشفي الغلة (بفتح الياء الأولى من يشفي و بضم الغين وتشديد اللام من كلمة الغلة) وهي العطش الشديد ، وفيها ما يريح الفؤاد ، ويوجد الضالة المنشودة .

هذا ويكون الكفن مما كان يلبسه الميت في حياته يوم الجمعة والعيد يكون حسناً فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه) يعني فليختر له من الثياب أنظفها وأبيضها وأسترها لقوله عليه الصلاة والسلام : (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم) (رواه الخمسة إلا النسائي عن ابن عباس وصححه الترمذي ، والحديث أخرجه أيضاً الإمام الشافعي وابن حبان (بكسر الحاء) والحاكم والبيهقي والإمام أحمد بن حنبل وصححه ابن القطان (بفتح القاف وتشديد الطاء) .

ولم يرد في السنة النبوية ما يفعله أولئك المبذرون رياء وسمعة من تكفين موتاهم بالثياب النفيسة التي غلا ثمنها . وارتفعت قيمتها ، ودق صنعها وزاد عددها عما رسمته شريعة الإسلام الغراء . ولا شك أن التغالي في الكفن منهي عنه . وأنه لا فضل لميت حمل إلى قبره في كفن ثمين على غيره ، وإنما الفضل بالتقوى . والعمل الصالح : « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير** »(١).

٣ ــ الصلاة على الميت :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً الصلاة على الميت المسلم . وهي فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين . والمطلوب فيها النية وأربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام ، والقيام فيها من أولها إلى آخرها ، مع استقبال القبلة والطهارة وستر العورة ، والدعاء للميت بخير ، وختمها بالسلام .

وقد فعلها الرسول عليه الصلاة والسلام ، روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (صلى على أصمحة النجاشي فكبر عليه أربعاً) ، وفي لفظ قال : (توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا فصلوا عليه فصففنا خلفه ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ونحن صفوف) (متفق عليهما) .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .

وعن عمران بن حصين(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أخاكم النجاشي قد مات فقوموا فصلوا عليه ، قال : فقمنا فصففنا عليه كما يصف على الميت ، وصلينا عليه كما يصلى على الميت) :

(رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه)

وأمر الله نبيه بالصلاة على الجنازة فقال تعالى في سورة التوبة :

« **وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** » : أي راحة وطمأنينة لهم .

وحث عليها صلوات الله وسلامه عليه ، وحافظ عليها المسلمون من بعده إلى يومنا هذا .

ولشدة حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة على الميت المسلم أنه كان يصلي على قبر من لم يكن قد صلى هو عليه ، ولم يكن لديه مانع من الصلاة عليه.

فقد روى أنه كان بالمدينة امرأة تسمى الخرقاء ، وتكنى بأم محجن (بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الجيم) وكانت تكنس المسجد النبوي وتنظفه . ولما ماتت صلى عليها بعض الصحابة ولم يكن رسول الله أعلم بموتها . ولما فقدها سأل عنها فقالوا له : ماتت قال : أفلا آذنتموني (أي أعلمتموني بموتها) دلوني على قبرها فدلوه فقام على قبرها وصلى عليها ثم قال : (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وأن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم) .

٤ ــ حمل الجنازة وتشييعها :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً أيضاً حمل الجنازة وتشييعها (أي اتباعها) .

والحكمة في ذلك هي : الاتعاظ بالموت ، واستحضار جلاله ، والاستعداد له حتى تخشع القلوب ، وترجع النفوس عن غيها ، وتعلم أن الدنيا عرض زائل ، وحطام فان ، وأن الآخرة خير وأبقى ، وأن العاقبة للمتقين .

وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام على تشييع الجنازة واتباعها ، وجعل جزاء ذلك أجراً كريماً ، وثواباً جزيلا ، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى على جنازة فله

---

(١) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي . أسلم في عام خيبر ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات ، وكان من فضلاء الصحابة ، كما كان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، وكان في مرضه تزوره الملائكة ، وقد طال مرضه بالاستسقاء وهو صابر عليه ، توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ وبقي له عقب فيها .

قيراط . ومن تبعها حتى يقضى دفنها فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أحد (جبل بالمدينة معروف) فذكر ذلك لابن عمر فأرسل إلى عائشة رضى الله عنها فسألها عن ذلك فقالت : صدق أبو هريرة فقال ابن عمر : (لقد فرطنا فى قراريط كثيرة) .

قال أبو عيسى الترمذى : حديث أبى هريرة صحيح قد روى من غير وجه.

ومما حث عليه الشرع وندب إليه الإسراع فى السير بالجنازة إسراعاً وسطاً فوق المشى المعتاد وأقل من الهرولة لما روى فى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنازة فإن تلك صالحة فخير تقدمونه إليها ، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)

(أخرجه الستة)

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما حضرت الوفاة عمر وغشى عليه فأخذت رأسه فوضعته فى حجرى فقال عمر : (ضع رأسى بالأرض لعل الله يرحمنى ، فسح خديه بالتراب وقال : ويل لعمر إن لم يغفر له ! فقلت له : وهل فخدى والأرض إلا سواء يا أبتاه ؟ فقال : ضع رأسى بالأرض لا أم لك كما آمرك ، فإذا قضيت (أى مت) فأسرعوا بى فى حفرتى فإنما هو خير تقدمونى إليه ، أو شر تضعونه عن رقابكم ، ثم بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال خبر السماء : لا أدرى إلى جنة ينطلق بى ، أو إلى نار) .

ويستحب لمن رأى جنازة أن يقول عند رؤيتها :

(الله أكبر) ثلاث مرات . (هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله . وما زادهم إلا إيماناً وتسليما) أو يقول : سبحان الحى الذى لا يموت أبـــداً .

ويباح لمن مشى مع جنازة أن يمشى أمامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها فقد قال أنس بن مالك رضى الله عنه إنه يمشى بين يديها (أى أمامها) وخلفها وعن يمينها وعن شمالها ، رواه البخارى عنه تعليقاً ووصله عبد الوهاب بن عطاء فى كتاب الجنائز ، ووصله أيضاً ابن أبى شيبة وعبد الرازق كما فى كتاب نيل الأوطار للشوكانى .

وقد اختلف أهل العلم هل الأفضل لمتبع الجنازة أن يمشى خلفها أو أمامها؟ فذهب الجمهور وجماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان إلى أن المشى

أمام الجنازة أفضل (فقد روى عن ابن عمر أنه رأى النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة) . (رواه الخمسة)

ما يفعله المشيعون :

ويجب ألا يرفع المشيعون أصواتهم ولو بالذكر وقراءة القرآن ، وقراءة البردة ودلائل الخيرات ونحوها . ومن أراد أن يذكر الله تعالى فليذكره فى نفسه ، وليدع للميت بالخير ، ويكره تزيين النعش بأفخر الثياب ووضع علامات الحرير وحلى المرأة ، وطربوش الرجل أو عمامته ، ومشى جماعات أمام النعش بزى خاص معروف وفى أيديهم المجامر والشموع والأباريق .

لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتبعوا الجنازة بصوت ولا نار) .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً (إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة) .

وقد روى أن أحد المشيعين لجنازة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع صوته بالاستغفار للميت فأنكر عليه عبد الله بن مسعود قائلا له : لا غفر الله لك ، وكان بمسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره ولم ينكر عليه . ومثله ما روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قال فضيل بن عمرو بينما ابن عمر فى جنازة إذ سمع قائلا يقول : استغفروا له (أى للميت) غفر الله لكم فقال له ابن عمر : لا غفر الله لك .

كذلك لا تتبع الجنازة بموسيقى ونحوها كما يفعله أهل مصر فى زماننا .

وكل ذلك لم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام ولا من هدى أصحابه ولا السلف الصالح فهو أمر محدث يلزم منعه واجتنابه . فقد كانوا فى تشييع جنائزهم يلتزمون الأدب والسكون والخشوع حتى إن صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لانشغال الجميع بالتفكير فيما هم إليه صائرون وعليه قادمون

وهذه البدع فضلا عن أنها تحول دون الاتعاظ ، وتذكر الموت المقصود. من تشييع الجنازة تثير الأحزان فى النفوس ولا سيما الموسيقى التى تعزف بنغمات شجيات تعبث بالقلوب ، وتصرفها عن جميل الصبر ، وحسن العزاء .

وإننا لننصح للنساء فى زماننا بعدم اتباع الجنازة وتشييعها حيث يخرجن

معها رافعات أصواتهن بالنياحة والبكاء ، كاشفات صدورهن وسيقانهن وأذرعهن صابغات وجوههن بالسواد وغيره .

فعن الإمام على كرم الله وجهه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا نسوة جلوس فقال لهن : ما يجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة قال : هل تغسلن ؟ قلن : لا قال : هل تحملن ؟ قلن : لا : قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن : لا قال : فارجعن مأزورات (آثمات مذنبات) غير مأجورات (لا ثواب ولا أجر لكن) رواه ابن ماجه بسند ضعيف من رواية (إسماعيل ابن سليمان الأزرق) ، ونقل بن أبى حاتم تضعيفه عن أعلام هذا الفن .

نعم وإن كان هذا الحديث ضعيفاً لكنه وردت آثار تقويه فأصبح حسناً لغيره .

وهنا مسألة جديرة بالبحث والإجابة عنها وهى :

أن بعض الناس عشاق كل غريب ، وهواة كل عجيب . يذيعون ويتحدثون من آن لآخر عن خفة النعش وثقله ، وسرعته وبطئه . ووقوفه وطوافه وطيرانه ، وتعذر دفنه فى مقبرة معينة ، وسهولة دفنه فى مقبرة أخرى

فهل هذا يا ترى صحيح أو غير صحيح ؟

وإليك الإجابة كما وصل إليها علمى واطلاعى فأقول وبالله التوفيق :

تحدثنا السنة النبوية الصحيحة أن سعد بن معاذ زعيم الأوس وسيدهم ، والذى مات شهيداً من جرح أصابه فى غزوة الخندق فى السنة الرابعة من الهجرة بعد حكمه فى يهود بنى قريظة ، قد أكرمه الله بكثرة الحاملين والمشيعين له من الملائكة الكرام واستبشارهم بروحه ، وقدومها إلى الملأ الأعلى وباهتزاز عرش الرحمن له فرحاً وسروراً ، وبخفة جثمانه .

فقد روى أنه كان بادناً (أى عظيم البدن بكثرة لحمه) فلما حمله الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المسلمين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إن له حملة غيركم ، والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش) ، وأخرج النسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا (أى سعد بن معاذ) الذى تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة (أى ضمه القبر بحافتيه) ثم فرج عنه) .

وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) .

وأخرجه أحمد والبزار عن عبد الله بن عمر ، والحاكم عن أسيد بن حضير والطبرانى عن معيقب . وأحمد وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى .

يؤخذ مما تقدم أن بعض من يكرمه الله من عباده المتقين ، وأوليائه الصالحين يكون من إكرامه له تخفيف جنازته على حامليها مهما عظم جثمانه ، وكثر لحم بدنه .

وقد يكون من إكرامه أيضاً الإسراع به إلى ما أعده الله له من النعيم المقيم ، والفضل العظيم : « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » .

على أنه ليس ببعيد أن نقول : إن روح الميت الصالح عند الله وهى مدرجة بين جسده وكفنه قد عاونت وساعدت الحاملين للجنازة .

ومعلوم أن للروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة ، والنفاذ والهمة والسرعة ما ليس للروح المحبوسة فى البدن .

فحصلت بمعاونة الروح ومساعدتها للحاملين للجنازة هذه الخفة وتلك السرعة للميت وهو على النعش لترى ما أعده الله لها من النعيم فى قبرها وفى برزخها وهى مع هذا تقول للملائكة المصاحبين للنعش وهو محمول قدمونى . قدمونى أى اسرعوا بى لأرى ثواب عملى الصالح الذى عملته .

فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها (أى يا حزنى ويا هلاكى) أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق (أى مات) .

أقول : إن ما عدا خفة الجنازة وإسراعها من وقوفها وبطئها ، وطوافها ، وتعذر دفن الميت فى مقبرة معينة وسهولة دفنه فى أخرى فلا أعلم أن له أصلا فى الدين الإسلامى ، وإنما مرجع بعض ذلك إلى فعل الحاملين للجنازة .

فتارة يكونون مجهدين متعبين ، ونفوسهم غير نشيطة ، وصدورهم غير منشرحة ، أو ضعاف الأجسام فيجدون للجنازة ثقلا فيقفون ، أو يسيرون بها سيراً بطيئاً .

وتارة يكون النشاط والقوة متوفرين عندهم ولهم غرض من وراء ذلك إذا كان الميت من أرباب ... المشهورين ، أو من قبيلة عرفت بالولاية والصلاح مهما كان حال هذا الميت ، فيأتون بالعجب العجاب فيجرون بالجنازة نحال مزرية ، وبفعلة شنعاء ، وأغاريد النساء تنطلق هنا وهناك ، وتهاليل الرجال تنتشر فى الفضاء ، والأعناق تشرئب (أى تمتد) من المنازل لرؤية النعش الطائر فى نظرهم ، ثم يطوفون بالجنازة حول الأضرحة ثم يوقف بها عند باب كل ضريح ذهبوا إليه ، أو يطوفون بها حول القرية من منزل إلى آخر وهكذا دواليك حتى يتعبوا ويتعب غيرهم ، وتمر على ذلك ساعات وساعات .

وغرضهم وغرض من يعاونهم إثبات كرامة للميت ، وهذا الطواف وما ماثله لا يقره الشرع ، لأنه قد يجر إلى إفساد عقائد العامة . مع ما فيه من فوات سنة الإسراع بالدفن ، ومن السنة إكرام الميت بالتعجيل بدفنه بعد التثبت من موته .

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) .

بقى طيران النعش من فوق أكتاف الحاملين له كما يزعمون ، فهل هذا يا ترى إذا وضع النعش فى سيارة برية ، أو سفينة بحرية يطير أو لا يطير ؟ الجواب : أننا لم نر أو نسمع ممن يوثق به أن نعشاً قد طار بنفسه وهو موضوع فى سيارة أو سفينة .

ألا فليتق الله الحاملون للجنازة ، ويتجردوا من أهوائهم وأغراضهم المخالفة للشريعة الإسلامية الطاهرة النقية من شوائب الأوهام والضلال ، وليثوبوا إلى رشدهم وعقولهم ، وليتركوا الأفاعيل الشيطانية :

« إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » .

نعم إذا ما رأينا نعشاً قد طار فعلا فى الجو ، وشاهدناه عياناً ، وكان الميت عبداً صالحاً تقياً فهذا الطيران من غير شك يكون كرامة لهذا الميت وهى أمر خارق للعادة أظهره الله على يد هذا العبد الصالح .

فقد أخرج البخارى من طريق هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى قال :

لما قتل الذين ذهبوا إلى بئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن الطفيل(١) من هذا ؟ وأشار إلى قتيل فقال له : هذا عامر بن فهيرة . فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى لأنى أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .

وقال عامر بن الطفيل أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه : من الرجل الذى لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قال : (هو عامر بن فهيرة ، وفى رواية إن الملائكة وارت جثته . وأنزل عليين) .

وعلى كل حال فإن الروايتين قد اتفقتا على أن عامر بن فهيرة رفع إلى السماء بعد قتله ، وهذا الرفع تكريم من الله له ، ويعد كرامة لعامر وأمراً خارقاً للعادة أظهره الله على يد هذا القتيل الصالح الذى صحب الرسول عليه الصلاة والسلام وأبا بكر الصديق وتشرف بخدمتهما أثناء الهجرة معهما من غار ثور إلى المدينة المنورة . والله أعلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » .

٥ – دفن الميت :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً دفن الميت فى قبر يستره ، وقد أجمع المسلمون على أن دفن الميت ومواراة بدنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

قال جل شأنه فى سورة عبس : « **ثم أماته فأقبره** » : أى أمات الله الإنسان وجعل له قبراً يواريه ويستره تكريماً له .

ويحسن أن يدفن الميت بقرب قوم صالحين فقد أخرج ابن عساكر عن

---

(١) عامر بن الطفيل (بالتصغير) بن مالك العامرى . كان سيد بنى عامر فى الجاهلية ، وعامر هذا لم يختلف أهل النقل من المتقدمين أنه مات كافراً ، وأنه هو الذى قتل القراء السبعين بعد ما بلغوا بئر معونة ، وانضم إليه قبائل رعل وذكوان والقارة فهجم بهم على القراء الوادعين ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمرى وأخذ أسيراً ثم أعتقه عامر بن الطفيل كبير الغادرين ولما عاد عامر بن الطفيل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فأصابته غدة مات بها .

ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا مات أحدكم فأحسنوا كفنه ، وعجلوا إنجاز وصيته ، واعمقوا له فى قبره ، وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله : وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال : هل ينفع فى الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال كذلك ينفع فى الآخرة) .

وذكره الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس بن مالك عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بالجار السوء) .

قال القرطبى فى التذكرة : قال علماؤنا : ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ، ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم ، وتنزله بإزائهم وتسكنه فى جوارهم تبركاً بهم ، وتوسلا إلى الله عز وجل بقربهم . وأن تجتنب بميتك قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجارته . والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء فى الحديث .

يروى أن امرأة دفنت بقرطبة فأتت أهلها فى النوم فجعلت تعتبهم وتشكوهم . تقول : (ماوجدتم أن تدفنونى إلا إلى فرن الجير . فلما أصبحوا نظروا فلم يروا فى ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير فبحثوا وسألوا عمن كان مدفوناً بإزائها فوجده رجلا سيافاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فأخرجوه من جواره (ذكر هذا أبو محمد عبد الحق فى كتابه العاقبة) .

وقال ابن أبى الدنيا(١) : حدثنى محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبد الله ابن نافع قال :

---

(١) ابن أبى الدنيا : هو أبو بكر عبد الله بن عبيدة (بفتح العين وكسر الباء) ابن سفيان ابن قيس القرشى مولى بنى أمية المعروف بابن أبى الدنيا البغدادى الحافظ المتقن ، صاحب التصانيف الكثيرة فى الزهد والرقائق .

قال عنه أبو حاتم : إنه بغدادى صدوق ، ولد سنة ٢٠٨ هجرية ، وتوفى سنة ٢٨١ هجرية فى شهر جمادى الأولى .

سمع من أكابر شيوخ وقته كسعيد الواسطى ، وخلف بن هشام البزار ، وأحمد بن حنبل المروزى ، وروى عنه كثير من المتقنين كالحارث بن أبى أسامة ، ومحمد بن خلف ، وعمرو ابن سعيد القراطيسى وغيرهم وكان ابن أبى الدنيا مؤدب المعتضد وغيره من أولاد الخلفاء العباسيين .

ولقد كان رحمه الله معروفاً بالفضل والعلم والنبوغ .

(مات رجل من أهل المدينة فرأى رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ، ثم إنه بعد سابعة أو ثامنة من موته رآه كأنه من أهل الجنة فقال : ألم تكن ؟ قلت : إنك من أهل النار . قال : قد كان ذلك ، إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع فى أربعين من جيرانه فكنت منهم) .

والسنة فى الدفن اللحد ، وإن كانت الأرض رخوة فلا بأس بالشق ، والأصل فيه قوله عليه الصلاة والسلام : (اللحد لنا ، والشق لغيرنا) .

(رواه أبو داود والترمذى)

وأخرج الإمام مسلم عن سعد(١) بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال فى مرضه الذى مات فيه : ألحدوا لى لحداً ، وانصبوا على اللبن (أى الطوب الذى لم يحرق) كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن عبد الله أنه عليه الصلاة والسلام ألحد ونصب عليه اللبن نصباً ورفع قبره من الأرض نحو شبر .

وروى أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم لما توفى اختلف الناس فى أن يشق له عليه السلام فى قبره بأن يحفر وسط القبر حفيرة ثم يوضع فيها ويسوى عليه باللبن أو يلحد بأن يحفر القبر بتمامه ثم يحفر فى جانب القبلة حفيرة ثم يوضع فيها عليه السلام ويسوى عليه باللبن . وكان أبو طلحة الأنصارى لحاداً وأبو عبيدة(٢) بن الجراح شاقاً فبعثوا رجلا إلى أبى عبيدة ورجلا إلى أبى طلحة فقال العباس بن عبد المطلب اللهم خر لنبيك أحب الأمرين (أى اجعل الخير فى أحب الأمرين اللحد أو الشق) فوجد الرجل أبا طلحة ولم يجد أبا عبيدة وكان العباس رضى الله عنه مستجاب الدعوة .

---

(١) هو سعد بن مالك (أبى وقاص) الزهرى أسلم وهو ابن ١٧ سنة فغضبت أمه وحزنت لإسلامه ، شهد جميع الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مشهوراً بالشجاعة والبطولة ، فتح العراق والفرس وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) أبو عبيدة بن الجراح : هو الصحابى الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال يتصل نسبه بفهر بن مالك ، لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمين هذه الأمة وبشره بالجنة ، شهد بدر وبقية الغزوات ، وقال فيه سيدنا عمر رضى الله عنه قرب وفاته : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته . مات رحمه الله فى سنة ١٨ هـ بالشام بالطاعون الذى ظهر بالشام وهو يتولى هـ. مركز القيادة .

ويستحب الجلوس عند القبر بعد دفن الميت بقدر ما ينحر جمل ويقسم لحمه مع تلاوة شيء من القرآن والدعاء للميت لأنه يستأنس بالحاضرين وينتفع بالدعاء وقراءة القرآن .

فقد ورد عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) رواه أبو داود والحاكم وصححه . واستحب ابن عمر رضى الله عنهما قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها عند القبر بعد الدفن (رواه البيهقى بسند حسن)

وروى الإمام مسلم وغيره أن عمرو بن العاص رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنه فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شناً ثم أقيموا حول قبرى ما ينحر الجزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وتنظروا ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل . قوله : (فشنوا على التراب شناً) بالشين المعجمة ومعناه : التفريق ويروى بالسين المهملة ومعناه : صب التراب قليلا قليلا ، أو الصب فى سهولة .

ومن السنة أن يرفع القبر عن الأرض قدر شبر ليعرف أنه قبر . ويحرم رفعه زيادة على ذلك روى عن أبى الهياج الأسدى (حبان بن حصين) قال : قال لى على بن أبى طالب : (ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) .

قال الترمذى : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض إلا بقدر ما يعرف أنه قبر لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه .

وقد كان الولاة يهدمون ما بنى فى المقابر مما زاد على المشروع عملا بالسنة الصحيحة .

قال الشوكانى : والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم .

التعزية :

ومن الأمور المطلوبة التعزية وهى التصبر والحمل على الصبر بذكر ما يسلى المصاب ، ويخفف حزنه ، ويهون عليه مصيبته لقوله صلى الله عليه

وسلم : (ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة) .

(رواه ابن ماجه والبيهقى بإسناد حسن عن عمرو بن حزم)

وقوله عليه الصلاة والسلام : (من عزى مصاباً فله مثل أجره) .

(رواه ابن ماجه والترمذى قال : الإمام النووى إسناده ضعيف)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من عزى ثكلى كسى بردين فى الجنة) : أى كسى من ثياب الجنة الفاضلة .

(رواه أبو برزة مرفوعاً قال الترمذى : ليس إسناده بالقوى)

وقت التعزية :

ووقت التعزية من حين الموت إلى ثلاثة أيام إلا أنها بعد الدفن أفضل لأن أهل الميت قبل الدفن يكونون مشغولين بالتجهيز والتكفين ثم إن وحشتهم بعد الدفن أكثر وتكره بعد تلك المدة إلا إذا كان المعزى أو المعزى غائباً فإنها لا تكون حينئذ مكروهة ، وقد كان الناس فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفى زمن أصحابه والسلف الصالح ينصرفون بعد دفن الميت إلى مصالحهم ويعزى أهل الميت حين المقابلة فى الثلاثة الأيام الأولى ، ولم يثبت أنهم جلسوا فى مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم كما فى زماننا هذا .

وليس للتعزية صيغة خاصة إلا أن أحسن صيغة تقال فيها . . هى التى كان يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى) .

وقد تعورف فى البلاد المصرية صيغ كثيرة منها أن يقول المعزى لصاحب المصيبة : ضاعف الله أجرك وغفر لميتك ، ومنها بارك الله فى حياتك ومنها أعظم الله أجرك وما أشبه ذلك ويقول صاحب المصيبة (استجاب الله دعاءك ورحمنا وإياك) .

قال العلماء . فإن عزى مسلماً بمسلم قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، وإن عزى مسلماً بكافر قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وإن عزى كافر بمسلم قال : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك وإن عزى كافراً بكافر قال : (أخلف الله عليك) .

وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى (أى يقول : آمين) ويقول للمعزى آجرك الله .

ويستحب أن تعم التعزية جميع أقارب الميت إلا المرأة الشابة التى يخشى منها الفتنة وكذلك الصغير الذى لا يميز فإنه لا يعزى . ويكره تكرار التعزية لأن تكرارها يجدد الحزن والأسى للمصاب وفى التكرار مخالفة لما كان عليه الرسول وسلفنا الصالح .

طائفة من التعـازى :

١ – عزى أعرابى ابن عباس فى أبيه العباس رضى الله عنهما فقال : (خير من العباس صبرك بعده ، والله خير منك للعباس) فقال : ابن العباس : ما عزانى أحد بأفضل من تعزيتك .

٢ – وكتب عبد الله بن المقفع(١) تعزية لصديق له فى ولده فقال : أعظم الله على المصيبة أجرك ، وأحسن على جليل الرزء ثوابك ، وعجل لك الخلف ، وذخر لك الثواب عليه (٢) .

٣ – وكتب شخص إلى صديق له يعزيه فى أخيه المتوفى فقال : ما تصنع يا أخى والقضاء نازل ؟ والموت حكم شامل . وأنت أن تعلم نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر (٣) ، فصبراً صبراً .

ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها(٤) ، كما أن متون(٥) الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها ، وقدر الله هو المقدر ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر وكلما كان من الرزء أوجع كان عليه الأجر أوسع .

---

(١) عبد الله بن المقفع هو الكاتب المعروف ، والأديب المشهور ، فارسى الأصل عربى النشأة ، ولد سنة ١٠٦ هـ ونشأ بالبصرة وقتل فى عهد الخليفة المنصور العباسى بتهمة الزندقة والإلحاد سنة ١٤٢ هـ .

(٢) ذخر لك الثواب : أى ادخر لك الثواب إلى يوم الجزاء .

(٣) عزائم الصبر : قواه أى بالصبر القوى .

(٤) فحول الرجال : عظماؤها ، لا تستفزها : لا تستخفها ولا تزعجها ، والخطب : الحوادث العظام .

(٥) متون الجبال : ظهورها .

الرسول صلى الله عليه وسلم من مرض موته إلى دفنه في قبره الشريف

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم :

مرض الرسول : لما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صفر فى السنة الحادية عشرة من الهجرة ابتدأ مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابه الصداع والحمى ، ولما اشتد عليه المرض سأل نساءه أن يمرض فى بيت عائشة فأذِنَّ له ، فلما اشتد به الألم عندها جعل يأخذ الماء بيده ، ويجعله على رأسه ويقول : واكرباه — فتقول فاطمة(١) بنت محمد — واكربى لكربك يا أبتى — فيقول لها : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا كرب على أبيك بعد اليوم) ثم أخذ يتوعك توعكاً شديداً . وروى عن عبد الله بن مسعود قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته فقلت يا رسول الله : (إنك لتوعك وعكاً شديداً قال : أجل) إنى أوعك كما يوعك الرجلان منكم قلت إن لك أجرين قال : نعم (والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجر) . ومعنى يتوعك أى يتألم من شدة الحمى التى أصابته عليه الصلاة والسلام .

---

(١) ولدت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها قبل الرسالة بخمس سنوات ، وكانت أحب النساء إلى أبيها ، تزوجها الإمام على بعد أن بلغت من العمر ١٩ سنة ، وكان زواجها بعد الهجرة بسنتين على أربعمائة درهم لها ، وبعد عام من هذا الزواج الميمون الذى باركه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعا للزوجين بقوله : (بارك الله لكما وعليكما وأسعدكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب) ، وضعت ابنها الحسن ، ثم بعد تمام سنة وأشهر وضعت الحسين ، ثم محسناً بعد ذلك ولكنه مات قبل وفاة أمه .

وتوفيت السيدة فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة أبيها بستة أشهر ، وكانت وفاتها رضى الله عنها لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ١١ هـ وهى فى الثامنة والعشرين من عمرها ودفنت بالبقيع ، طيب الله ثراها ، ورضى عنها .

وقالت عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى اللهعليه وسلم) .

سكرات موته صلى الله عليه وسلم :

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : (اللهم أعنى على سكرات الموت ، لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات . ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول : (إلى الرفيق الأعلى(١) إلى الرفيق الأعلى) ومالت يده فى الماء حتى قبض ورأسه الشريف على صدرى قالت فلما خرجت نفسه (أى روحه) لم أجد ريحاً أطيب منها .

وقالت أيضاً : (إن من نعمة الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى يومى . وفى بيتى وبين سحرى (بفتح فسكون الرئة وأعلى البطن) ونحرى ، وأن جمع بين ريقى وريقه عند الموت .

وقالت : كان أول من دخل عليه بعد الوفاة عمر بن الخطاب ، والمغيرة ابن شعبة رضى الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما ، وجذبت إلى الحجاب فنظر عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : واغشياه ! ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة يا عمر : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : (كذبت بل أنت رجل تحوشك (أى تغشاك) فتنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين) .

وقام عمر يخطب الناس ، ويتوعد بالقتل من قال مات رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : ويقول : (إن رسول الله فى غشية) .

ولم يكن أبو بكر موجوداً لأنه كان بالسنح (إحدى محال المدينة فى أطرافها وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج) ولما علم بموت رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً حزيناً ، فاستأذن ابنته عائشة فأذنت له فدخل

---

(١) (الرفيق الأعلى) معناه الإلحاق بالله تعالى ، والأعلى هنا مأخوذ من علو المكانة والمنزلة لا المكان الذى يستحيل على الله تعالى ، وقيل : المراد بالرفيق الأعلى (الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون) .

ورسول الله مغطى ببرد حِبْرة (بكسر الحاء وفتح الباء) فكشف عن وجهه وجثا عليه يقبله ويبكي ويقول : رحمة الله عليك يا رسول الله . ما أطيبك حياً وميتاً ، ثم غطاه ، وخرج سريعاً إلى المسجد يتخطى الناس وهم في المسجد يبكون ويموجون حتى أتى المنبر ونادى الناس فجلسوا وأنصتوا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في خطبته المشهورة : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين .

(سور آل عمران آية ــ ١٤٤)

فقال عمر : فكأني لم أتل هذه الآية قط .

غسله عليه الصلاة والسلام :

روى ابن ماجه بسند جيد عن ابن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أنه قال : « إذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غَرْس (بفتح الغين وسكون الراء) لأنه كان يشرب منها » .

وقد تولى غسل رسول الله علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله : فجعلوا يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر ، فغسل رسول الله ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح (بضم القاف أي الخالص) .

والثانية بالماء والسدر (ورق النبق) والثالثة بالماء والكافور . وكان علي رضي الله عنه يقول : وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً وجعل سيدنا علي خرقة على يده وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه ، وحنطوا مساجده (أي وضعوا الرائحة الطيبة على مواضع سجوده . وهي الجبهة واليدان والركبتان) ومفاصله ، ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً ونداً .

كفنه صلى الله عليه وسلم :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة .

(رواه ابن ماجه وغيره . وهي إزار ورداء ولفافة)

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم :

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته ثم دخل الرجال عليه أرسالا (بفتح الهمزة أى جماعات متتابعين) يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فأول من صلى عليه حسب وصايته صلى الله عليه وسلم أهل بيته .

دفنه صلى الله عليه وسلم :

تفاوض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى دفن النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ندفنه بمكة بلده الذى ولد به . وقال بعضهم ندفنه بالبقيع (جبانة أهل المدينة). وقال آخرون ندفنه فى بيت المقدس مدفن الأنبياء . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه فاعتمد الصحابة على خبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته فى بيت السيدة عائشة فحفر قبره الشريف أبو طلحة (زيد ابن سهل) فى موضع فراشه حيث فاضت روحه الطاهرة وفرش شُقْران(١) خادمه فى قبره قطيفة نجرانية كان يتغطى بها ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك ، وقيل أخرجت هذه القطيفة بعدما وضعها شقران فى القبر الشريف كما قال الحافظ السخاوى فى ألفية السيرة .

وفرشت فى قبره قطيفة وقيل أُخرجت وهذا أَثبَتُ

ونزل قبره صلى الله عليه وسلم عمه العباس وابناه الفضل وقُثم (بضم القاف القاف وفتح الثاء) . وعلى بن أبى طالب وأنزلوا رسول الله عليه الصلاة

---

(١) شقران (بضم الشين وسكون القاف) : خادم الرسول صلى الله عليه وسلم ومولاه اشتهر بهذا اللقب ، واسمه صالح ، كان عبداً حبشياً لعبد الرحمن بن عوف فأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وشهودها ، وأوصى به الرسول عليه الصلاة والسلام عند موته وقد حضر شقران غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والسلام فى القبر . وألحد فيه . ونصب عليه اللبنات (بفتح اللام وكسر الباء) التسع ولم يشق قبره . ثم واروه التراب ليلة الأربعاء .

ورش بلال(١) قبره الشريف بقربة مملوءة ماء بدأ من قبل رأسه . وجعل عليه حصباء حمراء وبيضاء (والحصباء : الرمل) . ورفع قبره من الأرض قدر شبر .

وقد توفى رسول الله فى صبيحة يوم الاثنين ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١١ هجرية الموافق ٨ من يونيه سنة ٦٣٣ ميلادية ودفن عليه الصلاة والسلام ليلة الأربعاء ١٥ من شهر ربيع الأول وسبب تأخير دفنه اشتغال الصحابة ببيعة أبى بكر حتى تمت .

فيكون عمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ٦٣ سنة قمرية كاملة . وثلاثة أيام . وإحدى وستين سنة شمسية وأربعة وثمانين يوماً .

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة . وأدى الأمانة ، وترك فى الناس أمرين لن يضلوا بعده أبداً ما داموا متمسكين بهما كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) هو سيدنا بلال بن رباح (بفتح الراء) واسم أمه حمامة ، وكانا من الحبشة . ولد بعد ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعشر سنين ، وتوفى بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بعشر سنين وهو ابن ٦٣ سنة فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه ، وهو من السابقين إلى الإسلام ، والذين عذبوا تعذيباً أليماً ، اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام للأذان لأنه كان حسن الصوت جميل الإلقاء .

شهد بلال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، ولما توفى عليه الصلاة والسلام امتنع عن الأذان رغم إلحاح الخليفة الأول والثانى عليه وقال : ما أملك صوتاً بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأرسله سيدنا عمر رضى الله عنه إلى بلاد الشام للجهاد فى سبيل الله كرغبته ، وفى سنة عشرين من الهجرة توفى سيدنا بلال ، ودفن بمقبرة دمشق .

القسم الثانى

فى الكلام عن أحوال الميت من وضعه فى لحده إلى أن يبعث من قبره

القبر :

القبر : هو تلك الحفرة الضيقة التى لا أنيس بها ولا جليس ، ولا صديق ولا سمير ، اللهم إلا عمل صالح قدمه الميت قبل وفاته فهو أنيس فى قبره ، ومزيل وحشته فى رمسه .

القبر : هو ذلك المكان الذى يضم بين جوانبه الجثث الهامدة التى لا حراك بها ، ولا نبض فى عروقها ، والأجسام البالية ، والعظام النخرة . والأشلاء المبعثرة ، والشعور المتناثرة ، والأوصال المتقطعة .

رُبَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا
ضاحك من تزاحم الأَضداد
ودَفِين على بقايا دفين
فى طويل الأَزمان والآباد[1]

القبر : معول هدم الرءوس والأبدان ، وبيت الهوام والديدان ، ومسيل الصديد والدماء ومحط البلى والفناء .

القبر : موطن العظماء والحقراء ، والحكماء والسفهاء ، ومنزل الصالحين السعداء ، والطالحين الأشقياء .

القبر : محكمة السؤال والمناقشة ، والاختبار والمراجعة ، والاضطراب والأهوال ، والتوفيق والتثبيت :

---

(١) الآباد جمع للأبد والبيتان لأبى العلاء المعرى الشاعر الفليسوف العربى .

القبر : إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، وإما دار كرامة وسعادة ، أو دار إهانة وشقاوة .

قال سيدنا (١) عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : (يا فلان . لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه . إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه ، بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة ، وطيب الروح ، ونقاء الثوب .

مناجاة أهل القبور للإمام على كرم الله وجهه :

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين(٢)(بكسر الصاد وبالفاء المشددة مع الكسر) وأشرف على القبور قال :(٣) (يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، والقبور المظلمة ، يأهل التربة ، يأهل الغربة ، يأهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ، ونحن لكم تبع لاحق) .

أما الدور فقد سكنت ، وأما الأزواج فقد نكحت ، وأما الأموال فقد قسمت ، هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال :

أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

أيها القـــبر :

كتب الأستاذ : أحمد شوقي محمد العدل كلمة قيمة تحت هذا العنوان في مجلة الإسلام في عددها التاسع والأربعين من سنتها السابعة فقال :

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحاكم العادل ، والزاهد الورع ، والطاهر العفيف والصالح التقى . ولد بالمدينة سنة ٦٢ هجرية ثم نقل إلى مصر وهو صغير حيث أسندت ولاية مصر إلى أبيه ، ثم رجع إلى المدينة بعد فترة قصيرة ليتأدب ويطلب العلم بها ، ثم تولى إمارتها من سنة ٨٧ هـ إلى سنة ٩٣ هـ ، ثم عزل فسافر إلى الشام ، وأقام بها ست سنوات ، ثم ألقيت إليه مقاليد الخلافة سنة ٩٩ هـ وبقى فيها سنتين ونصف سنة ، وقد توفى في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة واحد ومائة هجرية في قرية بدمشق تسمى بدير سمعان ، ودفن بها وكان عمره رضى الله عنه ٣٩ سنة .

(٢) صفين : موضع يقع على الشاطىء الغربى من نهر الفرات بالقرب من الرقة ، كانت به الموقعة التاريخية المشهورة التى حدثت في أول شهر صفر في السنة السابعة والثلاثين من الهجرة بين الإمام على ومعاوية .

(٣) هذه المناجاة ، أو مخاطبة أهل القبور للإمام على مدونة بكتاب نهج البلاغة صفحة ١٧٣ من الجزء الثانى الذى شرحه الشيخ محمد عبده .

أيها القبر : أنت المثابة(١) للناس جميعاً ، والباب الذى خلع عليه الدهر سكونه ورهبته ، والزاوية المعتمة فى عين الشمس . والقبة الزرقاء لعشاق السكون ، والسطور الوضاءة لسكرات الحزن ، والنور الوهاج لحديث الدموع والترياق الناجع لمعذب الحس ، والشاطىء الأمين لساحل النكبات ، والراحة للجسم الهالك ، والدفء الهادىء للبدن المرتجف .

أيها القبر : إنى أجد فى سكونك المفزع شفاء لهمسات روحى المضطرمة(٢) ونيران نفسى المتوهجة ، وألم حسى الفادح البالغ ، وعذاب حياتى الشامل ، قصدتك وأنا السليم المتلوى الصابر المتوجع الحزين الوامق(٣) ، الجائش الصدر ، الهائج الحزن ، الصامت الألم ، الشاعر المكلوم ، النائح المصدور ، لألتمس فى ديارك الرحيبة دمعة أطفىء بها لوعتى ، وأبرد بها غليل صدرى ، نعم قصدتك لألتمس الراحة من عناء أفكارى الصارخة ، وأحاسيس نفسى الطاغية المتوثبة .

فوقفت بين الأجداث الجاثمة فى تربتها الغبراء أستمطر الرحمات لنفسى وللهاجعين فى تلك الحفر التى يثير منظرها كمين الشجون ، ويستمطر ماء العيون .

وقفت حيث هناك السكون الرهيب ، فلم أسمع نأمة(٤) ولا حركة إلا هبات النسيم تمر مرور التسليم والتحيات ، ملؤها همسات الخوف والفزع ، حيث تذكر الموت وسلطانه . وقفت وقفة المستعبر المستغرق فيما أرى من مصارع الملوك والسوقة والجبابرة ، وقادة الفكر ، وعلماء الفن ، وقرأت فى تضاعيف مآلهم أن الإنسان مهما أوتى من كل شىء سبباً لا يملك أن يفلت من حبالة(٥) هذا الصياد الخفى الذى يتخلل صفوف البشر وهم عنه لاهون .

نعم قرأت فى تلك الصفحات : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** » . وأن كل من اضطربت فى جسمه الروح سالك

---

(١) المثابة : المرجع .
(٢) المضطرمة : المشتعلة .
(٣) الوامق : المحب .
(٤) نأم : أن أنا خفيفاً ، والنأمة اسم مرة من نأم .
(٥) الحبالة (بكسر الحاء وفتح الباء مخففة) : شبكة الصياد .

سبيل السالفين . صائر لا محالة حيث صاروا ، انساقت مشاعرى حيث وكر الخيال ، وجثا على الحس شبح مخيف ، ولكنه حبيب إلى نفسى المتألمة المحزونة فتلفت فلم أر إلا الحزن مخيما مرتسما على كل شيء ، ولم أر فى الشمس لألاءها ولا فى السماء صفاءها ، ولا فى الزهرة نضرتها ، ولا فى الطبيعة جمالها . ورأيت الأرض مغبرة مقشعرة كأنها ثكلى فى ثوب الحداد .

وقفت أردد النظر فى حناياه وزواياه وسطوره فلم أجد إلا الألم شاخصاً على صفحاته ، والحزن محيطاً بطلعته فلم أتمالك أن خاطبته :

أيها القبر : بالله لا تمار كيف ضممت بين حنايا تربتك أجساداً نورانية خلقت من اللجين ؟(١) لها طلعة الشمس وفيها منى النفس ، وبها هدوء الخواطر وسكون الخوالج – بربك كيف ضممتها بين جوانحك الرهيبة ؟ وكيف عمل ثراك الندى فى بشرتها الغضة الناعمة ، وعيونها الساحرة الفاتنة ، وخدودها المتوردة ، ووجهها الحسن الجميل .

أيها القبر : خبرنى بحق السكون الذى يرفرف على فضائك والرهبة التى تنتشر بين أجوائك .

ما حاجتك بهذه الأجساد الناضبة(٢) ؟ وتلك القلوب الدامية والعيون الباكية ، فغرت(٣)فاك فالتهمت من مبدأ الحياة إلى اليوم ، ولم ينته طمعك ، ولم يشبع نهمك(٤) ، وفى كل آن تقول : هل من مزيد .؟

ماذا تصنع ؟ بأولئك الذين كانوا أعزاء على أهلهم وعلينا ، وكانوا مسرح النظر وملء العين وكل الأمل فحطمت الآمال والقلوب ، وخطفتهم من بين ظهرانينا(٥) ونحن أحوج ما نكون إليهم .

أيها القبر : كم من قلب جريح من قلوب الأحياء يرفرف عليك ، ويحوم حواليك ، فهنيئاً للموتى الذين يجدون فى بطنك من الراحة والسكون .

---

(١) اللجين : الفضة .

(٢) الناضبة : النحيلة .

(٣) فغرت فاك : فتحت فك .

(٤) النهم (بفتحتين) : إفراط الشهوة فى الطعام والحرص عليه .

(٥) ظهرانينا (بفتح الظاء والنونين) والألف والنون زائدتان للتأكيد ، والمعنى أن ظهرانا قدام أولئك الأعزاء الذين خطفهم القبر ، وظهرانا وراءهم .

والعطف والحنان ، ما ننشده ونحن على ظهر الأرض فلا نجد إليه سبيلا (انتهى بتصرف) .

القبر[1] والجدث فى القرآن :

ورد فى القرآن الكريم التصريح بذكر القبر (مفرداً وجمعاً) كما ورد التصريح أيضاً بذكر الجدث (وهو القبر) إلا أنه جاء جمعاً لا غير : وإليك البيان .

١ — قال الله تعالى : **« ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »** .

(سورة التوبة — آية ٨٤)

٢ — قال الله تعالى : **« وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور »** . (سورة الحج آية : ٧)

٣ — **قال الله تعالى : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور »** . (سورة فاطر — آية ٢٢)

٤ — **قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور »** .

(آخر سورة الممتحنة)

٥ — قال الله تعالى : **« ثم أماته فأقبره »** : أى جعل له قبراً يستره إكراماً له . (سورة عبس — آية ٢١)

٦ — قال الله تعالى : **« وإذا القبور بعثرت »** .(سورة الانفطار آية : ٤)

٧ — قال الله تعالى : **« أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور »** .

(سورة العاديات آية : ٩)

٨ — قال الله تعالى : **« ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر »** .المقابر جمع مقبرة وهى موضع القبور ، ولم يذكر لفظ المقابر فى القرآن إلا فى هذه الآية .

---

(١) ذكر فى كتب اللغة أنه يقال : قبر الميت يقبره (بضم الباء وكسرها فى المضارع) قبراً (مصدر) ومقبراً (مصدر ميمى على القياس) دفنه ، وأقبره جعل له قبراً ، والمقبر (بفتح الميم والباء) : موضع القبر . يقال : هذا مقبر فلان : أى موضع قبره والمقبرة (مثلثة الباء مع ميم مفتوحة وقاف ساكنة) والقبر : مدفن الإنسان ، وجمعه قبور .

(أ) قال الله تعالى : « ونفخ فى الصور(١) فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون(٢) » . (سورة يس آية : ٥١)

(ب) قال الله تعالى : « فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر » .

(سورة القمر آية : ٦ و ٧)

(حـ) قال الله تعالى : « يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب(٣) يوفضون(٤) » . (سورة المعارج آية : ٤٢)

مترادفات القبر :

للقبر مترادفات كثيرة منها :

الجدث (بفتح الجيم والدال) جمعه أجداث .

وفى الحديث : (نبوئهم أجداثهم) : أى ننزلهم قبورهم وقد تبدل الثاء فاء فيقال جدف ، والرمس (بفتح الراء وسكون الميم) جمعه رموس ، والريم (بفتح الراء وسكون الياء) جمعه ريوم يقال نزلت فى ريم فلان ألحده فيه : أي نزلت فى قبره . والشق ، والحفير (بفتح الحاء وكسر الفاء) والضريح ومنه يقال : زرت ضريح الإمام الحسين رضى الله عنه أى زرت قبره ، والرجم (بفتح الراء والجيم) جمعه رجام سمى بذلك لما يجمع عليه من الحجارة والرجم فى اللغة الحجارة ، والجنن (بفتح الجيم والنون الأولى) جمعه أجنان سمى بذلك لستر الميت وإخفائه فيه ، والمنهال (بكسر الميم) جمعه مناهيل . يقال : دفنت الميت فى منهال أى فى قبر .

متى عرف الدفن فى القبر ؟

عرف دفن الميت فى قبر على ما أعلم — والعلم لله وحده — عند أول قتيل وجد على ظهر الأرض من بنى آدم هو هابيل بن سيدنا آدم عليه الصلاة

---

(١) (الصور) ما ينفخ فيه إسرافيل يوم تموت الخلائق ، يوم تبعث ، والمراد هنا بالنفخ فى سورة يس ، نفخة البعث والإحياء . (٢) « ينسلون » : أى يسرعون .

(٣) « نصب » : جمع نصوب وهو ما ينصب من الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله .

(٤) « يوفضون » : أى يسرعون .

والسلام قتله شقيقه قابيل ظلماً وحسداً وانتقاماً بسبب الخلاف الذى دار بينهما على أمر زواجهما من أختيهما . وتقبل قربان هابيل، وعدم تقبل قربان قابيل .

ولذلك قصة فى القرآن الكريم فى سورة المائدة يرشد إلى ذلك قوله تعالى :

« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .

وبعد أن قتل قابيل هابيل تحير فى أمر أخيه المقتول كيف يوارى سوأة أخيه ؟ وكان أبوهما آدم غائباً . فبعث الله غراباً بالقرب منهما أخذ ينبش التراب بمنقاره ورجليه حتى أقام حفرة فى الأرض ثم وضع غراباً ميتاً أو قتيلا كان معه فى تلك الحفرة وأخذ يثير التراب على الغراب الميت حتى واراه ودفنه.

فتعلم قابيل الظالم من الغراب الحى عملية الدفن ، وعرف كيف يوارى جسد أخيه المقتول هابيل المظلوم .

يرشد إلى هذا قوله تعالى بعد الآيات السابقة .

« فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب . فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » .

ولماذا ندفن الميت فى قبر ؟

إننا بدفننا الميت فى قبر نكون قد سترناه ، وواربنا سوأته ، ومنعنا الرائحة الكريهة التى تزكم الأنوف ، وتقزز النفوس عندما يتفسخ جسمانه ، وتتمزق أوصاله ، وتتفرق أجزاؤه ، وعملنا على عدم رؤية ما يسيل منه من قيح وصديد ، وعلى عدم مشاهدة الديدان التى تنبعث من بدن الميت ، وتنتشر حوله . وفى رؤية كل هذا ومشاهدته إيذاء للناظرين والمشاهدين .

وقد عد الله الإماتة والإقبار من النعم على الإنسان لأن الإماتة وصلة فى الجملة إلى الحياة الأبدية ، والأمر بالإقبار أى جعل الميت فى قبره بستره تكرمة وصيانة له .

التلقين بعد الدفن :

سئل الإمام أحمد عن حكم التلقين بعد الدفن فاستحسنه ، واحتج له بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبرانى فى معجمه عن أبى أمامة مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول : يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعداً ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنك رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ، ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجة دونهما . فقال رجل : يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال : ينسبه إلى أمه حواء) .

فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف فى العمل به .

قلت : (أى قال البقاعى فى كتابه سر الروح) : وقال شيخنا (أى ابن القيم صاحب كتاب الروح) : فى تخريج أحاديث الرافعى إسناده صالح وقد قواه الضياء فى أحكامه ، وأخرجه عبد العزيز فى الشافى .

والراوى عن أبى أمامة سعيد الأزدى (انتهى من كتاب سر الروح) .

(وبعد) : فإنه فى نفسى شىء من آخر هذا الحديث من قوله : (فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ولقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجه دونهما) والله أعلم) .

السؤال(١) والعذاب والنعيم فى القبر :

اتفق علماء الإسلام على ثبوت كل من سؤال الميت وتعذيبه فى القبر إذا كان كافراً أو مؤمناً عاصياً أراد الله تعذيبه ومن سؤاله وتنعيمه إذا كان مؤمناً مطيعاً :

---

(١) منكر سؤال القبر وعذابه ونعيمه فاسق وليس بكافر لأن الكفر يكون عند إنكار شىء مجمع عليه والسؤال والعذاب والنعيم فى القبر لم يجمع عليها بل اختلف فيها .

ولم يخالف فى ذلك إلا بعض(١) المتأخرين من المعتزلة الذين غلبت عليهم روح الفلسفة حتى مزجوا بها علم الكلام . والفلسفة مبناها على العقل الصرف وإن خالفت الدين .

وقد تمسك هؤلاء المخالفون بشبه أو هى من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

ونتكلم الآن عن أدلة المثبتين ثم نتبعها بشبه المنكرين والرد عليها .

السؤال فى القبر وأدلته :

قال المثبتون : إن سؤال الميت فى القبر أمر ممكن عقلا وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمع عليه الجمهور فيجب الإيمان به .

أما الكتاب :

فقوله تعالى فى سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** » . قال ابن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن) فى تفسير هذه الآية : الشهادة يسألون عنها فى قبورهم بعد موتهم .

وقال عكرمة(٢) : (مولى ابن عباس وتلميذه ؛ فى تفسيرها يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر التوحيد فيجيبون بما يوافق ما ماتوا عليه من إيمان أو كفر أو شك) .

---

(١) منهم ضرار بن عمرو ، ويحيى بن كامل ، وقد أنكر ذلك أيضاً الروافض .

(٢) هو عكرمة (بكسر العين والراء بينهما كاف ساكنة) المغربى البربرى التابعى تملكه ابن عباس وقت أن كان والياً على البصرة للإمام على كرم الله وجهه واهتم ابن عباس بتعليمه القرآن والسنة اهتماماً عظيماً حتى صار من أعلام الأئمة الذين يقصدون من كل صوب ، ويطرق بابهم للاستفتاء والأخذ عنهم ، وظل عكرمة على رقه حتى مات ابن عباس فصار ملكه إلى ولده على فباعه إلى خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فجاء عكرمة إلى سيده على كرم الله وجهه وقال له : ما خير لك ، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقال على كرمه الله وجهه من بوته وأعتقه (أى فسخ البيع الذى بينه وبين خالد بن يزيد ورد إليه عكرمة) ، وقد عاش عكرمة إلى سنة خمس ومائة من الهجرة .

وأما السنة :

فمنها ما روى عن سيدنا عثمان بن عفان قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

(رواه أبو داود وأخرجه البزار والحاكم وصححه وأقر الذهبي تصحيحه)

ومنها ما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : أشهد أنه عبداً لله ورسوله . فيقال انظر إلى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعاً) .**

وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقوله الناس : فيقال : لا دريت(١) ولا تليت — ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين (الإنس والجن) .

فى هذين الحديثين دليل واضح على ثبوت سؤال الميت فى القبر . وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة بلغت فى دلالتها على ذلك حد التواتر المعنوى .

عذاب القبر ونعيمه وأدلتهما :

وقال المثبتون لعذاب القبر ونعيمه : إن عذاب القبر ونعيمه أمران ممكنان عقلا وقد ورد بهما الكتاب والسنة وأجمع عليهما الجمهور فيجب الإيمان بهما .

أدلة عذاب القبر من الكتاب :

أولا : قوله تعالى فى سورة الزمر : « **وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** » .

---

(١) قوله : لا دريت من الدراية (أى العلم) ولا تليت من التلاوة وأصل تليت تلوت . أبدلت الواو بالياء لمزاوجة دريت ومجموع ذلك دعاء عليه : أى لا علمت ولا قرأت .

وجه الاستدلال بهذه الآية : أن عرض(١) آل فرعون على النار غدوا وعشياً يكون قبل يوم القيامة بدليل قوله تعالى بعد ذلك

« . . . ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

وظاهر أن الإدخال فى النار غير العرض عليها (لأن العطف يقتضى المغايرة) وإذا كان الإدخال فى يوم القيامة كان العرض فى غير ذلك اليوم قطعاً . وإذا لم يكن العرض بعد يوم القيامة اتفاقاً كان قبله ضرورة وبداهة . ولا جائز أن يكون عرضهم على النار فى حال حياتهم الدنيوية لأنه ما كان حاصلا فيها .

فتبين أن يكون عرضهم على النار بعد موتهم إلى قيام الساعة وهو عذاب القبر . وإذا ثبت فى حق آل فرعون ثبت فى حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق وهو المطلوب . ونزول هذا العذاب بفرعون من باب أولى لأن العادة جرت بأنه لا يصل العذاب إلى جميع أتباع الإنسان إلا بعد إذلال المتبوع وإهانته .

ثانياً : قول الله جل شأنه فى سورة نوح عليه السلام فى شأن الكافرين من أمته : **« مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً » .**

وجه الاستدلال بهذه الآية . أن العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب من غير تراخ فيكون المعنى : أن قوم نوح الذين لم يمتثلوا أدخلوا ناراً عقب إغراقهم فى الطوفان من غير تراخ وهذا هو الظاهر من الآية . ولا يراد هنا بإدخالهم ناراً نار الآخرة لأن هذا بعيد عن زمن الإغراق فثبت عذاب بعد الموت مباشرة وهو عذاب القبر وهو المطلوب .

ثالثاً : قول الله عز وجل : **« ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون »** أى فى قبوركم كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها . وقال الإمام على كرم الله وجهه : ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزل **« ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر »** (أخرجه الإمام الترمذى)

أدلة عذاب القبر من السنة :

منها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كما فى البخارى ومسلم أن

---

(١) عرضهم على النار : (أى إحراقهم بها) مأخوذ من قولهم : عرض الأسارى على السيف : أى قتلوا به .

النبي صلى الله عليه وسلم مر على حائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما فقال عليه الصلاة والسلام : إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستبرئ من بوله وكان الآخر يمشى بالنميمة ، ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة فقيل له يا رسول الله : لم فعلت هذا ؟ قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا).

ومنها ما روى عن أبى أيوب(١) الأنصارى رضى الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال : يهود تعذب فى قبورها . (أخرجه الشيخان والنسائى)

ومنها ما روى فى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن زيد بن ثابت(٢) قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه فإذا أقبر (ستة أو خمسة أو أربعة) فقال : من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا : نعوذ بالله من الفتن

---

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف الأنصارى الخزرجى اشتهر بأبى أيوب ، وأسلم قبل الهجرة ، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نزل فى بيته ، وفيه بركت ناقته عليه الصلاة والسلام ، وأقام النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده وحجرات أزواجه .

شهد أبو أيوب بدراً وبيعة العقبة وجميع الغزوات ، توفى بالقسطنطينية حين غزاها المسلمون سنة ٥٠ خمسين هجرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وقبره مشهور بها ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥٠ خمسين ومائة حديث .

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصارى الخزرجى من أهل المدينة كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكتب له المراسلات أيضاً إلى الناس ، وكتب لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما ، وكان أحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف ، وكان رضى الله عنه أعلم الصحابة بعلم الفرائض . قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه : (أفرضكم زيد) ، وكان من الراسخين فى العلم ، شهد الخندق وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الهجرة بـ ١١ سنة وتوفى بالمدينة سنة ٤٥ هـ وليس هو أخا لحسان بن ثابت .

ما ظهر منها وما بطن قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وفى صحيح مسلم وجميع السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع ، من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها فخرجت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود المدينة دخلت على فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قال : (صدقت إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها . فما رأيته بعد فى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر) .

فهذه الأحاديث المتقدمة يؤخذ منها صراحة إثبات عذاب القبر وهى كلها صحيحة وفى بعضها أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتعوذ من عذاب القبر ويأمر أصحابه رضوان الله عليهم بذلك كما يؤخذ من حديث اليهودية أن عذاب القبر كان معروفاً لبعض أهل الكتاب بدليل قولها للسيدة عائشة : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . كما يؤخذ منه أن البهائم تسمع عذاب القبر .

الأدلة على نعيم القبر :

يمكننا الاستدلال على نعيم القبر من القرآن الكريم والسنة النبوية .

١ - فمن القرآن قوله تعالى فى سورة آل عمران :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وجه الاستدلال بهاتين الآيتين أن الله تعالى أثبت حياة للشهداء وأنهم يرزقون عند ربهم وهذه الحياة المثبتة لهم وذلك الرزق والنعيم الذى يفرحون به يكون عقب قتلهم . وإذا ثبت أن النعيم يكون للشهداء عقب قتلهم ثبت نعيم البرزخ ، وإثبات جزئية من الجزئيات كاف فى الاستدلال على المطلوب .

ويمكننا الاستدلال أيضاً على نعيمه من السنة بما روى عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر : النكير ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل فهو قائل ما كان يقول : فإن كان مؤمناً قال : هو عبد الله ورسوله : : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقولان له : إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ذراعاً وينور له فيه ، ويقال له : نم . فيقول : أرجع إلى أهلى ومالى فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً قال : لا أدرى . كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله فيقولان له : كنا نعلم أنك تقول ذلك : ثم ، يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) .

هذا الحديث ذكره أبو حاتم فى صحيحه . والترمذى فى جامعه وقال : حسن غريب .

يؤخذ من هذا الحديث صراحة سؤال القبر ونعيمه وعذابه . كما يؤخذ ذلك من حديث البراء بن عازب الطويل الذى تقدم ذكره عند الكلام على صعود الروح وهبوطها .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :)(١) القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) .

ويحسن بى أن أذكر لك ما حكاه ابن القيم واليافعى عن بعض الصادقين فى موضوعنا هذا للاستئناس والاسترشاد به .

---

(١) روى هذا الحديث : (القبر إما روضة . . . إلخ) الترمذى والطبرانى من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما وسندهما ضعيف انتهى من شرح الإحياء المسمى تحفة السادة المتقين للسيد محمد مرتضى الزبيدى . قال الحافظ زين العراقى مخرج أحاديث الإحياء للغزالى هذا الحديث: (القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذى من حديث أبى سعيد (أى الخدرى) بتقديم وتأخير ، وقال : غريب . قلت : (أى قال الحافظ العراقى) : فيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف والله أعلم .

قال ابن القيم فى كتاب الروح :

أخبرنا بعض الصادقين أنه حضر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه : اكتب فرسخاً فى فرسخ ، ثم وقفا على الثانى فقال : اكتب ميلا فى ميل ، ثم وقفا على الثالث فقال : اكتب فتراً فى فتر ، ثم انتبه فجىء برجل غريب لا يؤبه له فدفن فى الأول ، ثم جىء برجل آخر فدفن فى الثانى ، ثم جىء بامرأة مترفة من وجوه البلدة (أى عظمائها) حولها ناس كثيرون فدفنت فى القبر الضيق الذى سمته فتر فى فتر .

وحكى اليافعى فى روض الرياحين عن بعض الأولياء قال : سألت الله تعالى أن يرينى مقامات أهل القبور فرأيت ليلة من الليالى القبور وقد انشقت وإذا منهم النائم فى السندس ، ومنهم النائم على الحرير والديباج ، ومنهم النائم على الريحان ، ومنهم النائم على السرير ، ومنهم الباكى ، ومنهم الضاحك . فقلت يا رب : لو شئت سويت بينهم فى الكرامة ، فنادى مناد من أهل القبور يا فلان هذه أمثال الأعمال .

أما أصحاب السندس فهم أصحاب الخلق الحسن ، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء ، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون ، وأما أصحاب السرر فهم المتحابون فى الله ، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون ، وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة .

(وبعد) فقد تضافرت الأحاديث النبوية مع الآيات القرآنية على ثبوت كل من عذاب القبر وسؤاله ونعيمه فيكون عذاب القبر ونعيمه وسؤاله حقاً لا مرية فيه ويجب الاعتقاد بذلك .

شبه المنكرين لسؤال القبر وعذابه ونعيمه :

الشبهة الأولى : هى قوله تعالى فى سورة الدخان :

« لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » .

قالوا : هذه الآية تدل على أنه ليس إلا موتة أولى هى التى ذاقوها عند انتهاء آجالهم فلو حصلت لهم فى القبر حياة لأعقبها موت فتكون لهم موتتان

لا موتة وهذا يخالف ما تدل عليه الآية فثبت أنه لا حياة فى القبر وإذا لم تكن فى القبر حياة فلا سؤال ولا عذاب . ولا نعيم فيه وهو المطلوب .

الرد على هذه الشبهة نقول : إن الآية المذكورة وصفت أهل الجنة بأنهم لا يذوقون فى الجنة الموت حتى ينقطع نعيمهم كما انقطع نعيم أهل الدنيا بالموت ، وقوله تعالى « **إلا الموتة الأولى** » تأكيد لعدم موتهم فى الجنة فهو استثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وحينئذ فلا دلالة فى الآية على انتفاء موتة أخرى بعد سؤال القبر وقبل دخول الجنة ، بل الآية تفيد أن الحياة فى الجنة لا ينقطع نعيمها بالموت كما انقطع نعيم الحياة الدنيا به .

٢ ـ الشبهة الثانية : قال المنكرون : إن السؤال والجواب واللذة والألم أمور غير ممكنة عقلا ولا تتصور هذه الأمور بدون الحياة ولا حياة مع فساد البنية وخراب البدن والمشاهدة تساعد على إنكار هذه الأمور السمعية .

فإننا نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك وتكلم ولو وضعنا على عينيه الزئبق مثلا أو على صدره الخردل أو الحصا لوجدناها باقية على حالها وربما دفن فى صندوق حديدى ضيق لا يتصور فيه جلوسه . وأظهر من ذلك وأبلغ من أكلته السباع وتفرقت أجزاؤه أو من أحرق بالنار وذرى فى الهواء شمالا وجنوباً فكيف يعقل أن يسأل ويجيب ويعذب أو ينعم ؟

والجواب إجمالا : هو أن ما ذكره المنكرون لا يدل على استحالة سؤال الميت وتعذيبه أو تنعيمه وإنما يدل على استبعاده والاستبعاد لا ينافى إمكانه وجوازه .

والجواب تفصيلا : هو أن قولهم : لا حياة مع فساد البنية وخراب البدن ممنوع لأنه لا يشترط فى تحقق الحياة البنية ، ولو سلمنا اشتراطها فلا مانع من أن يرد الله الحياة إلى أجزاء مخصوصة من البدن ، وبهذا يمكن الإجابة عن السؤال والعذاب أو النعيم مع كونها غير مشاهدة لنا .

وقولهم نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك وتكلم إلخ لا يدل لهم فإنه ليس ببعيد ألا يشاهد الناظر ما يجرى على الميت لحكمة لا اطلاع لنا عليها ، وكيف يستبعد هذا ؟ والواحد منا يجلس بجوار النائم ويكون النائم فى ألم شديد أو لذة عظيمة والجالس بجواره لا يشعر بشىء . من ذلك ، وقد كان النبى

عليه الصلاة والسلام ينزل عليه جبريل ويشاهده ويسمع كلامه وأصحابه جالسون معه لا يشعرون بشيء إلا بإخبار النبي لهم بما أوحى إليه .

وأعجب من هذا فإن الديدان التي في جوف الإنسان الحى تتألم وتتلذذ بلا شعور من ذلك الإنسان .

وقولهم قد يدفن الميت في صندوق حديدى ضيق لا يتصور فيه جلوسه لا يفيدهم فإنه لا مانع من أن يوسع الله الصندوق بحيث يمكنه الجلوس فيه ثم يسأل ويعذب أو ينعم .

ومسألة دفن الوتد في الأرض واتساع الأرض له تقرب لك هذا فإن الوتد إذا ضربته في الأرض الصلبة . انضم له بعض التراب إلى بعض حتى يدخل فإذا أخرجته صار مكانه خلواً على مقدار ثخانته . فإذا كان هذا فعلك وأنت أضعف قوة وأوهى أمراً فكيف يمتنع ما هو أعظم من ذلك على ذى القدرة الشاملة والقوة الكاملة (قاله بعض العلماء) .

والخلاصة : أن أحوال القبر من الأمور السمعية التي تتوقف على السماع من الشارع الحكيم وليس فيها للعقل مجال ، وقياس الحياة في القبر على ما نشاهده في هذه الحياة الدنيا غير صحيح كما أن الله قادر على كل شيء وكل من كان قادراً لا يعجز عن أن يحيي ميتاً في قبره أو يوسع لحداً أو صندوقاً ضيقاً دفن فيه الميت بحيث يمكنه الجلوس فيه ثم يسأل ويعذب أو ينعم .

منكر ونكير هما فتانا القبر دون سواهما :

جعل الله عز وجل لجميع من أراد سؤاله من الموتى في القبر أو غيره من إنس وجن مؤمنين وكافرين(١) اثنين من الملائكة لا غير يسمى أحدهما

---

(١) زعم ابن عبد البر وناصره السيوطى أن سؤال القبر لا يكون إلا لمؤمن والمنافق الذى أظهر الإسلام وأخفى الكفر ومستندهما في ذلك ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين قال : (إنما يفتن رجلان مؤمن ومنافق وأما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه) وهذا الحديث موقوف .

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من أن الكافر مطلقاً ظاهراً وباطناً أو باطناً فقط يسأل في القبر بدليل مجموع الروايات الكافر والمنافق ، ولأن الأحاديث الناصة على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهى أولى بالقبول .

منكراً ويسمى الآخر نكيراً يسألان كل ميت أراد الله سؤاله عقب الدفن مباشرة ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

فلو مات جماعة في جهات مختلفة من أنحاء المعمورة ودفنوا في لحظة واحدة فإن هذين الملكين يسألانهم جميعاً في وقت واحد وتكون الدنيا بينهما كالإناء الذي يؤكل منه فإذا تكلما بكلام وصل الكلام إلى كل واحد من الأموات في جميع أقطار الأرض ويتخيل كل ميت يسأل أن الخطاب موجه إليه وحده حسب ما يناسب حاله من رفق أو شدة وعذاب ونعيم ويحجب الله سمعه عن غيره .

وما قيل : بأن ملائكة السؤال للكافر والمؤمن العاصي أربعة . منكر ونكير وناكور ورومان ، وللمؤمن المطيع ملكان أحدهما بشير والآخر مبشر فهذا قول غير صحيح ولم يثبت في السنة الصحيحة حتى قيل : إن حديثه موضوع وقيل : فيه لين وضعف .

أما منكر ونكير فقد ورد فيهما روايات عديدة صحيحة وصريحة منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر الحديث (. وهو في صحيح أبي حاتم بن حبان وجامع الترمذي وقال : حديث حسن غريب وقد تقدم هذا الحديث فارجع إليه.

ومنها ما روى عن عطاء بن يسار الهلالي(١) أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا عمر كيف بك ؟ إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك وغسلوك وكفنوك وحنطوك (أي وضعوا الحنوط وهو الطيب على جسمك وليس المراد به التحنيط المعروف عند قدماء المصريين) ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه (يعني القبر) ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف

---

(١) هو عطاء بن يسار الهلالي التابعي أبو محمد المدني مولى ميمونة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام .

وأبصارهما كالبرق الخاطف فتلتلاك. وترثراك ، وهولاك(١) كيف بلك عند ذلك يا عمر ؟ فقال عمر : ويكون معى مثل عقلى الآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم : فقال عمر إذاً أكفيكهما) .

رواه ابن أبي الدنيا فى القبور ، والبيهقى فى عذاب القبر ، وأبو نعيم فى الحلية بإسناد صحيح غير أنه مرسل)(٢) .

ومنها ما روى عن أبى هريرة أنه قال : شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال : (إنه (أى الميت) الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصى البقر ، وأصواتهما مثل الرعد إلى آخر الحديث) .

(رواه الطبرانى فى الأوسط وقال : تفرد به بن لهيعة(٣) وهو ثقة بل كان فقيه مصر فى وقته وإنما تكلم فيه لأجل خلطه فإن كتبه احترقت فى آخر حياته فصار يحدث من حفظه . وقد استقر عمل الحفاظ على تحسين حديثه ، وحسن له الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد عدة أحاديث تفرد بها) .

فحديثه هذا حسن ، ولا سيما وله شواهد متعددة .

مما تقدم يتبين أن منكراً ونكيرا هما الموكلان وحدهما بسؤال الميت وفتنته فى البرزخ لا فرق بين ميت كافر أو مؤمن عاص أو مطيع .

---

(١) قوله : تلتلاك (بتاءين) : أى أزعجاك ، وترثراك (بثاءين) : أى رددا الكلام عليك مرة بعد أخرى . وقوله : هولاك (بواو مشددة) : أى أفزعاك وخوفاك من الأمر الذى نزل بك .

(٢) قال الحافظ زين الدين العراقى : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ، ورجاله ثقاة . قال البيهقى فى الاعتقاد : ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا ، وقال الزبيدى صاحب إتحاف المتقين (شارح الإحياء) : وصله ابن بطة فى الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر رضى الله عنه ، وقال : غريب بهذا الإسناد ، تفرد به مفضل ، ورواه أبو نعيم فى الحلية ، والآجرى فى الشريعة (وهو أبو بكر محمد بن الحسين ابن عبد الله البغدادى صاحب كتاب الشريعة وله تصانيف كثيرة مفيدة كان عالماً ثقة ديناً حدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة وأقام بها ثلاثين سنة ومات بها فى شهر المحرم سنة ستين وثلثمائة هـ) .

(٣) (ابن لهيعة) هو عبد الله بن لهيعة (وزان حنيفة) بن عقبة الحضرمى الغافقى المصرى من أتباع التابعين ، وهو قاضى مصر وعالمها ، ومسندها روى عن عطاء وعكرمة والأعرج وخلق كثير ، وروى عنه الليث بن سعد وابن وهب وجماعات مات سنة ١٧٤ هـ .

وصفهما : هما ملكان أسودان أزرقان أعينهما كالبرق الخاطف أو كقدور النحاس وصوتهما كالرعد القاصف وأنيابهما مثل صياصي البقر ، إذا تكلما خرج من أفواههما كالنار .

مع كل واحد منهما مرزبة من الحديد ثقيلة جداً لو اجتمع عليهما أهل منى فى موسم الحج ما رفعوها كما ورد ذلك فى السنة النبوية الصحيحة .

عملهما : يأتيان الميت بعد تمام الدفن مباشرة على المشهور من غير تفرقة بين من نقل من قبره ومن لم ينقل ، ويقعدانه ويعيد الله فيه الروح فى البدن كله على الصحيح فيحيا حياة متوسطة بين الموت والحياة تشبه حال النائم فى نومه ويرد الله عليه من الحواس والعقل والعلم بقدر ما يفهم الخطاب ويتأتى معه الجواب فيسمع قرع النعال عند انصراف الناس من دفنه ونحو ذلك كما تقدم لك فى بعض الأحاديث .

ويكون أحد الملكين عند رأسه والآخر عند رجليه يقولان له : من ربك؟ وما دينك ؟ وما تقول فى الرجل الذى بعث إليكم ؟ فيقول المؤمن ولو عاصياً : ربى الله ، ودينى الإسلام ، والرجل الذى بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً .

يقول ذلك المؤمن المطيع من غير تلجلج : ويترفقان به ثم يقولان له : نم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب الناس إليه . أما المؤمن العاصى فإنه يتلجلج فى الجواب ويتلعثم .

وأما الكافر فيقول : لا أدرى فيقولان له : لا دريت ولا تليت (أى لا فهمت ولا قرأت) ويضرب بالمرزبة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه من الملكين وتسمعها البهائم والطيور القريبة من القبر .

فهذه بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم حادت عن الطريق نافرة وكادت تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام على الأرض لما مر بها على بستان لبنى النجار وبقربه أقبر بها مشركون يعذبون فيها كما ورد فى صحيح مسلم عن زيد بن ثابت وحديث البغلة قد تقدم .

قال (ابن القيم[1] فى كتاب الروح) : قال بعض أهل العلم : ولهذا السبب (أى لسماع الحيوانات عذاب القبر) يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت (أى حصل لها وجع فى بطنها يصيب أمعاءها بسبب أكلها التراب) — إلى قبور اليهود ، والنصارى الذين بأرض مصر والشام فإن أصحاب الخيل يقصدون تلك القبور فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعاً وحرارة تذهب المغل (بميم مفتوحة وغين معجمة ساكنة) .

قال عبد الله الاشبيلى : حدثنى الفقية أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم بأشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم فإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ، ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ، ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى .

قال أبو الحكم : فذكرت عذاب القبر وقول النبى صلى الله عليه وسلم : (إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم) .

أما الثقلان وهما الإنس والجن فإنهم لايسمعون عذاب القبر ولايشاهدونه والحكمة فى ذلك :

أولا : أنهم لو سمعوا عذاب القبر أو شاهدوه لانزعجوا وماتوا فرحمة بنا أن حجبنا الله عنه ، وجعلنا لا نسمعه ولا نشاهده .

قال بعض العارفين بالله : (فما كتم الله ذلك عن الإنس والجن إلا لحكمة إلهية هى غلبة الخوف عند سماع عذاب القبر من أمثالنا فى هذه الدار مع ضعفنا وقد بلغنا أنه مات خلق كثير عند سماع الرعد القاصف ، والزلازل الهائلة . وهى دون صيحة الملك على الميت بيقين) .

---

(1) هو الإمام العظيم شمس الدين محمد بن أبى بكر بن سعيد الدمشقى الفقيه الحنبلى المفسر النحوى الأصولى المتكلم المؤلف البارع المشهور بابن قيم الجوزية لأن أباه أبا بكر كان قيماً على الجوزية ومديراً لشئونها (الجوزية : المدرسة) . ولد فى صفر سنة ٦٩١ هـ ولازم شيخه تقى الدين ابن تيمية ، وتوفى فى شهر رجب سنة ٧٥١ هـ عاش رحمه الله ستين سنة ، ومن مؤلفاته كتاب الروح وهو بحق كتاب قيم ومفيد جداً وهو من أهم مصادر كتابى هذا الذى بين يديك ، وله كتاب زاد المعاد فى هدى خير العباد ، وكتاب إعلام الموقعين ، والسياسة الشرعية ، وغيرها من الكتب الممتعة المفيدة جزاه الله عن الإسلام أحسن الجزاء .

وفى الحديث : (لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات) نسأل الله تعالى العافية .

ثانياً : لو سمعوا عذاب القبر أو شاهدوه لما كان لتكليفهم بالغيب فائدة إذ كل واحد منهم يؤمن خوفاً مما سمع أو شاهد من العذاب فيكون إيمانه إيمان رهبة وخوف لا إيمان رغبة وحب .

ثالثاً : لو سمع الناس عذاب القبر لتركوا سنة الدفن وموارات موتاهم تحت التراب بسبب تبلبل أفكارهم وخوفهم الشديد ، ودهشتهم العظيمة التى تنسيهم ترك مصالحهم ومنها دفن الميت . مصداق هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

(لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ، وفى رواية أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعنى) .

الميت يسأل ويعذب أو ينعم ولو لم يدفن فى القبر :

إعلم أن الميت يسأل ويعذب أو ينعم سواء أدفن فى القبر أم لم يدفن بأن أكلته السباع فى القفار أو الأسماك فى البحار ، وذلك بأن يخلق الله عز وجل للمأكول نوعاً من الحياة فى بطن الآكل ، ثم يسأل ويعذب أو ينعم ولا يشعر الآكل بشىء من ذلك .

ومثل هذا واقع بيننا فإن الدودة تكون فى جوف الإنسان وفى خلال بدنه وهى تتألم أو تتلذذ وهو لا يشعر بها كما تقدم ذلك .

كذلك لو أحرق الميت وسحق وذرى فى الهواء فإنه يسأل ويعذب أو ينعم بأن يجمع الله تلك الذرات بعد تفرقها ويجعل للروح اتصالا بها لتدرك السؤال وتحس العذاب أو النعيم والله على كل شىء قدير .

روى البخارى ومسلم عن حذيفة(١) بن اليمان أنه قال : سمعت رسول الله

---

(١) هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة ، وحسيل (بالتصغير) يلقب باليمان لقبه قومه بذلك لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن وإلا فهو عبسى ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موقعة أحد وقتل أبوه بها بأيدى المسلمين غلطاً .

وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين لا يعلمهم=

صلى الله عليه وسلم يقول : إن رجلا من بني إسرائيل (كان نباشاً للقبور يسرق أكفانها) حضره الموت ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت (أي احترقت) فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً (أي كثير الرياح) فاذروه في اليم (أي البحر) ففعلوا فجمعه الله فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك — فغفر الله له .

ولو دفنت الرقبة في مكان والجثة في مكان كانت الروح متصلة بكل منهما وأحس كل منهما بالعذاب أو النعيم .

ولو علق الميت العاصي على رءوس الأشجار في مهاب الرياح حيث الهواء العليل ، والنسيم البليل لأصاب جسده المعلق وروحه من العذاب حظهما ونصيبهما .

ولو دفن الرجل الصالح في تنور يشتعل ناراً لأصاب جسده وروحه من نعيم البرزخ حظهما ونصيبهما . فيجعل الله النار على هذا الصالح برداً وسلاماً ويجعل الهواء العليل والنسيم البليل على ذلك العاصي ناراً وجحيما .

والحكمة في سؤال الميت هي : إظهار ما كتمه العباد في حياتهم الدنيوية من إيمان أو كفر ، أو طاعة أو معصية فيباهي الله بالطائعين الملائكة ، ويفضح غيرهم .

والحكمة في نعيم البرزخ وعذابه هي : إكرام الطائعين ، وإهانة الكافرين والعاصين من المؤمنين .

أحوال المسئولين مختلفة :

وأحوال المسئولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه وتصعيباً ، ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه وتسهيلا ، ومنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها .

= غيره ، والمختص بأخبار الفتن المستقبلة ما ظهر منها وما بطن ، وأحد الفقهاء أهل الفتوى ، وله مقامات محمودة في الجهاد ، وأبلى في الفتوح بلاء حسناً ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة حديث ، توفى بالمدينة سنة ٣٦ هـ بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه بأربعين ليلة .

ولا يسأل الميت عن غير الاعتقاد فلا يسأل عن ترك الصلاة أو الصوم أو غير ذلك وإنما هذا خاص بيوم القيامة .

ففي رواية أبي داود عن أنس ن مالك : (فما يسأل عن شيء بعدها) .
ولفظ بن مردويه : (فلا يسأل عن شيء غيرها) ، أي أنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** » .
الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم .

وقال عكرمة في هذه الآية : يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد .

قال الحافظ السيوطي في منظومته :

وليس عن غير اعتقادٍ يسألُ   أَتى بهذا خبرٌ مفصَّلُ

لغة السؤال :

أما اللغة التي يسأل بها الميت فهي لغته التي يتكلم بها ويخاطب في حياته فإن كان عربياً سئل باللغة العربية وإن كان إنجليزياً أو ألمانياً أو فرنسياً أو غير ذلك سئل بلغته على القول الصحيح وعليه المعمول عند السلف الصالح وظواهر الأحاديث تشهد له .

وأما ما قيل من أن سؤال القبر باللغة السريانية وهي لغة أبينا آدم . عليه الصلاة والسلام ، فإن أحاديث السؤال لا تشهد له ولا تؤيده .

قال الحافظ السيوطي : لم أقف في شيء من الأحاديث على أن السؤال بالسريانية . وقال في منظومته :

ومن عجيب ما ترى العينان   أن سؤالَ القبر بالسِّرياني

أَفتى بهذا شَيخُنا البلقيني   ولم أَرهُ لغيره بعيني

سؤال الميت يكون في القبر الأول عقب الدفن مباشرة :

قد مر بك أن الملكين (منكرا ونكيرا) يأتيان الميت عقب الدفن مباشرة لسؤاله غير أني هنا أبسط لك مسألة جديرة بالذكر هي : من دفن في قبر ثم أخرج ودفن في آخر ففي أي القبرين يكون سؤاله ؟

ونحن نقول : إننا لو تصفحنا كتب السنة واطلعنا على أحاديث السؤال التى قد بلغت سبعين حديثاً كما قال الحافظ السيوطى :

إنَّ سُؤال الملكين من قُبرْ حقٌّ والإيمان به فرضٌ شهرْ
تواترت به الأحـاديثُ التى قد بلغت سبعين عند العِدَّةِ

لوجدنا تلك الأحاديث تدل دلالة واضحة كما قال المحدث عبد الله الصديق الغمارى المغربى : على أن سؤال الميت يكون عقب الدفن مباشرة من غير تفرقة بين من نقل من قبره ومن لم ينقل . وقد قال علماء الأصول : إن التمسك بعموم الحديث واجب .

وإليك ثلاثة أحاديث توضح لك المقام :

١ — روى فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل : الحديث) .

٢ — روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

٣ — روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : شهدت مع رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال : (يأيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فإن الإنسان إذا دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك(١) فى يده مطراق فأقعده : الحديث) .

---

(١) قال القرطبى : جاء فى رواية سؤال ملكين ، وفى أخرى سؤال ملك واحد ولا تعارض فى ذلك بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معاً عند انصراف الناس ليكون أهول فى حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم ، وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل فى المراجعة لما قدمه من العمل الصالح . قال : ويحتمل أن يأتى الاثنان ، ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا فى الإتيان فتحمل رواية الواحد على هذا . قال السيوطى فى (شرح الصدور فى أحوال الموتى فى القبور) : هذا الثانى هو الصواب ، فإن ذكر الملكين هو الموجود فى غالب الأحاديث .

يؤخذ من هذه الأحاديث الثلاثة أن سؤال الميت يكون عقب دفنه مباشرة من غير تفرقة بين من نقل من قبره ومن لم ينقل .

وعلى هذا فلو دفن الميت فى قبر بجبانة أسوان مثلا وبعد أيام أخرج من هذا القبر ودفن فى آخر بجبانة بلدتنا الشيخ عيسى التابعة لمركز ومحافظة قنا فإنه يسأل فى القبر الأول الذى بجبانة أسوان ولا يسأل فى القبر الثانى الذى بجبانة الشيخ عيسى .

وما قيل فى بعض كتب التوحيد : من أن السؤال يكون فى القبر الأخير الذى يبعث منه الميت فلم أر له دليلا ، والله أعلم .

سؤال القبر هل هو مختص بالأمة المحمدية أو عام لها ولغيرها ؟ :

جزم الحكيم الترمذى(١) باختصاص الأمة المحمدية بالسؤال فى القبر وقال : كانت الأمم قبل هذه الأمة تأتيهم الرسل فإن أطاعوا فذاك وإن أبوا اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب وقبل الإسلام ممن أظهره سواء أسر الكفر أم لا . فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرجا سرهم بالسؤال :

« وليميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين » .

واستدل على الاختصاص بقوله عليه الصلاة والسلام : (إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها) .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشير بن هارون المحدث الزاهد المؤذن الفقيه ، ولد فى مدينة ترمذ التى تقع على نهر جيحون فى سنة ٢٠٥ هـ ، وتوفى بها سنة ٣٢٠ هـ ، ولقب بالحكيم لأن حكمته فى تصوفه تبدو كما قيل فى التحليل بطبيعة النفس الإنسانية وفى التصوير الرائع لمناهج السلوك الروحى ، ومن مؤلفاته :

١ — كتاب نوادر الأصول فى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم .
٢ — علم الأولياء .
٣ — ختم الأولياء .
٤ — كتاب الرياضة .
٥ — تحصيل نظائر القرآن .

وهو غير الترمذى صاحب الصحيح .

وبقوله : **« أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم »** . وهذا ظاهر فى الاختصاص بهذه الأمة ، ويدل عليه قول الملكين له : ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول المؤمن : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فهذا خاص به صلى الله عليه وسلم ، وقوله فى الحديث : (إنكم تمتحنون وعنى تسألون) .

وذهب القرطبي إلى أن السؤال لهذه الأمة وغيرها ووافقه ابن القيم فى كتابه الروح وقال : ليس فى الأحاديث ما ينفى المسألة عمن تقدم من الأمم وإنما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أمته بكيفية امتحانهم فى القبر لا أنه نفى ذلك عن غيرهم ثم قال : والذى يظهر أن كل نبى مع أمته كذلك فتعذب كفارهم فى قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم .

والحق ما ذهب إليه القرطبي من أن سؤال القبر عام لنا ولغيرنا ، ولا دلالة فى الأحاديث المذكورة على الخصوص .

الجن كالإنس فى السؤال والعذاب والنعيم :

إعلم أن الجن إذا ماتوا سألهم الملكان منكر ونكير ولحقهم العذاب والنعيم . لأن الجن مكلفون كالإنس وسؤال القبر وعذابه يعتمدان التكليف على الصحيح . ولأن أدلة السؤال والعذاب والنعيم عامة لم تفرق بين الإنس والجن والعمل بعموم الأدلة واجب ما لم يرد مخصص ولم يرد مخصص هنا فبقيت على عمومها .

والأدلة على تكليف الجن كثيرة منها :

١ — قوله تعالى فى سورة الذاريات : **« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »** . فقد كلف الجن بالعبادة كالإنس .

٢ — قوله تعالى فى سورة الأحقاف :

« أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون »

٣ — وقوله جل شأنه فى هذه السورة أيضاً :

« يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء » .

فهذا خطاب من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لإخوانهم الذين لم يستمعوا وقد أقره الله وحكاه فى القرآن بدون إنكار عليهم ومن غير تكذيب لهم والخطاب لا يكون إلا للمكلفين .

والخلاصة : أن الجن مكلفون كالإنس ، وأنهم يسألون أمام منكر ونكير وينعمون ويعذبون بعد مماتهم ، وأن الذى يعصى منهم الإله عز وجل ويخالفه يدخل النار . قال الله تعالى فى سورة الجن : « **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** » .

وقال فى سورة الأنعام : « **ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** » .

وأن الذى يطيع منهم ربه وخالقه ، ويؤمن به يدخل الجنة وينعم فيها كالإنس . قال الله تعالى : « **ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . . .** » إلى آخر سورة الرحمن .

فالخطاب هنا للإنس والجن ، وقد امتن الله عليهم بجزاء هو جنتان لكل فرد ممن خاف منهم موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب خوفاً ينشأ عنه ترك المعاصى ، ووصف الجنتين لهم ، وشوقهم إليهما فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا وعملوا الصالحات ، وقيل : جنة للإنس ، وجنة للجنى . وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه لما تلى عليهم سورة الرحمن : (الجن كانوا أحسن رداً أو جواباً منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا ولا شىء من آلاء ربنا نكذب) . (رواه الترمذى)

قال العلماء : وهذه الآية « **ولمن خاف مقام ربه جنتان** » . من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا .

النعيم والعذاب للروح والبدن معاً :

اختلف العلماء قديماً فى أن المنعم أو المعذب هو الروح والبدن معاً ، أو الروح فقط ، أو البدن لا غير .

والصحيح من هذه الأقوال هو الأول لأن الأحاديث والآثار تشهد له منها :

١ - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفن ابنته (زينب) جلس عند القبر فتغير وجهه ثم سرى عنه فقال له أصحابه : رأينا وجهك آنفاً ثم سرى عنك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج الله عنها ، وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين). (رواه ذادان عن ابن عمر ، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات).

فضمة القبر وضغطته لا تكون إلا للجسم والجسم لا يتأثر بالألم إلا بالروح .

٢ - ما في البخاري وغيره من كتب السنة الصحيحة : (فيضرب الكافر ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير المثقلين) ، فإن الصياح لا يكون إلا بعد تأثر الجسم ولا يتأثر الجسم إلا بالروح .

٣ - حديث البراء بن عازب الطويل المتقدم ذكره ففيه الدليل الكافي على أن العذاب أو النعيم للروح والبدن معاً فارجع إليه .

والحاصل كما قال اليفاعي في سر الروح أن مذهب سلف الأمة أن المرء إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب ، فإذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجسام ، وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين أهل الشرائع المسلمين واليهود والنصارى .

دوام عذاب القبر وانقطاعه :

عذاب القبر نوعان . ١ - دائم . ٢ - ومنقطع .

فالدائم : يكون للكفار وعصاة المؤمنين الذين كثرت جرائمهم وعظمت ذنوبهم وآثامهم ، ولا يرفع عنهم العذاب إلا ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا . . .

والأدلة على دوام العذاب كثيرة منها :

١ - قوله تعالى : « **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً** » : (أي صباحا ومساء) إلى يوم القيامة بدليل قولة بعد ذلك : « **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** » .

٢ – وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البراء بن عازب فى قصة : (الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة) .

(رواه الإمام أحمد ، وفى بعض طرقه ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة) .

٣ – روى فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا لبس بردين وجعل يمشى يتبختر فخسف الله به الأرض فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنه يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (أى يدخل فى الأرض وينغمس فيها إلى يوم القيامة) .

٤ – ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كما فى البخارى ومسلم فى قصة الجريدة الرطبة التى كسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرتين ، ووضع على كل قبر كسرة وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم التخفيف مقيداً برطوبتها فقط .

٥ – فى صحيح البخارى عن سمرة(١) بن جندب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى وأخرجانى إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله . قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر(٢) فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده(٣) الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا ؟

---

(١) سمرة بن جندب (بفتح السين وضم الميم ، وبضم الجيم والدال وبفتح الدال بينهما نون ساكنة) ابن هلال من قبيلة غطفان الفزارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات أبوه وهو صغير فقدمت به أمه المدينة فتزوجها أنصارى وكان فى حجره حتى كبر ، وأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المقابلة يوم أحد وغزا مع النبى صلى الله عليه وسلم غزوات ، ثم سكن البصرة ، وكان زياد بن أبيه يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ، وعلى الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وتوفى بالبصرة آخر سنة ٥٩ هـ ، روى له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث .

(٢) الفهر (بكسر الفاء وسكون الهاء) : حجر ملء الكف .

(٣) تدهده الحجر : تدحرج .

قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فإذا خمدت رجعوا ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر ، فرجع كما كان فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان . وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بى فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل . قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت ؟ قالا : نعم ؛ الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة . والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذى رأيته فى النقب فهم الزناة . والذى رأيته فى النهر فآكل الربا . وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فإبراهيم . وأما الصبيان حوله فأولاد الناس ، والذى يوقد النار فما لك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء . وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة . قالا : ذلك منزلك . قلت دعانى أدخل منزلى . قالا : إنه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك) .

هذا الحديث نص فى العذاب الدائم فى البرزخ لأن رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما فى نفس الأمر .

والعذاب المتقطع : يكون للمؤمنين العصاة الذين خفت جرائمهم فإنهم يعذبون بقدرها وقد يرفع عنهم العذاب بدعاء أو صدقة أو عفو من الله تعالى أو استغفار أو ثواب حج أو قراة أو دفن رجل صالح بجوارهم أو نحو ذلك .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبد الله بن نافع قال : مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ثم أنه بعد سابعة أو ثامنة رآه كأنه من أهل الجنة فقال : ألم تكن قلت

إنك من أهل النار ؟ قال : قد كان ذلك إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع فى أربعين من جيرانه فكنت منهم .

وحدثنا أحمد بن يحيى حدثنا بعض أصحابنا قال : مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت له : ما حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لى لرأيت أنه سيضربنى به .

وحكى عن الحسن البصرى(١) رحمه الله أن امرأة كانت تعذب فى قبرها وكل الناس يرون ذلك فى المنام ثم رؤيت بعد ذلك وهى فى النعيم فقيل لها : ما سبب ذلك ؟ فقالت : مر بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ذلك لنا وكان فى المقبرة خمسمائة وستون رجلا فى العذاب فنودوا ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم .

هذه المرائى وأمثالها وإن لم تصح بمجردها لإثبات ما قلناه فهى على كثرتها قد تواطأت على هذا المعنى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما فى البخارى ومسلم وغيرهما على أننا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الأحاديث .

ضغطة القبر

هى التقاء حافتى القبر على جسد الميت ، وهذا الضغط أو الضم يكون بعد سؤال الميت فى القبر أو غيره كما لو طرح الميت فى الصحراء ولم يدفن فإنه يضيق عليه الجو ويضمه كالقبر ، فسبحان القادر على كل شىء .

ويختلف الضم باختلاف العمل ، فالصالح يضمه القبر كما تضم الأم الشفيقة ولدها الوحيد الذى حضر بعد طول غياب ، والطالح يضمه القبر

---

(١) هو الإمام الحسن بن أبى الحسن البصرى من الكبار التابعين وفضلائهم ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه سنة (٢١ هـ) ، كان والده مولى زيد بن ثابت الأنصارى وأمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين التى كانت تعطى ثديها الحسن فى صغره تعلله به حتى تجىء أمه فيدر عليه باللبن المبارك فيشربه ولذلك يروى العلماء أن علم الإمام الحسن البصرى وفصاحته وورعه وتقواه من بركة ذلك اللبن ، وكان مع هذا جميلا وسيماً واعظاً مؤثراً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وله مواقف مشهودة مع الحجاج وغيره .

ويضغط عليه حتى تختلف أضلاعه . ويدوم الضغط على الكافر . ولا يدوم على المؤمن .

وحكمة ضغطة القبر وضمه: هي ما رواه ابن أبي الدنيا عن محمد التيمى قال : كان يقال : إن الأرض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها . فمن كان لله مطيعاً ضمته برأفة ورفق . ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها .

وقال الحكيم الترمذى : سبب هذه الضغطة . أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب فتدركه هذه الضغطة جزاء له ثم تدركه الرحمة .

واعلم أن كل ميت يضمه القبر إلا من استثنى ولم ينج منها سعد بن معاذ الذى اهتز له عرش الرحمن عند موته إجلالا له وتكريماً وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة .

روى النسائى فى سننه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (هذا الذى تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه) قال النسائى : (يعنى سعد بن معاذ) .

وللنسائى أيضاً عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ) .

وأخرج البيهقى(١) من طريق ابن إسحاق . حدثنى أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن ذلك فقال : كان (أى سعد بن معاذ) يقصر فى بعض الطهور من البول .

وكذلك الأطفال لا ينجون من ضغطة القبر :

فقد روى ابن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام صلى على صبى أو صبية وقال : (لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبى) .

---

(١) البيهقى هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقى (نسبة إلى قرية بناحية نيسابور يقال لها : بيهق على عشرين فرسخاً منها) ، ولد فى شعبان سنة ٣٧٤ هـ ، ومات فى جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ ، ودفن ببلدته بيهق وله كتاب شعب الإيمان .

وهذا الحديث رفعه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد ورجاله موثقون .

وروى الطبرانى أيضاً بسند صحيح عن أبى أيوب الأنصارى أن صبياً دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبى) .

واستثنى من هذا الضم ثلاثة :

١ ـ الأنبياء : فإن القبر لا يضمهم لأنهم معصومون من ارتكاب الذنوب والآثام . قال الحكيم الترمذى : وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نعلم أن لهم فى القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم .

٢ ـ ومن قرأ : « قل هو الله أحد » فى مرضه الذى يموت فيه لقوله عليه الصلاة والسلام : (من قرأ : « قل هو الله أحد » فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطته وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة) .

(أخرجه أبو نعيم(١) فى الحلية عن عبد الله بن الشخير)

٣ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم من عوف بن كعب بن وفدان البصرى الصحابى روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث :

فقد روى الحافظ أبو نعيم : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيع جنازة فاطمة بنت أسد وكان مرة يحمل ، ومرة يتأخر ، ومرة يتقدم ثم نزل قبرها ونزع قميصه وتمعك (تمرغ) فى لحدها (أى قبرها) ، فقال : (أردت ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله) ، وقال : (ما عفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد فقيل : يا رسول الله ولا ابنك القاسم . قال : ولا إبراهيم الذى هو أصغر منه) .

---

(١) أبو نعيم (بضم النون وفتح العين وسكون الياء) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن اسحاق بن موسى بن مهران لأصبهانى الحافظ المحدث ، ولد فى رجب سنة ست أو سبع وثلاثين وثلثمائة .

ولما اشتد صنف الحلية والمستدرك على البخارى ، والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة ، وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصنف فى الطب وغيره ، ومات يوم ٢٠ من المحرم سنة ٤٣٠ هـ .

وهذا الحديث الذى أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن الشخير : (من قرأ : « قل هو الله احد » الحديث فى نفسى منه شىء والله أعلم) .

وعن جابر ابن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله إن أم على وطالب وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى أمى فقمنا وكأن على رءوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها(١)إياه تحت أكفانها فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتمعك فى اللحد ثم خرج فقال : أدخلوها باسم الله ، وعلى اسم الله فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جزاك الله من أم وربيبة خيراً فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى فقلنا : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما . قال : ما هما ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمعكك فى اللحد . قال : (أما قميصى فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردت أن يوسع الله عليها فى القبر) .

قال جلال الدين السيوطى رحمه الله نظماً :

وضمَّةُ القبر وليسَ منْ أَحـــدْ
يسلمُ منها ما عـــدا بِنتَ أَسـدْ
فاطمةٌ ومن لِإخلاصٍ قرا
فى مرضِ الموتِ كما قدْ ذُكرا
ويضغطُ الميِّت ضغطة تزول
منها الحمائل كما قالالرَّسول

فى البيت الثالث اقتباس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج أحمد والحكيم والترمذى فى نوادر الأصول والبيهقى فى كتاب عذاب

---

(١) أشعروها إياه : أى ألبسوها قميصى واجعلوه على جسدها شعاراً لها لأن الشعار (بكسر الشين) من اللباس ما يلى شعر الجسد بخلاف الدثار (بكسر الدال) ، فإنه لباس يلبس فوق الشعار .

القبر عن حذيفة قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شقه فجعل يردد بصره فيه ثم قال : (يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله ، ويملأ على الكافر ناراً) .

(قال الأزهرى : الحمائل هنا عروق الأنثيين . قال : ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف أى عواتقه وصدره وأضلاعه) .

عذاب الكافر وأنواعه :

يعذب الكافر بعد موته بأنواع من العذاب منها :

١ – أنه يسلط الله عليه فى قبره تسعة وتسعين ثعباناً كبيراً تنهشه وتلدغه إلى يوم القيامة لأنه كفر بأسماء الله الحسنى ، وهى تسعة وتسعون إسماً . فقد أخرج ابن أبى شيبة وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى(١) رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة . ولو أن تنيناً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت خضراء) .

٢ – ومنها أنه تفتح له طاقة من جهنم فى القبر فيأتيه من دخانها وحرارتها فيتألم ألماً شديداً . روى فى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة) .

(رواه الإمام أحمد ، وفى بعض طرقه ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة) .

٣ – ومنها أنه يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه بعد سؤال الملكين وعدم إجابته لهما فيصيح صيحة تسمعها الخلائق ما عدا الإنس والجن ، وينهره الملكان بشدة وعنف كما علمت فى الأحاديث المتقدمة فى سؤال القبر وعذابه

---

(١) أبو سعيد الخدرى نسبة إلى خدرة قبيلة من الأنصار وهو سعد بن مالك بن سنان من قبيلة خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الصحابى الجليل . أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا تأخذه فى الله لومة لائم واستصغر يوم أحد فرد وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشرة غزوة أولها : غزوة الخندق ، وكان من الرعاة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة .

٤ – ومنها أن القبر يضغطه ضغطة شديدة حتى تختلف أضلاعه .

٥ – ومنها أنه يضيق عليه قبره ، فقد روى عن أبى حازم عن أبى هريرة : (أن الميت إذا كان عدو الله نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه يحب ألا تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه . فإذا جلس فى قبره أو أجلس . فيقال من ربك؟ فيقول : لا أدرى فيقال : لا دريت فينفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة إلا الثقلين ، ثم يضيق عليه قبره) .

أورده الهيثمى وقال : فى الصحيح طرف منه رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسى فإنى لم أعرفه .

٦ – ومنها أن روحه تكون فى سجين إلى يوم الدين .

والخلاصة أن الكافر إذا احتضر رأى من العذاب ألواناً ومن الإهانة أنواعاً ، سواء عند خروج روحه أم عند صعودها إلى السماء فتغلق دونها السموات وترجع إلى جسدها مزودة بالمقت والغضب واللعنة أم فى قبره كما علمت .

نعيم القبر وأنواعه :

نعيم القبر يكون للمؤمنين من هذه الأمة ومن غيرهم من الأمم السابقة ، وللمكلفين وغير المكلفين .

١ – ومن نعيمه توسيعه إلى سبعين ذراعاً طولا وكذلك عرضاً أى ٧٠ × ٧٠ = ٤٩٠٠ ذراع وإلى مد البصر . وإلى بلد الغريب ، وكل ذلك يختلف باختلاف الناس من أهل الخير والصلاح فكل من زاد فى الأعمال الصالحة والفعال الطيبة المباركة كان قبره أوسع .

٢ – ومن نعيمه أيضاً فتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان والروائح الطيبة العطرة كما فى الصحيحين من حديث قتادة عن أنس بن مالك أنه يفسح له (أى المؤمن) فى قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، وجعله روضة من رياض الجنة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) .

٣ – وجعل قنديل (أى مصباح) فيه فينور له قبره كالقمر ليلة البدر .

ورد أن الله تعالى أوحى إلى موسى (يا موسى تعلم الخير وعلمه الناس

فإنى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم) أخرجه الإمام أحمد فى الزهد .

وعن عمر مرفوعاً من نور فى مساجد الله نور الله له فى قبره ، وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء .

٤ – ومن نعيمه أيضاً أن أعمال المؤمن الصالحة تتشكل فى صورة رجل صالح يبشر صاحبه بالجنة ويؤنسه فى قبره كما جاء فى حديث البراء بن عازب وفيه (ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول : أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم فيقول من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح) .

أحاديث فى نعيم القبر :

١ – أخرج مسلم عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما مات أبو سلمة : (اللهم افسح له فى قبره ونور له فيه) .

٢ – وأخرج مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وأن الله ينورها بصلاتى عليهم) .

٣ – وأخرج الديلمى فى الفردوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات العالم صور الله له علمه فى قبره فيؤنسه إلى يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الأرض . (أى يدفعها عنه) .

٤ – وأخرج أبو الفضل الطوسى فى عيون الأخبار بسنده عن عمر مرفوعاً : (من نور فى مساجد الله نوراً نور الله فى قبره ومن أراح فيه رائحة طيبة أدخل الله عليه فى قبره من روح الجنة) .

٥ – وأخرج البيهقى وابن أبى الدنيا عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) .

وأخرج الترمذى مثله فى حديث أبى سعيد الخدرى . وأخرج الطبرانى فى الأوسط مثله من حديث أبى هريرة .

٦ – وأخرج أحمد والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل إذا توفى فى غير مولده يفسح له من مولده إلى منقطع أثره) .

٧ – وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد عن السرى بن مخلد أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر : (لو أردت سفراً لأعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى ! بأبى أنت وأمى قال : صم يوماً شديد الحر ليوم النشور ، وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور) .

٨ ـ وأخرج الديلمى يفسح للرجل فى قبره كبعده من أهله .

٩ ـ وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم(١)والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هى المنجية هى المانعة تنجيه من عذاب القبر) .

قال الحافظ زين الدين بن رجب(٢)فى كتاب أهل القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه إنما يبقى عمله عليه لينعم بذكر الله وطاعته كما تتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة فى الجنة وإن لم يكن على ذلك ثواب لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيما عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله وطاعته .

شعب الإيمان المنجيات

عن عبد الرحمن بن سمرة(٣) قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صُفَّة بالمدينة فقام علينا فقال : (إنى رأيت البارحة عجباً :

---

(١) الحاكم : هو الإمام أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله رؤبة بن نعيم الضبى النيسابورى صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والأكليل ، ومناقب الإمام الشافعى وغير ذلك . ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ ، وكان يعرف بابن البيع ، رحل وسمع من نحو ألفى شيخ ، توفى رحمه الله فى شهر صفر سنة ٤٠٥ هـ .

(٢) ابن رجب : هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الإمام المحدث رجب ، اشتهر بين العلماء والمؤرخين بابن رجب الحنبلى ولد ببغداد ثم قدم مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة . اشتغل بسماع الحديث برعاية والده وعنايته ، وسمع من غيره بمكة ومصر – وكانت له مجالس وعظية موقظة للقلوب ، فمال الناس إليه وأعجبوا به ، وله كثير من المؤلفات المفيدة ، توفى رحمه الله بدمشق ودفن بها سنة ٧٩٥ هـ .

(٣) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمى ، أسلم فى فتح مكة وهو من

١ – رأيت رجلا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه.

٢ – ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته(١) الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه.

٣ – ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

٤ – ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه.

٥ – ورأيت رجلا من أمتي والنبيون جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا منهم طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده. وأجلسه إلى جنبي.

٦ – ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ويساره وفوقه ظلمة وهو متحير فجاءه الحج والعمرة فأخرجاه من الظلمة، وأدخلاه النور.

٧ – ورأيت رجلا من أمتي يتقى وهج الشمس وشررها فجاءته صدقته فصارت له ستراً بينه وبين النار وظلا على رأسه.

٨ – ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه وصافحوه.

٩ – ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية(٢) فجاءه أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة.

١٠ – ورأيت رجلا من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل.

١١ – ورأيت رجلا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه.

=أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتح سجستان وكابل حينما كان أميراً لعبد الله بن عامر، روى هذا الحديث الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة منامه، وروى أيضاً الحديث الذي رواه الخمسة في الزهد والإمارة، توفي سنة ٥٠ هجرية.

(١) احتوشته الشياطين: أي أحدقوا به وجعلوه في وسطهم.

(٢) الزبانية: هم الملائكة الذين يدفعون أهل النار إليها.

١٢ ــ ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءته أفراطه (أى الذين ماتوا قبله من الأولاد) فثقلوا ميزانه .

١٣ ــ ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه فى الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى .

١٤ ــ ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكاها من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك .

١٥ ــ ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة (أى الخوصة) فى يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن .

١٦ ــ ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط يحبوا أحياناً ، ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته .

١٧ ــ ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة) .

تعليقات على هذا الحديث :

هذا الحديث قال فيه الحافظ أبو موسى المدينى : هذا حديث حسن جداً. وقد بنى عليه كتابه فى الترغيب والترهيب وجعله سر حاله رواه عن طريق الفرج بن فضالة عن هلال أبى حبلة (مدنى لا يعرف بغير هذا الحديث) عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم أمر هذا الحديث ويقول : أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث .

روى هذا الحديث فى الصحيح ، وقد امتاز بأنه ذكر العقوبة أولا ، ثم ذكر ما ينجى منها من فروع الإيمان ، وقد اشتمل أيضاً على سبع عشرة طاعة هى :

١ ــ البر بالوالدين .
٢ ــ ذكر الله تعالى .
٣ ــ الصلاة .
٤ ــ صيام شهر رمضان .
٥ ــ الغسل من الجنابة .
٦ ــ الحج والعمرة .
٧ ــ الصدقة .
٨ ــ صلة الرحم .
٩ ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
١٠ ــ حسن الخلق .
١١ ــ الخوف من الله .

١٢ ــ الصبر على موت الأولاد.	١٣ ــ الرجاء فى الله .
١٤ ــ البكاء من خشية الله .	١٥ ــ حسن الظن بالله .
١٦ ــ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .	١٧ ــ الشهادة بالله .

كما يؤخذ منه أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحى .

هذا ورؤياه صلى الله عليه وسلم فى منامه طويلة وردت من ثلاثة أوجه من حديث سمرة فى الصحيح ، ومن حديث على وأبى أمامة ، والثلاثة قريب بعضها من بعض تشتمل على ذكر عقوبات جماعة من المعذبين فى البرزخ ؛

مكفرات الذنوب

١ ــ التوبة النصوح : قال الله تعالى فى سورة الفرقان : « **إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً** » .

٢ ــ الاستغفار : قال الله تعالى فى سورة الأنفال : « **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** » والتوبة تتضمن الاستغفار ، والاستغفار يتضمن التوبة وهذا عند الانفراد وأما عند الاجتماع ، واقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فكل منهما يكون له معنى مغاير للآخر مثل :

« **أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه** » .

فالاستغفار هنا هو طلب الوقاية والحفظ من شر ما مضى ، والتوبة هنا معناها الرجوع إلى الله ، وطلب الوقاية والحفظ من شر ما يخافه فى المستقبل .

٣ ــ الحسنات : قال الله تعالى فى سورة هود عليه الصلاة والسلام : « **إن الحسنات يذهبن السيئات** » ، وقال عليه الصلاة والسلام : (واتبع السيئة الحسنة تمحها) . فالحسنات فى الآية والحسنة فى الحديث تذهب وتمحو الذنوب الصغار أما الكبائر فلا تمحوها إلا التوبة النصوح .

٤ ــ المصائب الدنيوية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولا غم ، ولا هم ، ولا حزن حتى الشوكة

يشاكها إلا كفر بها خطاياه) : أى ذنوبه الصغار .

٥ — ما يهدى إلى الميت من ثواب صدقة ، أو قراءة قرآن ، أو حج أو غير ذلك مما ستعرفه إن شاء الله فى هذا الكتاب عند الكلام عما ينفع الميت من الأعمال .

٦ — عفو الله للمؤمن المذنب من غير شفاعة قال الله تعالى : **« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** .

من لا يسألون فى قبورهم :

لله عباد يكرمهم الله فى قبورهم ، وفى دار البرزخ ، فلا يسألون فيها ولا يعذبون بل ينعمون وهؤلاء هم :

١ — الشهداء المسلمون :

الذين قتلوا فى سبيل الله بنية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

روى عن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهداء ؟ فقال : (كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة) .

(أخرجه النسائى وإسناده جيد)

ومعنى الحديث أن الشهيد قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيوف على رأسه فلم يفر ، فلو كان منافقاً لما صبر فدل على أن إيمانه هو الذى حمله على بذل نفسه لله ، وتسليمها له فى سبيل إظهار دينه ، وإعزاز كلمته .

فأغنى ذلك عن الامتحان فى قبره .

واعلم أن الشهيد المنافق لا يغفر له ، ولا تمحى خطاياه وذنوبه ، وأن السيف لا يمحو النفاق ، وكذلك الشهيد الكافر لا يغفر له لأن شرط الشهيد أن يكون مسلماً فكما لا يصح صلاة الكافر ولا صيامه كذلك لا تصح شهادته .

وقد قسم الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم الشهيد إلى ثلاثة أقسام فقال : اعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام :

---

(١) الوصب : المرض ، والنَّصَب (بفتح النون والصاد) : التعب ، ومنه قوله تعالى : « فإذا فرغت فانصب » ، والغم واحد الغموم : الكرب ، والهم واحد الهموم : الحزن .

أحدها: المقتول فى حرب الكفار بسبب من أسباب القتال فهذا له حكم الشهداء فى ثواب الآخرة ، وفى أحكام الدنيا وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، وهو أعلى الشهداء وأعظمهم .

والثانى : شهيد فى الثواب دون أحكام الدنيا وهو المبطون ، والمطعون وصاحب الهدم ، ومن قتل دون ماله ، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً ، فهذا يغسل ويصلى عليه ، وله فى الآخرة ثواب الشهداء ، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غلّ فى الغنيمة (أى خان فيها) وشبهه ممن وردت الآثار بنفى تسميته شهيداً إذا قتل فى حرب الكفار ، فهذا له حكم الشهداء فى الدنيا . فلا يغسل ولا يصلى عليه ، وليس له ثوابهم الكامل فى الآخرة . أ هـ .

مزايا الشهداء :

اعلم أن الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يختصون :

(أ) بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

(ب) وأنهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة . وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مظللة فى ظل عرشه .

(ج) وأن تنعيمهم يكون بواسطة أبدانهم أكمل وأتم من تنعيم الأرواح المجردة على الأبدان فنصيب الشهداء من النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وإن كان بعض الأموات على فرشهم أعلى درجة من كثير من الشهداء فلهم نعيم يختص بهم لا يشاركه فيه غيرهم .

٢ ــ المرابط فى سبيل الله :

وهو من لازم محلا من بلاد المسلمين مدة لحفظهم من الكفار على نية الجهاد فى سبيل الله فارساً كان أو راجلا (أى ماشياً على رجليه) .

فسكان الثغور الإسلامية الذين يقيمون فيها بأهليهم بنية التعمير والكسب ليسوا بمرابطين . ولا ينالون جزاءهم ، بل يسألون ويفتنون فى قبورهم .

وجزاء المرابط فى سبيل الله ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان (بضم الفاء وتشديد التاء : جمع فاتن وهو ملك السؤال) ، وفى رواية : أومن ، وروى أيضاً : الفتان (بفتح الفاء) مفرداً لا جمعاً) .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر) .

(أخرجه أبو داود والترمذى)

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، ثم قال الترمذى أيضاً فى توجيه هذا الحديث : إن المرابط قد ربط نفسه وسجنها وصبرها حبيساً لله فى سبيله لمحاربة أعدائه فإذا مات على هذا فقد ظهر صدق ما فى ضميره فوقى فتنة القبر .

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتانين ويبعثه الله آمناً من الفزع) .

٣ ـ الأنبياء والمرسلون :

قال ابن حجر : إن السؤال لمن شأنه أن يفتتن وهؤلاء الشأن فيهم عدم الافتتان فلا يسألون وقيل : إذا كان الشهيد ـ وهو أقل رتبة من الرسول والنبى ـ لا يسأل فى قبره فمن باب أولى ألا يسأل الرسول والنبى فى قبرهما ، فيكون قياساً أولوياً .

٤ ـ الملائكة :

وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يموتون إلا بعد النفخة الأولى التى تموت فيها الخلائق هؤلاء لايسألون بعد موتهم لأن السؤال لمن شأنه أن يقبر والشأن فى الملائكة عدم إقبارهم . هكذا قيـــل .

٥ ـ الأطفـــال :

الذين ماتوا قبل البلوغ على الصحيح لأن السؤال فرع التكليف والأطفال

غير مكلفين وجزم بعد سؤالهم الحافظ السيوطى كما جزم القرطبي(١) بسؤالهم مستنداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم بعد دفن ولده إبراهيم : (يا بني إن القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون قل : الله ربي والإسلام ديني ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبي . فبكت الصحابة وارتفع صوت عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم وليس لنا ملقن مثلك يلقننا التوحيد فى مثل هذا الوقت فبكى عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه ، فنزل جبريل عليه السلام وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائهم فذكر له كلام عمر رضى الله عنه : فصعد ورجع يقول : ربك يقرئك السلام ويقول لك : **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »** .

لكن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به فى إثبات مثل هذا .

وقال القرطبي أيضاً ومن وافقه : إن الأطفال يسألون فى قبورهم لأن صلاة الجنازة عليهم مشروعة . وكذلك الدعاء لهم .

وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنته كما ذكر الإمام مالك(٢) فى موطئه عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه (اللهم قه عذاب القبر) .

والجواب عن ذلك أن فى القبر من الآلام والهموم ما قد يسرى أثره إلى الطفل فيتألم به . فيشرع للمصلى عليه أن يسأل الله تعالى أن يقيه ذلك العذاب . وفتنة السؤال .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (بإسكان الراء وبالحاء المهملة) الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي كان من العلماء العارفين بالله الزاهدين فى الدنيا والمشتغلين بأمور الآخرة ، ومن مؤلفاته كتاب التفسير المسمى بالجامع لأحكام القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً وكتاب التذكرة بأمور الآخرة ، وكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار فى أفضل الأذكار وغير ذلك من الكتب المفيدة ، توفى رحمه الله بمنية ابن الخصيب ودفن بها فى ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ، وسيد فقهاء الحجاز وهو عربي من قبيلة ذى أصبح أدرك خيار التابعين من الفقهاء فأخذ عنهم ، ولد رحمه الله سنة ٩٥ هـ بذى المروة موضع من أعمال المدينة ، ثم نشأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يرحل عنها حتى توفى فيها سنة ١٧٩ هـ ، ودفن بالبقيع ؛ كانت للإمام مالك منزلة عظيمة عند الخلفاء والأمراء .

قال ابن القيم فى كتاب الروح : وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعاً . فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله .

بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذى يحصل للميت بسبب غيره ، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) . أى يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحى .ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وبذلك يكون قول الحافظ السيوطى بعدم سؤال الأطفال فى قبورهم هو الحق .

٦ ـ المجنون :

الذى جن قبل البلوغ أو بعده وهو مسلم واستمر به الجنون إلى الموت لعدم سبق التكليف له أصلا فى الحالة الأولى ، ولسبق التكليف له فى الحالة الثانية مع ملازمته للإسلام . أما إن جن بعد البلوغ وهو كافر فإنه يسأل .

٧ ـ الأبله(١) :

وهو من طبع على الخير ، وسلامة الضمير . ولا يعرف الشر . وأحوال الدنيا .

أو هو الذى لا عقل له يصل به إلى معرفة دينه أو دنياه . ويكون حكمه كالطفل أو المجنون .

٨ ـ الصديق :

وهو كل مسلم لازم الصدق ، وبالغ فيه ظاهراً وباطناً ، وليس المراد به خصوص أبى بكر الصديق .

قال أبو عبد الله القرطبي : إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً

---

(١) وخبر : (أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقى ، وسنده لين (أى ضعيف) . قال ابن عدى : فيه سلامة بن روح منكر الحديث ، وقال الدارقطنى : سلامة ضعيف ، وقال ابن الجوزى : حديثه لا يصح .

وأعظم أجراً ألا يفتن لأنه مقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء،وقد صح فى المرابط الذى هودون الشهيد ألايفتن فكيف بمن هوأعلى رتبة منه ومن الشهيد ؟

٩ – الميت بالطاعون :

فى زمنه صابراً محتسباً ففى الصحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فقال : (كان عذاباً على من شاء الله من عباده ، فجعله رحمة للمؤمنين . فليس من رجل يقع فى الطاعون فيمكث فيه صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد) .

وقد جزم شيخ الإسلام ابن حجر فى كتابه (بذل الماعون فى فضل الطاعون) : بأن الميت بالطعن لا يسأل لأنه نظير المقتول ، وبأن الصابر فى الطاعون محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إذا مات فيه بغير الطعن لا يفتن أيضاً لأنه نظير المرابط .

وقال رحمه الله أيضاً فى كتابه المذكور : ووقع لى تردد فى الفاسق ماحكمه ؟ وهو مرتكب الكبيرة إذا هجم عليه الطاعون فمات به وهو مُصر.

فإنه يحتمل أن يقال : لا يكرم بدرجة الشهادة لما هو متلبس به .

ويحتمل أن يقال : بل تحصل له الشهادة لإطلاق الأخبار خصوصاً خبر الشيخين مرفوعاً : (الطاعون شهادة لكل مسلم) وخبر أحمد برجال ثقاة ، والطبرانى وابن منده عن أبى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعاً (أتانى جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة ، ورجز على الكافر) (أى عذاب على الكافر) .

وبالقياس على شهيد المعركة فإنه يحكم له بالشهادة ، وإن كانت عليه ذنوب كثيرة لم يتب منها إلا تبعات الآدميين .

لحديث (إن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدَّين) وسائر التبعات فى معناه (انتهى كلامه) .

قال الحافظ السيوطى : والاحتمال الثانى فى كلام الحافظ (أى ابن حجر) هو الصواب .

ولا يختص ذلك بالمطعون بل يأتى فى باب الشهادة كله .

قال السحيمى فى كبيره على الأربعين : الأوجه فى باب الشهادة أن يقال : إن كان سبب الموت معصية كأن تسببت المرأة فى إلقاء الحمل فماتت . أوركب البحر وسير السفينة فى وقت لا تسير فيه السفن فغرق لم تحصل الشهادة .

وإن لم يكن السبب معصية حصلت الشهادة ؛ وإن قارنها معصية كزناً ، وشرب خمر لراكب سفينة (انتهى) .

١٠ – والمبطون :

وهو الذى مات بمرض البطن (أى الإسهال أو الاستسقاء ونحوهما) .

ففى سنن ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه (من مات مبطوناً مات شهيداً ، ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزق من الجنة) .

١١ – الملازم لقراءة سورة الملك :

فى غالب أوقاته من وقت العلم سواء أقرأها عند النوم أم قبله . ولا يضر الترك فى بعض الأحيان لعذر .

روى ابن مسعود رضى الله عنه : (من قرأ سورة الملك كل ليلة عصم من فتنة القبر) . (رواه بن جرير)

١٢ – ومثله من واظب على قراءة سورة السجدة :

ذكره بعضهم واستدل بما روى عن البراء بن عازب مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ آلم السجدة ، وتبارك الملك قبل النوم نجا من عذاب القبر ، ووقى فتانى القبر) ولكن فى سند هذا الحديث سوار بن مصعب وهو ضعيف جداً .

١٣ – ومن مات ليلة الجمعة أو يومها :

لقوله عليه الصلاة والسلام : (ما من مسلم(١) يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) . (رواه عبد الله بن عمرو بن العاص)

---

(١) هذا الحديث إسناده ضعيف لانقطاعه فأخرجه الترمذى عن طريق عبد الرحمن بن مهدى وأبى عامر العقدى كلاهما عن هشام بن سعد بهذا الإسناد . قال الترمذى : هذا حديث غريب وليس=

قال الحكيم الترمذى : ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى ؛ لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها . ولا يعمل سلطان النار ما يعمل فى سائر الأيام ، فإذا قبض الله عبداً من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلا لسعادته وحسن مآبه ، وأنه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب الله له السعادة عنده لذلك يقيه فتنة القبر .

١٤ ــ ومن قرأ : « قل هو الله أحد » فى مرض موته :

لقوله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ « قل هو الله أحد » فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجزه من الصراط إلى الجنة) .

رواه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن الشخير (بتشديد الشين والخاء بالكسر) .

قال الشيخ حسن العدوى فى كتابه مشارق الأنوار : اتفق جمهور أهل السنة على عدم سؤال شهداء الحرب ، والسر فى ذلك كونهم أحياء . وكذلك الرسل والأنبياء لا يسألون على التحقيق .

وأما غير من تقدم من نحو : مطعون ومبطون وغريق ، وميت الجمعة ، والمواظب على قراءة تبارك الملك ، والسجدة كل ليلة ممن ورد النص فيهم بعدم سؤالهم ففيه طريقتان :

فبعضهم يقول : بعدم السؤال رأساً عملا بظواهر الأحاديث . وبعضهم يقول : المنفى سؤال التشديد .

قال المرحوم الشيخ محمد سليمان المالكى مذهبا الخلوتى طريقة من أفاضل

= إسناده بمتصل (أى ضعيف) ، وقال الحافظ السيوطى فى المرقاة : أخرجه أحمد وحسنه — وابن أبى الدنيا ، وفى رواية : حدثنا بقية عن معاوية بن سعيد عن أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر) وهذا إسناده ضعيف أيضاً لأن بقية بن الوليد مدلس .

أقول : إن هذا الحديث وإن روى بطرق فيها ضعف ولكن هذه الطرق قد قوى بعضها بعضاً فيكون هذا الحديث حسناً لغيره ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل فإنه أخرجه وحسنه ، وبذلك يصح الاحتجاج به .

العلماء ، ومن كبار رجال الوعظ والإرشاد فى مجلة الإسلام لعامها السادس سنة ١٣٥١ هـ .

وعلى هذا من مات ليلة الجمعة أو يومها لا يسأل مطلقاً ، و يسأل سؤالا خفيفاً على إحدى الطريقتين ولكنه لا يعذب على جرائمه إن كان قد ارتكب ما يستوجب ذلك من المعاصى ، ويكون موته فى هذه الليلة أو اليوم سبباً من أسباب إعفائه من العقوبة فى القبر ، وإن كان قد يعاقب عليها يوم القيامة إن لم يكن ممن أراد الله أن يشمله عفوه ومغفرته اهـ .

(فائدة) أن من لا يسأل فى قبره لا يعذب فيه ، وأن من نجا منه فما بعده أيسر منه قاله الإمام القرطبى .

من لا تأكل الأرض أجسامهم :

أكرم الله عباداً بحفظ أجسامهم بعد مماتهم ، وحرم على الأرض أن تأكل تلك الأجسام الطاهرة أو تعبث بها حتى تتأثر بالبلى ، وتكون أشلاء ممزقة ، وأجزاء مفرقة هنا وهناك ، وطعمة للدود ، ولقمة سائغة لحشرات الأرض وهوامها . هؤلاء المكرمون هم :

١ ــ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

فقد روى عن أوس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ (أى بليت) فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) .

أخرجه أبو داود السجستانى فى كتاب السنن ، والإمام أحمد والنسائى وابن ماجه والدارمى والبيهقى ؛ وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه ، والطبرانى(١) فى الكبير ، وابن أبى شيبة والحاكم وصححه هو والنووى .

---

(١) (الطبرانى) : هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبرانى ، وهو ــ الإمام مسند الدنيا أحد الأئمة المعروفين ، والحفاظ الكثيرين ، والمصنفين المحدثين ، والثقات

٢ ـ شهداء المعركة فى الجهاد فى سبيل الله :

قال العلماء : لم تأكل الأرض أجساد الشهداء لكونهم أحياء عند ربهم يرزقون . وثبت فى الصحيح أن عمرو بن الجموح . وعبد الله بن عمرو الأنصاريين دفنا فى قبر واحد يوم أحد فحسر السيل قبرهما فحفروا عليهما لينقلا إلى مكان آخر فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس . وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع كما كانت وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد .

قال الإمام القرطبي : ولا فرق فى عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الأمم السابقة الذين جاهدوا مع أنبيائهم ، وماتوا فى القتال بدليل ما صح فى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود(١)أن الغلام الذى قتله الملك ودفن وأصبعه على صدغه أخرج من قبره فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا أصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، وكان أصحاب الأخدود بنجران فى أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم كما فى صحيح مسلم .

وروى نقلة الأخبار أن معاوية بن أبى سفيان لما أجرى العين التى حفرها بالمدينة فى وسط المقبرة ، وأمر الناس بتحويل موتاهم وجدوهم على حالتهم التى ماتوا عليها حتى أن الناس رأوا أثر المسحاة (بكسر الميم الفأس) التى أصابت قدم سيدنا حمزة بن عبد المطلب ، وسال الدم منها ، وكان ذلك فى خلافة معاوية وبعد غزوة أحد التى استشهد فيها سيدنا حمزة بنحو خمسين سنة.

وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله الذى قتل فى أحد كأنه دفن بالأمس .

ومثل الشهداء المرابطون فى سبيل الله .

= الأثبات المعدلين . ولد بطبرية من بلاد العجم سنة ستين ومائتين ، وعمر طويلا ، عاش مائة سنة كاملة ، وتوفى بأصبهان سنة ستين وثلثمائة هجرية . وفى حياته صنف المعجم الكبير فى أسماء الصحابة والأوسط فى غرائب شيوخه والصغير فى أسماء شيوخه ، وروى عنه الكثيرون تمنى ابن العميد أن يكون فى مكان الطبرانى بدل الوزارة والرئاسة .

(١) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض وجمعه أخاديد ، وقصة أصحاب الأخدود ذكرت مجملة فى سورة (البروج) فى قوله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

٣ ـ المؤذن المحتسب :

وهو من يؤذن حسبة لله تعالى . ابتغاء الثواب والأجر من الله لا طلباً للمال والدنيا . روى مرفوعاً « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط فى دمه . وإن مات لم يدود (بكسر الواو المشددة) فى قبره . روى هذا الحديث الطبرانى عن ابن عمرو بن العاص وضعفه المنذرى . وقال البيهقى فيه إبراهيم بن رستم ضعفه ابن عدى ووثقه غيره وفيه أيضاً من لا يعرف ترجمته وفيه أيضاً سالم الأفطس قال بن حبان يقلب الأخبار . وينفرد بالمعضلات قال الإمام القرطبى ظاهر هذا أن المؤذن المحتسب لا تأكله الأرض كالشهيد .

أقول : وقد أثبتت المشاهد ذلك .

قال ابن أبى الدنيا فى كتاب (الأوليا) : كتب إلى أبو عبد الله محمد بن صالح التميمى أن إسحاق بن أبى نباته مكث ستين سنة يؤذن لقومه فى مسجد بنى عمرو بن سعد (يعنى بالكوفة) وكان يعلم الغلمان فى الكتاب . ولا يأخذ الأجر . ومات قبل أن يحفر الخندق (١) بثلاثين سنة .

فلما حفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره فى الخندق فاستخرجوه كما دفن ، لم يتغير فيه شيء إلا أن الكفن قد جف عليه وييبس والحنوط محوط عليه وكان خضيبا افرأوا وجهه مكشوفا . وقد ظهر الحناء فى أطراف الشعر .

فمضى المسيب بن زهير إلى أبى جعفر المنصور وهو على شاطئ الفرات فأخبره فركب أبو جعفر فى الليل حتى رآه فأمر به فدفن بالليل لئلا يفتتن به الناس .

٤ ـ العلمـــاء العاملون :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .

(أخرجه أبو داود . وأخرجه أيضاً أبو جعفر الداودى ولكن بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين) .

---

(١) ليس المراد بالخندق هنا خندق المدينة وإنما المراد به الخندق الذى حفر بمدينة الكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور .

٥ – قارئ القرآن محتسباً :

أى بدون أجر وكان ملازماً لتلاوته عاملا بما فيه ومعظماً له فقد أخرج ابن مندة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض ألا تأكل لحمه فتقول الأرض : أى رب وكيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه) .

(٦ – ٧) الولى ومن يكثر من ذكر الله عز وجل كما هو مدون فى كتب التوحيد ولكن لم أجد لها دليلا حتى أستند إليه .

الرّوح ..

الروح هو: جسم نورانى علوى خفيف حى لذاته متحرك ينفذ فى الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى النبات ، والدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، لا يتبدل ولا يتحلل .

فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء . وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية .

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب ينافى الروح ، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح .

وإلى هذا ذهب الإمام مالك وجمهور المتكلمين والصوفية ، والرازى وإمام الحرمين ، واختاره ابن القيم وقال : إنه هو الذى دل عليه الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، وأدلة العقل والفطرة ، وأقام عليه أكثر من مائة دليل فى كتاب الروح ثم قال : وكل ما يؤثر عن العلماء فى معنى الروح إنما هو من قبيل ذكر الأوصاف التى هى من باب الآثار والأحكام ، لا من قبيل الكشف عن الحقيقة الذاتية ؛ لأن الروح مما استأثر الله بعلمه فلا تحيط به العقول البشرية . ولذلك لما سأل اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الروح امتحاناً لرسول الله . وتعجيز له لم يجبهم بالحقيقة بل أجيبوا بقول الله عز وجل « **قل الروح من أمر ربى** » : أى أن العلم بحقيقة الروح وكنهها من شأنه تعالى وحده .

وهناك مذاهب أخرى تقول : إن الروح عرض وليس بجسم فقيل : هو الحياة ، وقيل : هو الحرارة الغريزية ، وقيل : هو نور وكل هذا باطل ، لأنه ورد فى السنة النبوية أن الروح تصعد وتنزل ، وتذهب وتجىء ، وتتحرك وتسكن ، وتدرك وتعقل ، وتأكل وتشرب ، وتتنعم وتعذب إلى غير ذلك من صفات الأجسام فبطل قول كل قائل بأنها عرض .

وقيل : إن الروح جسم فقيل : هو الدم ؛ لأن الحيوان إذا مات لا يفوت منه إلا الدم ، وقيل : هو النفس الداخل والخارج بالتنفس المعبر عنه بالهواء .

وهذان القولان أشبه بمذهب الفلاسفة .

والصحيح هو الرأى الأول : لأنه يشهد له الكتاب والسنة والأدلة العقلية ، وعليه جمهور العلماء .

الروح فى القرآن الكريم ومعناه :

ورد لفظ الروح فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة لمعان مختلفة :

١ – منها : ما به حياة البدن ، وهو السر الإلهى ، والأمر الخفى الذى استأثر الله بعلمه قال تعالى : **« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »** (١) .

٢ – ومنها : القرآن الذى أوحاه الله تعالى إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل فى ثلاث وعشرين سنة قال تعالى :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم »(٢) .

فالروح هنا هو القرآن ، لأن بالقرآن تحيا القلوب .

٣ – ومنها : الوحى الذى يوحيه الله إلى أنبيائه ورسله قال الله عز وجل :

« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون »(٣) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥ .
(٢) سورة الشورى آية : ٥٢ .
(٣) سورة النحل آية : ٢ .

وقال تعالى : « **رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق** »(١) .

فالروح فى سورة النحل ، وفى سورة غافر معناه الوحى ، وسمى الوحى روحاً لأن الوحى يسرى فى القلوب كسريان الروح فى الجسد فتحيا به القلوب.

٤ – منها جبريل قال تعالى :

« **وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس** »(٢) .

والمعنى قوينا عيسى عليه الصلاة والسلام بالروح المقدسة (أى المطهرة من المعاصى والمخالفات والأقذار) وهى جبريل عليه السلام يسير معه حيث سار .

وقال تعالى : « **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** »(٣).

فالروح هنا جبريل عليه السلام ، وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص على عام ، لشرف جبريل روحاً لأنه ينزل بالوحى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيحيي القلوب والنفوس .

وقال الله تبارك وتعالى : « **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** »(٤) .

وقال تعالى : « **ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** »(٥) .

فالروح فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفى سورة التحريم هو جبريل عليه السلام .

٥ – ومنها : اختصاص عيسى عليه الصلاة والسلام أنه روح من الله تعالى :

قال تعالى : « **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**(٦) » .

---

(١) سورة غافر آية : ١٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٧ .

(٣) سورة القدر آية : ٤ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٩١ .

(٥) سورة التحريم آية : ١٢ .

(٦) سورة النساء آية : ١٧١ .

ومعنى روح منه : أن عيسى عليه الصلاة والسلام ذو روح من الله أضيف إليه تعالى تشريفاً لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .

٦ – ومنها : القوة والثبات والنصر التى يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين .

كما قال تعالى : « **أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه(١)** ».

حدوث الروح ، والخلاف فى حدوثها قبل خلق البدن أو بعده :

أجمع العلماء على حدوث الروح كسائر أجزاء العالم الذى قام الدليل على حدوثه لكنهم اختلفوا بعد ذلك .

هل الروح حادث ومخلوق قبل البدن أو بعده ؟

فذهبت طائفة إلى حدوثه قبل البدن . منهم محمد بن نصر المروزى ، وأبو محمد بن حزم الأندلسى وغيرهما واستدلوا على ذلك بما رواه عمرو ابن عبسة مرفوعاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

ولكن هذا الحديث غير صحيح الإسناد ، لأن فيه عتبة بن السكن . قال الدارقطنى : إنه متروك ، وقال البيهقى : إنه منسوب إلى الوضع (أى الكذب) .

وفيه أيضاً : أرطاة بن المنذر . قال ابن عدى : بعض أحاديثه غلط ، وفيه عطاء بن عجلان ، أطلق عليه ابن معين ، والفلاس وغيرهما الكذب .

وبذلك لا يصح الاحتجاج بهذا الحديث .

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى فى سورة الأعراف : « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** » .

وجه الاستدلال من الآية : أن الخطاب إنما كان للأرواح ولم تكن الأبدان موجودة .

يشهد لذلك ما أخرجه الحاكم عن أبى كعب فى قوله تعالى : « **وإذ أخذ**

---

(١) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

ربك . . . » الآية . قال : جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحاً وصورهم واستنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق الحديث .

ويمكن أن يرد على هذا :

بأن المعنى أن الله أخرج ذرياتهم من ظهورهم بالولادة ، وأنشأهم شيئاً فشيئاً بعد أن كانوا نطفاً فى الأصلاب ، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم عما أظهر لهم من الآيات الموجبة للعلم ، فلما دعاهم إلى التصديق بذلك كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته .

ومن رأى أن حدوث الروح وخلقها كان بعد خلق البدن مثل الإمام الغزالى(١) ومن وافقه استدلوا بالحديث الصحيح الذى رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح الحديث) .

وجه الاستدلال من هذا الحديث أن الروح لو كانت مخلوقة قبل البدن لقيل ثم يرسل إليه الملك بالروح فيدخله فيه .

ويمكن أن يرد على هذا الرأى بالفرق بين نفخ الروح وخلقه فالروح مخلوقة من زمن طويل ، وأرسلت بعد تصور البدن مع الملك لإدخالها فى البدن كما أنه ليس فى هذا الحديث أكثر من أن نفخ الروح فى الجسم يكون بعد تسويته ، والمفهوم من نفخ الروح فى البدن تحصيل آثارها فيه .

(وبعد) : فقد تعارضت الأدلة فى ذلك ، ولا مرجح لأحدها . ولكنى أميل إلى الرأى القائل : بأن الروح مخلوقة قبل خلق بدنها وجسدها .

---

(١) الغزالى : هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى حجة الإسلام ، وصاحب كتاب إحياء علوم الدين الذى يعتبر بحق من أفضل كتب التصوف والأخلاق ، وإظهار حكم القرآن والشريعة الإسلامية ، وصاحب كتاب المستصفى فى أصول الفقه . ولد الغزالى سنة ٤٥٠ هـ ، ونشأ بطوس (مدينة عظيمة بخراسان) ثم رحل إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين ثم إلى بغداد ثم إلى الحج ثم إلى الشام ثم دخل مصر وأقام بالإسكندرية ثم عاد إلى نيسابور ثم إلى وطنه طوس حيث قضى بقية عمره بين التدريس والوعظ إلى أن توفى سنة ٥٠٥ هـ .

بقـــاؤها :

اتفق العلماء على أن الروح بعد الموت . ومفارقتها البدن وقبل النفخة الأولى تبقى

واختلفوا فى بقائها عند النفخة الأولى وهى نفخة الصعق التى تموت عندها الخلائق إلا من شاء الله .

فذهب فريق إلى القول بفنائها وموتها عند النفخة الأولى مستدلا بقول الله عز وجل : « **كل نفس ذائقة الموت** ». وبقوله تعالى : « **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** » . وبقوله : « **كل شىء هالك إلا وجهه** » .

وقال آخرون : إنها باقية لا تموت . للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد مفارقة البدن إلى أن يرجعها الله إلى الجسد بالبعث . وهذا القول هو المشهور وقائله تقى الدين السبكى وغيره .

ويرد على الفريق الأول بأن المراد من ذوقها الموت خروجها عن حد الانتفاع . وبأن معنى فان . وهالك فى الآيتين قابل للهلاك والفناء .

وإن فسرنا الفناء والهلاك بالفعل فالروح من المستثنى فى قوله تعالى : « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** » .

والمستثنيات فى هذه الآية هى :

الروح(١) ، وعجب الذنب (بفتح العين وسكون الجيم ، وفتح الباء) من كل جسد ، والعرش ، والكرسى ، واللوح ، والقلم ، والجنة ، والنار ،

---

(١) العجب فى اللغة مؤخر كل شىء ، وعجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب وهو : عظم كالخردلة فى آخر سلسلة الظهر فى العصعص ، مختص بالإنسان كغرز الذنب للدابة .

واختلف فى بقائه وفنائه ، والصحيح أنه لا يفنى ولا يبلى لحديث الصحيحين : (ليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، منه خلق الخلق يوم القيامة) ولحديث الإمام مسلم : (كل ابن ادم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ، ومنه يركب) .

واختلف العلماء هل بقاؤه تعبدى أو معلل بجواز كونه جعل علامة للملائكة الموكلين بالإعادة على إحياء كل إنسان بأعضائه الأصلية التى كانت فى الدنيا ، ولكن هذا التعليل ضعيف لأن الملائكة لا يخفى عليهم هذا الأمر ، وبذلك يكون الأرجح فى بقائه أنه تعبدى .

وأجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء وغير ذلك . وقد نظم الحافظ جلال الدين السيوطى ثمانية منها (من بحر الطويل) فقال :

ثمـانيةٌ حُكْمُ البقـاءِ يَعُمها
من الخلق والباقونَ فى حيِّز[1] العدم
هى العرشُ والكرسىُّ نارٌ وجنةٌ
وَعَجْبٌ وأَرواح كذا اللوحُ والقلمْ

وقيل المستثنيات : رضوان خازن الجنة . والحور العين ، ومالك خازن النار والزبانية التسعة عشر ملكاً ، وقيل غير ذلك . قال الشيخ أبو عباس القرطبي : والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل .

هذا ولكل جسد روح واحدة على الصحيح .

النفس والروح

اختلف العلماء فى النفس والروح : هل هما شيء واحد ؟ أو شيئان متغايران ؟ .

ذهب إلى الأول الجمهور ، وصححه ابن القيم والحافظ السيوطى ، وصوبه ابن رشد من المالكية ، وبه جزم ابن السبكى وغيره .

وعليه فالنفس والروح مترادفان على معنى اللطيفة الربانية التى بمفارقتها تموت الإنسان .

لا يتغيران إلا فى التذكير والتأنيث ، فالنفس مؤنثة وقد تذكر على إرادة الروح ، والروح مذكر وقد يؤنث على إرادة النفس .

وإلا فى أن تسمية تلك اللطيفة الربانية روحاً باعتبار أن بها حياة الجسم ، ونفساً باعتبار شهوتها .

فإن النفس تطلق أيضاً على المعنى الجامع لقوة الشهوة والغضب ، وسائر الصفات الذميمة من الإنسان .

---

(١) حيز (بفتح الحاء وتشديد الياء بالكسر بعدها زاى) : جهة ومكان .

وهذا الإطلاق كثير الدوران على ألسنة الصوفية : يقولون : (لا بد من مجاهدة النفس وكسرها) .

ومن السابقين إلى القول باتحادهما الإمام الغزالى بل زاد عليهما : القلب ، والعقل ، والسر ، وقال : خمستها بمعنى واحد ، ووافقه على ذلك المحققون من الصوفية (انتهى بتصرف من وسائل الرحمات) .

يشهد لما ذهب إليه الجمهور من اتحادهما ما صح فى الأخبار من إطلاق كل من النفس والروح على الآخر .

ومن شواهده :

١ - ما روى عن أم سلمة (كما فى صحيح مسلم) قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر) .

مع ما فى خبر آخر عند الإمام مسلم أيضاً وهو : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره قالوا : بلى . قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه) .

ففى هذا ما يستغنى به عن قول كل قائل فى تأييد أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد كما قاله القرطبى فى تذكرته .

٢ - ونظيره ما جاء فى قصة نومه صلى الله عليه وسلم ، ونوم أصحابه فى الوادى ، وهم راجعون من غزوة خيبر عند صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت ، وكان قد أمر بلالا أن يرقب لهم الفجر فنام الجميع ، ولما استيقظ الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (إن الله قبض أرواحنا ، وقال لبلال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ فقال : أخذ بنفسى يا رسول الله الذى أخذ بنفسك) .

٣ - وما أخرجه الإمام البزار بسند صحيح عن أبى هريرة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المؤمن من ينزل به الموت ، ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه ، والله تعالى يحب لقاءه ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح فيستخبرونه من معارفه عن أهل الدنيا إلى آخر ما جاء فى الحديث ، وفيه اتحاد النفس والروح ، وأنهما مترادفان) .

٤ - وما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث البراء بن عازب

المستفيض فى خروج الروح ، وصعوده ثم هبوطه من السماء وغير ذلك .

ففيه إطلاق النفس على الروح والروح على النفس ، وقد تقدم فى القسم الأول من هذا الكتاب ، فارجع إليه .

وذهب إلى الرأى الثانى وهو أن النفس غير الروح القاضى ابن العربى وقال : إنه الحق ، ووافقه السهيلى ، وجماعة من المحدثين والصوفية .

فقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى : **« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** .

أن فى ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس .

فالنفس هى التى بها العقل والتميز ، والروح هى التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم .

فابن عباس رضى الله عنهما أثبت فى ابن آدم شيئين ، وسمى أحدهما نفساً ، والآخر روحاً ، وجعل نسبة الروح إلى النفس كنسبة الشعاع إلى الشمس فى كونه متعلقاً بها أثراً لها .

قال القشيرى أبو نصر كما فى حاشية الجمل على تفسير الجلالين بعد قول ابن عباس : وفى هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة فى الحالين (أى فى حالة النوم وفى حالة الموت) شىء واحد .

فتوفى الأنفس فى حالة النوم بإزالة الإدراك . وتوفيها فى حالةالموت بإزالة الحس بالكلية .

وإذا كانت النفس مغايرة للروح . فما هى النفس ؟ وما هى الروح عند هؤلاء القائلين بالمغايرة ؟

والجواب :

أنهم اختلفوا فيهما فقال بعضهم : الروح : هو النفس المتردد فى الإنسان . والنفس أمر غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان . وهى تلتذ وتتألم ، وهى التى تتوفى عند النوم ، وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ، ويبقى الجسد دونها بالروح فقط .

وقال بعضهم : النفس طيبة نارية . والروح نورانية روحانية . وقال بعضهم : الروح لاهوتية . والنفس ناسوتية .

(وبعد) : فالحق أن النفس والروح شيء واحد وأنهما متحدان ذاتاً . وقد يختلفان فى الصفات . وهذا الشيء هو :

الجوهر المشرق الذى به حياة البدن ، والجسم اللطيف النورانى العلوى الذى يسرى فى البدن سريان الماء فى الورد ، والنار فى الفحم . والدهن فى اللوز لا يتبدل ولا يتحلل حتى إذا قطع عضو من البدن انقبض ما فيه إلى جميع الأعضاء حامل لصفات الكمال من العقل والفهم .

وهذا هو الذى تدل عليه الآثار الصحاح كما عرفت ، وتدل عليه اللغة العربية .

فقد جاء فى المصباح المنير فى مادة (راح وأصلها روح) أن ابن الأنبارى وابن الأعرابى قالا : (الروح والنفس واحد) غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس .

وجاء فى مختار الصحاح ، وفى تاج العروس أن النفس هى الروح (بضم الراء) يقال : خرجت نفسه (أى روحه) وغيرها من كتب اللغة .

ويقال لغة : (فاضت نفسه ، وخرجت نفسه ، وفارقت نفسه بدنها) ؛ كما يقال : (فاضت روحه ، وخرجت روحه ، وفارقت روحه بدنها) ؛ والمعنى واحد فيهما .

وفى التذكرة للقرطبى : إذا تأملت الأحاديث وجدت النفس والروح واحداً . وهى :

جسم لطيف مشتبك بالجسم المحسوس . يجذب ويخرج ، ويلف فى أكفانه ، ويعرج به إلى السماء ، لا يموت ولا يفنى . له أول ولا آخر له . ذو ريح طيب وخبيث ، وهى صفة الأجسام لا الأعراض . ومن زعم أن الروح يموت ويفنى فهو ملحد . وكذا القائل بالتناسخ وهو أنها إذا خرجت ركبت فى آخر كحمار أو كلب أ هـ .

الروح والنفس عند الصوفية :

الإنسان مركب من روح وجسم والروح هو الأول فى الوجود ثم تألف الجسم من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقراً لهذه الروح ومظهراً لها .

وهى نورانية لطيفة . والجسم مظلم كثيف ، وهى قوية فعالة ، وهو متغير ضعيف . ولما أراد الله خلق الكائنات خلق خلقاً نورانياً عظيماً جداً فى خلقه قوياً جداً فى تأثيره وهذا المخلوق هو الروح الأعظم المنتشر فى الموجودات كلها علويها وسفليها وهذا قول المتقدمين .

ولما كان الرجل والمرأة جنساً واحداً لا يختلف إلا فى بعض الخصائص والصفات كانت الروح والنفس شيئاً واحداً لا فرق بينهما إلا فى خصائص وصفات . ولهذا يسمون كلا منهما باسم الآخر فيطلقون على الروح اسم النفس ويسمون النفس بالروح .

وكل إنسان من بنى آدم ذكراً كان أو أنثى مظهر للروح والنفس . ولكن الأول فى الرجل أقوى . والثانى أقوى فى المرأة بل الغالب فيها أن تكون نفساً محضة .

ومن الرجال من يكونون أرواحاً محضة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن يليهم من الملائكة والصديقين من البشر .

والفرق بين الروح والنفس : أن الروح تدعو دائماً إلى الملأ الأعلى ، ولها نور قوى يساعدها فى ذلك وهو العقل ، والنفس تدعو دائماً إلى الملأ الأسفل ، ولها من يساعدها وهو الشيطان ، ويساعد النفس وشيطانها الطبيعة لأنها سفلية أرضية تكونت من طبائع الأرض المختلفة . وبذلك تصير البواعث التى تدعو إلى العالم السفلى ثلاثة : (النفس والشيطان والطبيعة) .

ولما كانت الدواعى التى تدعو إلى العالم العلوى اثنتين : (الروح والعقل) اقتضت الحكمة بثالث لها يدعو معهما إلى الكمال ليحصل التوازن بين دواعى الخير ، ودواعى الشر فى الإنسان ، وذلك الثالث هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن على نهجه .

وإذ قد علمت أن النفس سفلية فلا بد أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم ومن يقوم مقامه علوياً محضاً أى روحاً خالصة لا تأثير للنفس فيه .

* * *

القصيدة العينية في النفس
لابن سينا

١ - هَبطتْ إليك من المحلِّ الأَرفعِ
ورْقــاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وَتَمنُّــعِ

ابن سينا :

هو الرئيس أبو على الحسين بن على بن سينا ، ولد فى إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٥ هجرية ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات ، ومهر فى الطب والمنطق وهو ابن ست عشرة سنة .

ومن مؤلفاته : كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الإشارات ، والحاصل والمحصول ، وقصائد فى الحكمة ، ورسائل إخوانية وسلطانية . مات بهمدان سنة ٤٣٨ ه .

يقول ابن سينا : إن نفس الإنسان (أى روحه) تصدر عن العقل الفعال (جبريل عليه السلام أى بواسطته) وتدخل فى الجنين عندما يتهيأ الجسد لقبولها ، وأنها تعود إليه بعد مبارحته متى بلغت مرتبة النفس القدسية عن طريق الدراسة ، أو عن طريق الرياضة ، وأبيات هذه القصيدة واحد وعشرون بيتاً ، وهى من بحر الكامل ، وقد أثبتها هنا تتميماً للفائدة ، إجابة لرغبة بعض إخوانى ، وقد شرح هذه القصيدة الفلسفية الشيخ عبد الرءوف المعروف بالمناوى وهو أحسن شرح لها :

البيت الأول : هبطت : نزلت ، والمحل الأرفع : عالم العقول المجردة ، وورقاء : فاعل هبطت وهى الحمامة والمراد بها هنا النفس ؛ والتعزز : التماسك مع تعاظم ، والتمنع : شدة الإباء .

والمعنى : أن ابن سينا جرد من نفسه شخصاً يخاطبه ، أو أنه سأله إنسان من أين وصلت النفس إلى البدن ؟ فأجاب بقوله :

٢ ـ مَحْجوبةٌ عن كلِّ مُقْلةِ ناظرٍ
وَهِيَ التى سَفَرَتْ ولمْ تتبرْقعِ

٣ ـ وصلتْ على كرهٍ إليكَ وَرُبما
كرِهتْ فِراقك وَهيَ ذَاتُ توجعِ

٤ ـ أَنِفتْ وما أَنِست فلما واصلت
أَلفت مُجاورة الخراب البلقعِ

٥ ـ وأَظُنُّها نسيت عهود بِالحِمَى
ومنازلًا بفراقها لم تقنعِ

هبطت من المحل الأشرف الأرفع إلى هذا الحضيض الأخس الأوضع وأراد بكونها ذات تعزز وتمنع أن إدراك النفس صعب جداً لا يتحقق إلا بالاستدلال عليها بآثارها .

البيت الثانى : محجوبة : مستورة ، سفرت : ظهرت وكشفت وجهها ، ولم تتبرقع : أى لم تلبس البرقع .

والمعنى : أن النفس مع كونها ممنوعة عن الإدراك بالحواس الظاهرة فهى مدركة بالعقل ، وظاهرة لكل عاقل من الناس بآثارها .

البيت الثالث : الكره : (بضم الكاف) القهر (وبالفتح) : المشقة وقيل : بالفتح الإكراه ، وبالضم المشقة .

والمعنى : أن النفس إنما اتصلت بهذا الهيكل مكرهة مقهورة . وأنها بعد اتصالها ربما كرهت فراقه .

البيت الرابع : أنفت : تعاظمت ، والأنس : ضد الوحشة ، واصلت : المواصلة ضد المهاجرة ، والألفة : الالتئام . والبلقع : الأرض القفر التى لا شىء بها من نبات وماء وغيرهما .

البيت الخامس : الحمى (بكسر الحاء) المكان المحفوظ الذى لا يقربه أحد احتراماً لمالكه . لم تقنع : القناعة والمقنع : الرضا بالقليل .

٦ – حتى إذا اتَّصلت بهاءِ هُبوطها
من ميم مركزِها بذات الأَجْرَع

٧ – علِقتْ بها ثاءُ الثقيل فأَصبحت
بين المعالِمِ والطُّلول الخضَّع

٨ – تبكى إذا ذكرت عهودًا بالحمى
بمدامعٍ تَهْمِى ولمْ تتقطَّع

٩ – وتظلُّ ساجعةً على الدِّمَن التى
دُرستْ بتكرارِ الرياح الأَربع

البيت السادس : هاء : من الحروف الأبجدية . والمراد بها هنا مبدأ ما أضيفت إليه . والهبوط : المراد به هنا مكان الهبوط ، والمركز : وسط الدائرة ، بذات : صاحبة ، والأجرع : المكان الرملى المستوى الذى لا ينبت شيئاً ، وقيل : المكان الذى تكون أرضه مختلطة بالطين والرمل .

البيت السابع : علقت تشبثت ، والثقيل : ضد الخفيف . والمعالم جمع معلم وهو العلامة نفسها أو موضعها ، والطلول : جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار ، والمراد بالطلول هنا مواضع الحمى وآثارهم ، والخضع : جمع خاضع وهو الذليل .

ومعنى البيت السادس والسابع : أن النفس (الروح) حينما اتصلت فى هبوطها من أعلى بالمركز الأسفل وهو البدن الظلمانى ذو الكثافة الثقيلة ، وتعلقت به أصبحت بين القوى البدنية تستخدمها وتستذلها ليحصل ما هو المقصود لها من ارتسام العلوم والمعارف ، والكليات والجزئيات فيها .

البيت الثامن : تهمى : تسيل ، ولم تتقطع : لم تجف .

البيت التاسع : تظل : تدوم ، وساجعة أى تغرد الحمامة وتردد صوتها على وجه واحد ، والدمن (بكسر ففتح) جمع دمنة وهى ما بقى من آثار الديار ورسومها ، أو ما سود منها بالرماد ، والمراد بها هنا أجزاء البدن ، ومعنى درست : ذهب أثرها ، والرياح الأربع المراد بها : الطبائع الأربع

١٠ ـ إذ عاقها الشَّرَكُ الكثيفُ وصدها

قفصٌ عن الأَوْج الفسيح المرْبعِ

١١ ـ حتى إذا قرُب المسيرُ إلى الحمى

ودنا الرحيلُ إلى الفضـاءِ الأَوسعِ

١٢ ـ وغدتْ مُفارِقة لكلِّ مخلَّف

عنهـا حليفَ التُّرْب غير مُشيَّعِ

١٣ ـ هجعت وقد كُشف الغِطاءُ فأَبصرت

ما ليس يُـدرك بالعيون الهجَّعِ

وهى : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وفى هذا البيت تصريح (من الناظم كما قال المناوى) ببقاء النفس : أى الروح بعد الموت .

البيت العاشر : عاقها : منعها ، والشرك (بفتحتين) حبالة الصائد ، والكثيف : الغليظ ، وصدها : منعها ، الأوج (بسكون الواو) المكان المرتفع ، والفسيح : الواسع ، والمربع وزان جعفر منزل القوم فى الربيع ، أو هو مكان ذو بهجة وجمال .

البيت الحادى عشر : الحمى : المراد بهـا هنا عالم المجردات ، والفضاء الأوسع : المراد به هنا عالم المعقولات وهو أوسع من عالم المحسوسات.

البيت الثانى عشر : غدت : أخذت ، ومفارقة : تاركة ، ومخلف (بفتح اللام المشددة) المراد به البدن المعطل المطروح بعد مفارقة الروح له ؛ وحليف الترب أى مصاحب التراب ، وغير مشيع : أى غير متبع وغير مودع (بفتح الدال المشددة) .

البيت الثالث عشر : هجعت : نامت ليلا ، يدرك : يلحق ، والعيون الهجع : النائمة .

١٤ ـ وغدتْ تُغرِّد فوق ذِروة شاهق
والعلمُ يرفعُ كلَّ من لم يرفعِ

١٥ ـ فلأيِّ شيءٍ أهبطتْ من شامخٍ
عالٍ إلى قَعرِ الحضيضِ الأَوضعِ

١٦ ـ إن كان أَهْبطها الآلهُ لِحكْمة
طُويتْ عن الفذِّ اللبيب الأَروعِ

١٧ ـ فَهبوطُها لا شك ضربةُ لازبٍ
لتكونَ سامعةً لِما لمْ تسمعِ

١٨ ـ وتعودَ عالمةً بكل خفيَّةٍ
فى العالمين فخرْقُها لم يُرْقَعِ

١٩ ـ وهىَ التى قطعَ الزمانُ طريقَها
حتى لقد غَرَبتْ بِعين المطلعِ

البيت الرابع عشر : ذروة شاهق : أعلى مكان عال ، وأراد بذروة شاهق العالم الروحانى .

البيت الخامس عشر : شامخ : عال ، وعال بعده تأكيد للمبالغة فى العلو ، وقعر الشىء : نهاية أسفله ، والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، والأوضع : الأخفض .

البيت السادس عشر : لحكمة : المراد بها هنا الباعث للإنسان على فعل الشىء ، والفذ : الفرد ، واللبيب : العاقل ، والأروع : الذكى الإدراك .

البيت السابع عشر : لازب : لازم لا ينفك عن الشىء .

البيت الثامن عشر : خرقها لم يرقع : أى فتقها لا يرجى صلاحه ، ولا يمكن إصلاحه .

البيت التاسع عشر : غربت اختفت والمراد بغروب النفس هنا

انقطاع تعلقها بالجسم ، والمطلع : موضع الطلوع من المكان المرتفع إلى المنخفض والمراد هنا التعلق بالجسم ، والمعنى أن النفس انفصلت عن البدن كما اتصلت به .

٢٠ ـ فكأنها بَرْقٌ تألَّقَ بالحمَى
ثم انطوى فكأنَّهُ لمْ يلمعِ

٢١ ـ أَنعِمْ بِردّ جوابِ ما أنا فاحِصٌ
عنه فنارُ العلمِ ذاتُ تَشَعْشُعِ

البيت العشرون : تألق : لمع وأضاء ، والمعنى أن النفس عند فراق البدن تكون كأنها لم تصحبه قط فكأنها لم تكن .

البيت الحادى والعشرون : أنعم من أنعم : أى أوصل إليه نعمة ، وفاحص : أي مستنقص فى البحث والتفتيش ، وتشعشع : أى ذات إشعاع ، والمعنى : عليك بإتيان الجواب عما سألته وهو إزالها للوصول إلى الكمال .

تمايز الأرواح بعد الموت :

قال ابن القيم : إن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل . وتتصل وتنفصل . وتذهب وتجيء ، وتتحرك وتسكن .

وتأخذ من بدنها صورة تتميز بها عند غيرها . وأنها تتأثر وتنفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبيث منها كما تكتسبهما هي منه .

بل تميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان . والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان . فإن الأبدان تشتبه كثيراً وأما الأرواح فقلما تشتبه ويوضح هذا :

أننا لم نشاهد أبدان الأنبياء والأئمة وهم يتميزون فى علمنا أظهر تميز ، وليس ذلك التميز راجعاً إلى مجرد أبدانهم بل بما عرفناه من صفات أرواحهم .

وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين فى الخلقة غاية الاشتباه . وبين روحيهما غاية التباين .

وقل أن ترى بدناً قبيحاً وشكلا شنيعاً إلا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه .

وقل أن ترى آفة فى بدن إلا وفى روح صاحبه آفة تناسبها .

ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة (بكسر الفاء) أحوال الناس من أشكال الأبدان .

وقل أن ترى شكلا حسناً وصورة جميلة ، وتركيباً لطيفاً إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له قال : وإذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم ، وكذلك الجن فالأرواح البشرية أولى اهـ .

تخاصم الروح والجسد يوم القيامة :

أخرج بن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما تزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح للجسد : أنت فعلت . ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت .

فيبعث الله ملكاً يقضى بينهما فيقول لهما : إن مثلكما كمثل رجل مقعد (أى مكسح) بصير وآخر ضرير دخلا بستاناً فقال المقعد للضرير : إنى أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها ، فقال له الضرير : اركبنى فركبه فتناولها فأيهما المعتدى . فيقولان : كلاهما فيقول لهما الملك : فإنكما قد حكمتما على أنفسكما .

وأخرج الدارقطنى فى الأفراد من حديث أنس بن مالك مرفوعاً نحوه ولفظه :

يختصم الروح والجسد يوم القيامة ، فيقول الجسد : إنما كنت بمنزلة الجذع ملقى لا أحرك يداً ولا رجلا لولا الروح ، ويقول الروح : إنما كنت ريحاً لولا الجسد لم أستطع أن أعمل شيئاً وضرب لهما (أى الملك) .

مثل أعمى ومقعد حمل الأعمى المقعد فدله المقعد ببصره ، وحمله الأعمى برجله .

وله شاهد عن سلمان الفارسى موقوفاً أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ولفظه .

مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد قال المقعد للأعمى . إنى أرى ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملنى فحمله فأكل وأطعمه .

وهذا يؤيد أن القلب محل الروح كما قال الحافظ السيوطى فى كتابه : (شرح الصدور) والله أعلم .

البرزخ والروح

البرزخ :

هو المدة الفاصلة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة فإذا مات الإنسان فقد انتقل إلى البرزخ ، وبقى فيه ، حتى يبعث من القبور .

وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سورة المؤمنون .

قال الله تعالى : **« حتى إذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون »** .

واعلم أن عالم الأرواح يختلف كثيراً عن عالم المادة فى أحواله وأطواره ، فالروح يجعلها الله عز وجل فى البدن فى الحياة الدنيا فيحس بها البدن ويتحرك ، ويدرك وتحصل له لذة وألم .

ويقال فى هذه الحالة : إن الإنسان حى .

أما إذا فارقت الروح البدن وذلك عند انتهاء الأجل فإن هذه الآثار المتقدمة من الحس . والتحرك والإدراك وغير ذلك تبطل .

وفى هذه الحالة يقال : إن الإنسان ميت .

ولكن مع هذا فإن الروح فى البرزخ تكون فى دائرة أوسع عما كانت عليه فى البدن فى الحياة الدنيا لأن البدن كالسجن أو القفص والروح محبوسة فيه .

قال المرحوم الشيخ يوسف (١) الدجوى فى مجلة الأزهر (نور الإسلام)

---

(١) هو الشيخ يوسف بن أحمد بن نصر النابغة الكفيف البصر ، ولد بقرية دجوة (بكسر الدال وسكون الجيم) بمحافظة القليوبية فى سنة ١٢٨٧ هجرية من أب عربى .أدخله والده الأزهر سنة ١٣٠١ هـ ، ثم نال شهادة العالمية سنة ١٣١٧ هـ ، ومات رحمه الله ، وله مؤلفات قيمة منها : كتاب السعادة ، والرد على الطبيعين ، والجواب المنيف .

سنة ١٣٥٠ هجرية : (إن الأرواح بعد مفارقة أجسادها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه فى حياتها أو أشد ، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ، ويفرحون ، ويحزنون مما يكون منهم) .

ويدعون لهم إلى آخر ما جاء فى السنة . وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد فى قولنا : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) ، ونخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى كل صلاة بقولنا : (السلام عليك أيها النبي) ، وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وسلم فإن وجد خيراً حمد الله ، وإن وجد شراً استغفر لنا ، بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء فى السنة .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة وراجعه صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلاة ، وذكر حال أمته .

وقد اجتمعت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فى بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج ، وخطبوا وقالوا وفعلوا .

أخرج الترمذى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن بعض الصحابة ضرب خباءه (أى خيمته) على قبر ، ولم يكن يعلم أنه قبر فسمع من داخل القبر رجلا يقرأ سورة تبارك (الملك) حتى ختمها فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله : صلى الله عليه وسلم (هى المانعة ، هى المنجية تنجى من عذاب القبر .)

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب إلى آخر ما جاء فى السنة الغراء التى أثبتت الحياة للأرواح كلها حتى أرواح الكفار كما جاء فى حديث القليب وغيره (انتهى بشىء من التصرف) .

وقال الحافظ بن رجب فى كتاب أهل القبور : (قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة فى البرزخ كقراءة القرآن والصلاة فى القبر . وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته) .

تلاقى أرواح الموتى وتزاورهم وتذاكرهم :

إعلم أن أرواح الموتى تتزاور وتتذاكر فيما بينها وتتلاقى مهما بعدت المسافات واختلفت المقابر لأن للروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود والهبوط ما ليس للروح المحبوسة فى البدن .

قال ابن القيم رحمه الله : الأرواح قسمان :

١ - أرواح معذبة .

٢ - أرواح منعمة .

فالمعذبة فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى . والأرواح المنعمة المرسلة وغير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها.

وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الأعلى .

قال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ ، وفى دار الجزاء . والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث .

وعن منصور بن أبى الضحى عن مسروق قال : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما ينبغى لنا أن نفارقك فى الدنيا فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى : الآية السابقة .

وفى قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال : لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم لقى إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتذاكروا الساعة (أى القيامة) فبدأوا بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم موسى عليه الصلاة والسلام فلم يكن عنده منها علم حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى عليه الصلاة والسلام إلى آخر الرواية وهذا نص على تذاكر الأرواح .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل .

وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه :

(أحدها) : أنهم عند ربهم يرزقون . وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون .

(الثانى) : أنهم إنما استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم .

(الثالث) : أن لفظ يستبشرون يفيد فى اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضاً مثل يتباشرون .

وقد جاءت سنة صريحة فى تلاقى الأرواح وتعارفها .

روى ابن أبى الدنيا عن أبى لبيبة عن جده قال : لما مات بشر (١) بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً (أى حزنت عليه حزناً شديداً) فقالت : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة ، فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم والذى نفسى بيده يا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعرف الطير فى رءوس الشجر) ، فكان لا يهلك هالك (أى يحتضر شخص) من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت : يا فلان عليك السلام فيقول : وعليك فتقول : إقرأ على بشر السلام .

وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقى فى شعب الإيمان وغيرهم عن أبى قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون فى قبورهم) . فهذا الحديث نص فى تزاور الأموات فى قبورهم .

---

(١) بشر بن البراء بن معرور الأنصارى الخزرجى من بنى سلمة (بكسر اللام)، وبشر هذا (بكسر الباء) صحابى ابن صحابى ابن صحابية رضى الله عنهم شهد العقبة مع أبيه ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات بعد غزوة خيبر من أكلة أكلها مع النبى صلى الله عليه وسلم من شاة المرأة اليهودية التى وضعت فيها السم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه النبى عليه الصلاة والسلام لبنى سلمة : سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء ، ولما توفى حزنت عليه أمه حزناً شديداً ، فكانت تأتى كل محتضر يعرف ابنها ، وتكلفه أن يقرأ عليه السلام ، ولما أنكر عليها كعب ابن مالك حزنها الشديد على ولدها وذكرها بأن ابنها فى نعيم الجنة ، ومن رضى الله عنهم لأنه من شهد بيعة الرضوان التى قال الله فيها : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » ، فلامت نفسها ، واستغفرت الله عز وجل على ما فرط منها .

أهل القبور ينتظرون الأخبار :

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار (أى يتوقعونها) فإذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح ، وما فعل فلان ؟ فيقول صالح ، وما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون : لا . فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا .

وقال سعيد(١) بن المسيب : (إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب) ، وفى الحديث الشريف عن أبي أيوب الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن نفس المؤمن) أى روحه (إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون : انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه قد كان فى كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان . وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال : إنه مات قبلى قالوا : « **إنا لله وإنا إليه راجعون** » ذهب به إلى أمه الهاوية . فبئست الأم وبئست المربية) .

الأرواح هي التي تتلاقى :

قال عبيد بن عمير : إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان ، وما فعل فلان ؟ فإذا قال : توفى . ولم يأتهم قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية .

وقال مسمع بن عاصم : رأيت عاصما الجُحدرى فى منامى بعد موته بسنتين فقلت : أليس قدمت ؟ قال : بلى ، قلت : وأين أنت ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة . أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم . قلت : أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات (أى بعد) بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح .

---

(١) هو سعيد بن المسيب (بكسر الياء مع التشديد وتفتح) بن حزن القرشى المخزومى المدنى أبوه وجده صحابيان أسلما يوم الفتح وهو من سادة التابعين فقهاً وديناً . ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر رضى الله عنه وأعلمهم بأنساب قريش وأعبرهم للرؤيا . توفى سنة ٩٤ هـ .

التقاء أرواح الأموات بأرواح الأحياء :

تلتقي أرواح الموتى بأرواح الأحياء بعضهم ببعض يدل لذلك قوله تعالى في سورة الزمر : « **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية : (إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون فيما بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها) .

وقال السدى(١) في قوله تعالى : « **والتي لم تمت في منامها** » . قال : يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها . وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسدها فتحبس .

فهذان أثران يدلان صراحة على التقاء أرواح الموتى بأرواح الأحياء في المنام أولهما عن ترجمان القرآن وحبر الأمة وثانيهما عن تابعي مشهور .

معرفة الموتى أحوال وأعمال أقاربهم الأحياء :

إعلم أيها القارئ الكريم أن أرواح الموتى تأتي منازل الأحياء ويعرفون أحوالهم فيتألمون من السيئ منها كما أنهم يستبشرون بالحسن منها ويفرحون به ومعرفتهم أحوال الأحياء وأعمالهم تارة بعرض ذلك عليهم وتارة بالسؤال ممن مات بعدهم .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا) .

---

(١) السدى : هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور الكوفي التابعي المشهور بالسدى (بضم السين مع تشديدها وتشديد الدال مع كسرها) ، لقب بالسدى لبيعه المقانع ونحوها في سدة (أي باب) مسجد الكوفة ، والسدى هذا ضعفه ابن معين ووثقه الإمام أحمد واحتج به الإمام مسلم . مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة إلا البخاري .

وفى إسناد هذا الحديث رجل لم يسم وله شاهد من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن نفس نفس المؤمن (أى روحه) إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباده ، كما يلقون البشير من الدنيا فيقولون : انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول : هيهات قد مات قبل ذلك قبلى فيقولون : « إنالله وإنا إليه راجعون » . ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وإن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً فرحوا به واستبشروا وقالوا : اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتم نعمتك عليه وأمته عليها : ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون : اللهم ألهمه عملا صالحاً ترضى به عنه وتقربه إليك) .

(رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن على وهو ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة بإسناد جيد) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم فإذا رأوا خيراً استبشروا به وإذا رأوا شراً كرهوه وأنهم يستخبرون الميت إذا أتاهم عمن مات بعدهم حتى إن الرجل ليسأل عن امرأته أتزوجت أم لا ؟ حتى إن الرجل ليسأل عن الرجل فإن قيل له قد مات : قال : هيهات ذهب بذلك فإن لم يحسوه عندهم (أى لم يجدوه فيمن رحمهم الله) قالوا : (إنا لله وإنا إليه راجعون » ذهب به إلى أمه الهاوية المربية) .

(رواه بن جرير)

وهذه الأحاديث يعضد بعضها بعضاً .

وصح عن مجاهد(١)أنه قال : (إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده) .

وصح أيضاً عن عمرو بن دينار (المكى التابعى كان ثقة مات سنة ١٢٦هـ) أنه قال : ما من ميت يموت إلا ويعلم ما يكون فى أهله بعده .

---

(١) هو مجاهد بن جبير بن حنين الحبر المكى . ولد سنة عشرين هجرية ، وكان أعلم التابعين بالتفسير ، حدث عن نفسه فقال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقال له ابن عمر : وددت أن نافعاً يحفظ حفظك . مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومائة هجرية .

هذان أثران لتابعيين لهما منزلة مرموقة بين التابعين ولا يقولان هذين الأثرين إلا سماعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية(١) : استفاضت الآثار بمعرفة الميت أهله وأحوال أهله وأصحابه فى الدنيا وإن ذلك يعرض عليه .

وجاء فى الآثار أنه يرى أيضاً وأنه يدرى بما يفعل عنده فيسر بما كان حسناً . ويألم بما كان قبيحاً . وتجتمع أرواح الموتى فينزل الأعلى إلى الأدنى لا العكس (كما جاء فى الإحياء للغزالى وشرح البخارى للعينى) .

سماع الموتى كلام الأحياء :

تعاضد الكثير من الأحاديث النبوية ، وتساند فى إثبات سماع الأموات كلام الأحياء وهى كلها صريحة فى ذلك .

فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال : « يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة ابن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ، فسمع عمر رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال : (والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا) ، ثم

---

(١) ابن تيمية : هو تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى الدمشقى شيخ الإسلام ، ومن أكابر أهل السنة والجماعة ، ومن شيوخ مذهب الإمام أحمد بن حنبل . ولد رحمه الله فى حران فى القرن السابع الهجرى سنة ٦٦١ هـ ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ فى العلم ، واشتهر وأفتى ودرس ودعا إلى الإصلاح ، وسجن فى مصر والشام عدة مرات لتعصب بعض العلماء عليه ثم ظهرت براءته من كل ما ألحقوه به من تهم . وكما جاهد فى ميدان الإصلاح جاهد بنفسه فى ميدان الحرب والشرف ، وقاتل التتار الذين هجموا على الوطن الإسلامى فى تلك الفترة التى ضعف فيها المسلمون .

ألف رحمه الله كتباً كثيرة قيمة دافع فيها عما يعتقده من الحق ودعا إلى منهجه فى الإصلاح ، ومن كتبه القيمة رسالة فى (السياسة الشرعية) وكتابه فى (اتفاق العقل والنقل) و(الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ، وله تلاميذ كثيرون أخذوا عنه ، وانتفعوا بعلمه من أشهرهم الإمام ابن القيم الجوزية ، وقد توفى سجيناً فى قلعة دمشق فى القرن الثامن سنة ٧٢٨ هـ .

أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر(١) .

وفى البخارى نحوه من رواية عبد الله بن عمر . وهذا حديث صحيح اتفق عليه البخارى ومسلم .

وأما إنكار السيدة عائشة رضى الله عنها سماع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى معذورة لأنها لم تحضر قول النبى صلى الله عليه وسلم ، فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولعدم بلوغها النص .

قال ابن تيمية فى كتابه الانتصار للإمام أحمد رحمه الله ما نصه : (وإنكار عائشة رضى الله تعالى عنها سماع أهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذوراً مثلها ؛ لأن هذه المسألة صارت معلومة من الدين بالضرورة) .

رب قائل يقول : إن سماع أهل القليب كان خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومن باب خرق العادة جعلت كمعجزة له عليه الصلاة والسلام .

ونقول له : إن دعوى الخصوصية هنا منقوضة بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنه إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) .

(رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن زيد بن أسلم عن عائشة رضى الله عنها) .

ومما رواه ابن عبد البر فى كتاب التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) .

قال الحافظ السيوطى فى الحاوى : صححه أبو محمد عبد الحق . وصححه ابن القيم فى كتاب الروح . ورواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة مرفوعاً .

ومما رواه النسائى وابن ماجه عن بريدة بن الحصيب(٢) : (كان

---

(١) القَليب (بفتح القاف وكسر اللام) : البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها ، وقيل : البئر القديمة ، ولفظ القليب يذكر ويؤنث .

(٢) بريدة بن الحصيب (بضم الباء الموحدة ، وفتح الراء ، وبضم الحاء وفتح الصاد)=

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية) . فهذه أحاديث صريحة فى نقض دعوى الخصوصية بدليل :

(أ) أن كلمة رجل أو أحد فى الحديث نكرة وقعت فى سياق النفى فتعم . وبذلك تهدم دعوى الخصوصية من أساسها ، كما أن فيها دليلا على سماع الموتى السلام عليهم ، وأنهم يرون وإلا لكانت مخاطبة من لا يسمع عبثاً ظاهراً . وحاشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى أن يكون عابثاً فى كلامه .

(ب) أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم أصحابه السلام على أهل المقابر ، ولو كانت خصوصية لما علمهم وأرشدهم إلى ذلك حين خروجهم إلى القبور .

بقيت معنا شبهة أخرى فى قوله تعالى فى سورة الروم : « فإنك لا تسمع الموتى » ، وقوله تعالى فى سورة فاطر : « **فإنك لا تسمع الموتى** »
« **إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور** » .

فإن ظاهر الآيتين الكريمتين يخالف ما قلناه من سماع الموتى كلام الأحياء .

قال العلامة النسفى عند تفسير قوله تعالى : « **فإنك لا تسمع الموتى** » : أى موتى القلوب . أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك لأن الله تعالى قد أثبت الإسماع للمؤمنين بعد هذه الآية فى سورة الروم نفسها فى قوله : « **وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا** » . فلو كان المراد مطلق السماع لما تأتى نفيه عن الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغهم قطعاً ، وقد سمعوا منه بآذانهم قطعاً فكيف ينفى الله عنهم السماع بعد ذلك بأداة حاصرة هى النفى والاستثناء (أى ما تسمع

ابن عبد الله الحارث بن الأعرج من قبيلة أسلم آمن حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً هو ومن معه ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد فشهد معه مشاهده ، وكان من ساكنى المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ثم إلى خراسان فأقام بمرو حتى مات ودفن بها ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٧ حديثاً .

إلا من يتأتى منه الإيمان والتصديق بآياتنا أ هـ) .

وقال البعض : إن المراد بالموتى فى القبور : الجثث التى فسدت حواسها ، وتلاشت قواها بخروج أرواحها لأنها المستقرة فى القبور فالمقصود تشبيه الكفار بهذه الجثث لأنهم لما لم يعوا ما يسمعون ، ولا به ينتفعون شبهوا وهم أحياء صحاح الحواس بهذه الأبدان الهامدة ، والهياكل الخالية من الروح والسر الإلهى العجيب والله أعلم .

استحضار الأرواح :

يقول الشيخ الوقور ، والأستاذ الفاضل مصطفى محمد الطير من علماء الأزهر الشريف فى كتابه (هادى الأرواح) : إن استحضار الأرواح بعزائم ، أو بآيات من كتاب الله تعالى ، أو بأية وسيلة أخرى ما دامت تجول أحياناً فى كون الله ، ولا تلزم مكاناً معيناً لم يرد فى كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يجاب عن هذا الإمكان بلسان الشرع الشريف.

والذى ثبت شرعاً هو بقاء الأرواح بعد موت الأجساد ، وأنها تسمع السلام وترده ، وتزور الأحياء يقظة ومناماً ، من غير استحضار منا لها ، ولم يثبت شرعاً أنها تخضع للأحياء يحضرونها حيث شاءوا ، ويسخرونها حيث أرادوا ، لكن علم استحضار الأرواح أصبح منتشراً فى أوربا وأمريكا كما أضحى ينتفع به فى شتى الأغراض ، ومنها علاج المرض بأمراض مستعصية ، وقد زحف هذا العلم إلى باقى القارات وغزا بلادنا ، وكان رائده بمصر المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، ثم انتشر بين طبقات مثقفة بيننا ، وأصبحت له جمعيات تمارسه ، وتدعو إليه وتعالج باسمه مختلف الأمراض وتأتى فى علاجها بنتائج إيجابية فى عديد من الحالات المستعصية أعرف بعضها .

فهل لنا أن نعترف به كعلماء وقد أصبح من واقع الناس ؟

لقد سبق إلى الاعتراف به فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق فقد قال فى تقديمه لكتاب حياة محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد حسين هيكل : وعلم استحضار الأرواح فسر للناس كثيراً مما كانوا فيه يختلفون ، وأعان على فهم تجرد الروح ، وإمكان انفصالها ، وفهم ما نستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد .

لكن هناك أموراً تجعلنا نتحفظ فى الاعتراف المطلق باستحضار الأرواح .

منها أن بعض الأرواح التى تستحضر إذا سئلت عن حالها تقول : إنها فى الجنة . وإنها مستريحة ، وقد كان أصحابها على غير دين الإسلام فكيف يقبل ذلك ؟ وكيف يكون من مات على غير دين الإسلام سعيداً مستريحاً ؟ وكيف غير أنه ناعم بالجنة ؟ وكيف يكون طليقاً فى ملك الله حتى يستحضر وهو حبيس فى جهنم .

ومنها : أن هذه الأرواح تتحدث بنبوءات كاذبة رجماً بالغيب ، والأرواح لا تجترئ على الكذب والرجم بالغيب الذى استأثر الله بعلمه .

وإذا كان غير مقبول فى الدين أن تدعى نفوس كافرة أنها فى الجنة ، وأن تكون طليقة وهى حبيسة فى جهنم ، وأن ترجم بالغيب . فلذا يكون مثل هذه الأكاذيب صادراً على قرناء تلك الأرواح من الجن ، أو عن جن عارٍ شأنها الكذب وليس صادراً عن تلك الأرواح التى أريد استحضارها .

أما العلاج الروحى فإنه أمر واقعى ومفيد فى كثير من الأحيان للأمراض المستعصية ومنواها .

ولكننا لا نستطيع القول : بأن تلك الأرواح المعالجة هى أرواح الإنس الذين ماتوا ، فقد تكون أرواح جن حضرت متبرعة بالعلاج ، وكانت بصورة من أريد استحضار أرواحهم ، وفى مثل خصائصهم ومن الأمور المسلمة أن من الجن من هو ماهر فى العلاج ولهم قدرات عجيبة فى نواح شتى .

ولسنا من أولئك الذين يصدون الناس عن العلم ، ولكننا نرجو أن يكون تعلمه وتطبيقه والاعتقاد فيه وفقاً لقواعد الدين (انتهى بتصرف) .

مستقر الأرواح فيما بين الموت والقيامة

اختلف الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم اختلافاً كبيراً فى مسألة خطيرة وهى : (أين مستقر الأرواح فيما بين الموت والقيامة ؟) . والسبب فى اختلافهم هو اختلاف الأحاديث والآثار التى وردت فى تلك المسألة ، ومثلها مما يتوقف على السماع من الشرع الحكيم ، ويتلقى من الصادق الأمين .

وللإمام شمس الدين بن القيم المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة كتاب قيم مطبوع بالهند ومصر اسمه (الروح) قد أودع فيه نفائس وجواهر فى هذا الموضوع لخصت منه ما يأتى مع شيء من التصرف . قال رحمه الله : واختلف فى ذلك .

فقال قائلون : أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين . وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة بهم ، وهذا مذهب أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم .

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله : أرواح الكفار فى النار ، وأرواح المؤمنين فى الجنة (وهذا قريب من الأول) .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » .

وجه الاستدلال : أن الله تعالى ذكر هذا عقيب خروج الروح من البدن بالموت ، وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ مقربين وأخبر أنها فى جنة النعيم .

٢ ـ وأصحاب يمين حكم لها بالسلام وهو يتضمن السلامة من العذاب .

٣ ـ ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم . قالوا : وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعاً .

واحتجوا من الحديث بما رواه الإمام مالك فى الموطأ عن بن شهاب الزهرى(١) عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصارى أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما نسمة المؤمن

---

(١) هو الإمام محمد بن عبد الله بن شهاب الزهرى المدنى التابعى ، أحد الفقهاء السبعة ، وأحد الأعلام المشهورين . ولد سنة ٥٠ هـ ورأى عشرة من الصحابة وسمع من خلق كثيرين ، وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شيء ، فقالت له امرأته : (والله إن هذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر) مات سنة ١٢٤ .

طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) .
(أخرجه النسائى وابن ماجه أيضاً)

والنسمة : الروح . وقوله يعلق يروى بفتح اللام وهو الأكثر . ويروى بضم اللام والمعنى واحد . وهو الأكل والرعى . فالمؤمن فى الحديث يعم الشهيد وغيره .

وقال آخرون : إن حديث كعب بن مالك المتقدم فى الشهداء دون غيرهم لأن القرآن والسنة يدلان على ذلك .

أما القرآن فقوله تعالى : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** .

وأما الآثار (فمنها) حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما أصيب إخوانكم (يعنى يوم أحد) جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب . (أى يمتنعوا عنها) ولا يزهدوا فى الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون »** . والحديث فى مسند أحمد وسنن أبى داود .

ومنها ما روى عن طريق بقى بن مخلد (بوزن رضى حافظ الأندلس) عن ابن عباس يقول : (أرواح الشهداء تجول فى أجواف طير خضر تعلق فى الجنة) .

وعن معمر عن قتادة قال : بلغنا أن أرواح الشهداء فى صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبى عاصم النبيل عن عبد الله بن عمرو : (أرواح الشهداء فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمرة الجنة) قال ابن عبد البر : هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء . دون غيرهم . وكأنه صلى الله عليه وسلم قال : (إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق فى شجر الجنة) .

قال ابن القيم : إن قول ابن عبد البر : (إن حديث كعب بن مالك في الشهداء دون غيرهم) فتخصيص ليس في اللفظ ما يدل عليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الإيمان فهو المقتضى له . ولم يعلقه بوصف الشهادة فيتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد .

وأما النصوص والآثار التي وردت في رزق الشهداء ، وكون أرواحهم في الجنة فكلها حق . وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بغير نزاع .

وقال مجاهد بن جبير التابعي : (أرواح الشهداء تكون بفناء الجنة أو حولها وليسوا في الجنة ، ولكن يأكلون من ثمارها ، ويجدون من ريحها

وقد يحتج له بما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء على بارق(١) نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً) .

قال ابن القيم : وهذا لا ينافي كونهم في الجنة فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة . فهم في الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها . فمجاهد نفى الدخول الكامل من كل وجه .

وقيل أرواح الشهداء في الجنة . وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم قاله أبو عمر(٢) بن عبد البر ورجحه .

وقال : إن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة ومتواترة .

يريد بالأحاديث المتواترة مثل حديث بن عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي) ومثل حديث البراء بن عازب الذي تقدم وفيه : (هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) .

---

(١) بارق نهر : من إضافة الصفة إلى الموصوف : أي أن الشهداء يكونون على نهر بارق : أي لامع متلألئ .

(٢) ابن عبد البر : هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي حافظ المغرب . قال الذهبي : ليس لأهل المغرب أحفظ منه . ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ بقرطبة ، ورحل رحلات طويلة ، وله كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لكنه لم يستوعب ، وله كتاب التمهيد والاستذكار ، وله تصانيف أخرى . توفي رحمه الله سنة ٤٦٣ هجرية بشاطبة بالأندلس .

ومثل حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم . وفيه أنه يرى مقعده من الجنة والنار ، وأنه يفسح للمؤمن فى قبره سبعون ذراعاً ، ويضيق على الكافر) .

وكذا سائر أحاديث عذاب القبر ونعيمه التى تقدمت . ومثل أحاديث السلام على أهل القبور . وخطابهم ، ومعرفتهم بزيارة لأحياء لهم .

قال ابن القيم : وأما قول من قال الأرواح تكون على أفنية القبور فإن أراد أن هذا أمر لازم لا تفارقه أبداً فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة الصحيحة . وعرض المقعد لا يدل على أن الروح فى القبر ولا على فنائه .

بل يدل على أن لها اتصالا به يصح أن يعرض عليها مقعدها فإن للروح شأناً آخر . فتكون فى الرفيق الأعلى ، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام . وهى فى الملأ الأعلى .

وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس يكون فى الأرض وجرمها فى السماء .

وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً ولها إشراف على قبورها وهى فى مقرها فهذا حق ولكن لا يقول به .

وقال ابن حزم فى طائفة : مستقر الأرواح بعد الموت حيث كانت قبل خلق أجسادها (أى عن يمين آدم وشماله) .

فبعد وفاة الأنفس . وانقضاء آجالها ترجع الأرواح إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به إلى السموات . أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام . وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت السماء الدنيا .

ولا يدل ذلك على تعادلهم بل هؤلاء عن يمينه فى العلو والسعة ، وهؤلاء عن يساره فى السفل والسجن ويعجل بأرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة . اهـ .

قال ابن القيم رحمه الله : لعمرو الله لقد قال (أى ابن حزم) قولا يؤيده الحديث الصحيح هو حديث الإسراء فإن النبى صلى الله عليه وسلم رآهم كذلك .

لكن قوله : إن ذلك عند منقطع العناصر لا دليل على ذلك من كتاب

ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الإسلام . والأحاديث الصحيحة تدل على أن الأرواح فوق العناصر فى الجنة عند الله . وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابن حزم على أن أرواح الشهداء فى الجنة . ومعلوم أن الصديقين أفضل منهم .

فكيف تكون روح أبى بكر الصديق ، وعبد الله بن مسعود . وأبى الدرداء (عويمر بن زيد بن قيس الخزرجى الأنصارى) وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السموات ؟

وأما قوله : إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها فهذ بناء منه على مذهب طائفة من السلف والخلف — وهو أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد.

وليس على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع إلا ما فهموه من آيات لا تدل لهم ، وأحاديث لا تصح ، والجمهور على خلاف ذلك وهو أن الأرواح خلقت بعد الأجساد اهـ .

والخلاصة أن ابن حزم يقول : مستقر أرواح الأنبياء عليهم السلام والشهداء الجنة ومستقر غيرهم يمين آدم وشماله عند منقطع العناصر تحت السماء الدنيا .

وقيل : أرواح المؤمنين بالجابية (قرية بالشام جيدة الهواء ، كثيرة الأشجار والثمار والأنهار) . وأرواح الكفار ببرهوت (بئر بحضرموت) قاله جماعة من الصحابة والتابعين . (من الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص) نقله بن منده .

قال ابن القيم : فإن أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وأنها (أى الأرواح) تجمع فى مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب .

وإن أراد نفس الجابية دون سائر الأرض فهذا لا يعلم إلا بالتوقيف ، ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب (أى اليهود) .

وقيل : أرواح المؤمنين ببئر زمزم . وأرواح الكفار ببئر برهوت .

وهذا من أفسد الأقوال ، ولا دليل عليه من كتاب ولاسنة بل هو مخالف لصريح السنة الصحيحة :

(إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة) ونحوه من الأحاديث الصحيحة .

تناسخ الأرواح الباطل :

يقول أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام من الملاحدة وغيرهم من الذين ينكرون المعاد : إن الأرواح تنتقل بعد مفارقة الأبدان بالموت إلى أجسام الحيوانات والحشرات والطيور التى تناسبها فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها . وتحل فى أبدان أخرى تناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا أبدا .

فهذا بلا شك تناسخ باطل لمخالفته ما اتفق عليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهو كفر بالله واليوم الآخر .

وهذه الطائفة تقول : إن مستقر الأرواح بعد المفارقة أبدان الحيوانات التى تناسبها وتشاكلها وهو أبطل الأقوال وأخبثه كما يقول ابن القيم .

ويليه قول من قال : إن الأرواح تعدم جملة بالموت ولا تبقى هناك روح تنعم أو تعذب .

بل النعيم والعذاب يقع على أجزاء الجسم أو جزء منه (إما عجب الذنب أو غيره) فيخلق الله فيه الألم واللذة بواسطة رد الحياة إليه ، أو بدون رد .

وهذا قول أبى بكر الباقلانى ومن تبعه ، وهو قول يرده الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة وأدلة العقل ومقابلهم من يقول : إن الروح لا تعاد إلى الجسد بوجه ولا تتصل به . والعذاب والنعيم على الروح فقط .

والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء ، وتبين أن العذاب والنعيم للروح والجسد مجتمعين ومنفردين (انتهى بتصرف من كتاب الروح) .

قال ابن القيم :

س ١ : فإن قيل قد ذكرتم أقوال الناس فى مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده ؟

ج ١ : قيل الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء .

(ومنها) : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت

وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما فى المسند عن محمد بن عبدالله بن جحش: «أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مالى إن قتلت فى سبيل الله ؟ قال : الجنة فلما ولى قال : إلا الدين سارنى به جبريل عليه السلام آنفاً) .

ومن الشهداء من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشملة (عباءة أو بردة) التى غلها (أى سرقها من الغنيمة) ثم استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره) .

(ومنهم) : من يكون مقره باب الجنة كما فى حديث ابن عباس : (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) . (رواه أحمد)

وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء .

(ومنهم) : من يكون محبوساً فى الأرض لم تعل روحه إلى الملإ الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها فى الدنيا . والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه فهى أرضية سفلية . كما أن النفس العلوية التى كانت عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب فى البرزخ ، ويوم القيامة ، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

---

(١) حديث الشملة : روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ففتح الله عز وجل علينا فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً (أى فضة) غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادى (وادى القرى) ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له (اسمه مدعم بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين) وهبه له رجل من جذامة يسمى رفاعة ابن يزيد من بنى الضيب ، فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله ، فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ، فقال : كلا والذى نفسى بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم يصبها المقاسم (رواه الشيخان وغيرهما) .

(ومنها) : أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى . وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة .

الخلاصة :

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح فى أعلى عليين . وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض . وكلها على اختلاف مجالها . وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها فى قبورها ليحصل للميت من النعيم أو العذاب ما كتب له . وإذا أمعنت النظر فى السنن والآثار عرفت حجج ذلك وأنه لا تعارض بينهما .

لكن الشأن فى فهمها . ومعرفة النفس (الروح) وأحكامها . وأن لها شأناً غير شأن البدن . وأنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء وتتصل بفناء القبر . وبالبدن فيه وهى أسرع شىء حركة وانتقالا . وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير . فهنالك الحبس والآلم والعذاب . والمرض والحسرة . وهنالك اللذة والراحة . والنعيم والإطلاق .

وما أشبه حالها فى هذا البدن بحال الولد فى بطن أمه . وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار .

(تنبيه) : سئل الحافظ بن حجر عن مستقر الأرواح بعد الموت فأجاب فى فتاويه :

أرواح المؤمنين فى عليين ، وأرواح الكفار فى سجين . ولكل روح بجسدها اتصال معنوى لا يشبه الاتصال فى الحياة الدنيا . بل أشبه به حال النائم . وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالا .

قال : وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها فى عليين أو سجين . وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية القبور .

مستقر أرواح الأطفال فى البرزخ :

قال الإمام النووى رحمه الله : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة . وتوقف فيه بعض من لا يعتد به ، وأما ذرارى المشركين فقد كثرت مذاهب العلماء فيهم . واقتصر

الإمام النووى هنا على ثلاثة مذاهب قال : قال الأكثرون : هم فى النار ، تبعاً لآبائهم ، وتوقفت طائفة فيهم إلى مشيئة الله . إن شاء أدخلهم الجنة ، وإن شاء أدخلهم النار . والثالث ــ وهو القول الصحيح ــ أنهم من أهل الجنة .

لحديث إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين ، ولقوله تعالى : « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » ، ليتوجه على المولود التكليف ، ويلزمه قول الرسول (حتى يبلغ) وهذا متفق عليه اهـ.

أقول : أخرج البخارى ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد والحاكم وصححه مرفوعاً عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أولاد المؤمنين فى جبل فى الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة) .

وفى رواية للإمام أحمد (ذرارى المسلمين فى الجنة . يكفلهم إبراهيم عليه السلام حتى يردهم إلى آبائهم) ، وذرارى . وذريات جمعان لذرية والمراد بهم أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم ولم يكلفوا .

ومعنى يكفلهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يقوم بأمرهم ويربيهم ، ويضمهم إليه مدة البرزخ إلى يوم القيامة ، واختص سيدنا إبراهيم عليه السلام بكفالة الذرارى لأنه أبو المسلمين .

وجاءت أيضاً نسبة الكفالة لآدم ، ولجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام فى روايات أخرى .

ولا تتنافى بين هذه الروايات ، فطائفة منهم فى كفالة إبراهيم . وطائفة فى كفالة آدم ، وطائفة فى كفالة غيرهما .

وأما ما ورد فى خبر السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبى من الأنصار فقلت : يا رسول الله (طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه) قال : (أوغير ذلك يا عائشة . إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها ، وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم .

(رواه الإمام مسلم)

فالجواب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يُعلمه الله عز وجل بمآل الأطفال ونهايتهم وهو الجنة .

ويستدل لأطفال الكفار الذين ماتوا قبل بلوغهم بأنهم فى الجنة على القول الصحيح بما رواه البخارى عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأما الولدان حوله فكل مولود مات على الفطرة (أى الخلقة على دين الإسلام ، وتوحيد الله) فقيل : يا رسول الله وأولاد المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأولاد المشركين) .

وفى رواية أخرى للبخارى أيضاً : (والشيخ الذى فى أصل الشجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والصبيان حوله أولاد الناس) . فهذا يقتضى بعمومه جميع الناس مسلمين وكفار .

ويستدل لهم أيضاً بقوله تعالى : **« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »** .

ووجه الاستدلال فى هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل إذا لم يعذب البالغ العاقل لأنه لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فأولى غيره ، وهو من لم يبلغ بعدم العذاب . وإذا لم يعذب فهو فى الجنة والله أعلم .

مقر أرواح الملائكة والحيوانات فى البرزخ :

ذكر فى شرح السحيمى على شرح الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقانى على متن الجوهرة لوالده أن أرواح ما عدا الثقلين : (الإنس والجن) من بقية الحيوانات غير الملائكة تفنى ثم يعيدها الله عند الحشر على أحد الرأيين للقصاص حتى إن الله عز وجل يقتص من القرناء للجماء التى ليس بها قرنان ، وبعد القصاص تصير الحيوانات تراباً تحقيقاً للعدل الإلهى بين خلقه .

قال : وأما أرواح الملائكة فسمعت بعض طلبة العلم أنها تحت ساق العرش ، وأما أجسامهم فإنها تتلاشى بموتهم لأنها نورانية كالفتيلة إذا قل زيتها تلاشت فكذا لا تقبر : (أى توضع فى قبر) .

أقول : إن ما قاله الشيخ السحيمى (بالسين والحاء المهملتين مصغراً) لم أطلع له على دليل يمكن الاستناد إليه . والعلم لله وحده .

القسم الثالث

ما ينفع الميت من الأعمال وما لا ينفعه

الأعمال التي تنفع الميت نوعان :

١ ــ نوع تسبب فيه الميت فى حياته .

٢ ــ ونوع تسبب فيه غيره بعد مماته .

فالنوع الأول : وهو ما تسبب فيه الميت فى حياته وينفعه بعد مماته ــ تسعة أشياء ، كما ورد فى الأحاديث النبوية ، والسنة المحمدية وهى :

أولا : الصدقة الجارية : (أى التى يستمر نفعها ، وتتجدد الإفادة منها حتى بعد وفاة صاحبها) كوقف العقار على الفقراء والمساكين لاستغلاله ، والانتفاع به ، وكبناء المدارس ، والمعاهد لتعليم العلم ، ومحو الجهل ، وتثقيف العقول وتهذيب الأخلاق ، وكبناء الملاجيء والمستشفيات لإقامة العجزة بها ، ومداواة المرضى ومعالجتهم فيها كل ذلك بالمجان وبدون أخذ أجر .

ثانياً : العلم النافع : ويكون بتأليف الكتب التى تنفع الناس فى أمور دينهم ودنياهم ، أو بإلقاء الدروس الصالحة ، والمحاضرات النافعة على التلاميذ ، وهؤلاء من جانبهم يقومون بنشر علم أستاذهم بعد وفاته ، وما درسوه عليه فى حياته .

والمؤمن المخترع الذى قد ابتكر آلة خففت عن الناس بعض المتاعب ، وسهلت لهم سبل العيش ، وأفادتهم فى هذه الحياة لا شك أنه يثاب على ذلك ما دام عمله خالصاً لوجه الله ، ويستمر ثوابه ويدوم ولو كان من أهل القبور ما دام مخترعه منتفعاً به . . .

ثالثاً : الولد الصالح : وهو المسلم الذى قد عرف حق ربه ، وحق والديه عليه فيدعو لهما بالمغفرة والرحمة ، أو يعمل لهما عملا صالحاً بأن يتصدق عنهما أو يصلى أو يصوم أو يزكى أو يحج أو نحو ذلك ثم يهب ثواب ذلك لهما لأنهما

اهتما بتربيته ، وتهذيب أخلاقه فهما صاحبا الفضل فيما صار إليه من صلاح وحب للخير ، ومعرفة بحق ربه ووالديه عليه ، وقد ورد فى الحديث النبوى: (ولد الإنسان من سعيه) ولا شك أن الإنسان يثاب على سعيه كله .

رابعاً : بناء مسجد : تقام فيه الشعائر الدينية ، والدروس العلمية وتلاوة القرآن وتحفيظه ، ويكون بناؤه خالصاً لله تعالى لا للرياء والسمعة ، ولا للتباهى والتفاخر .

خامساً : بناء بيت وما شابهه يأوى إليه الغريب ، والمجاهد فى سبيل الله ، ومن لا مأوى له ، ومن ذلك البنيان المعروف فى زماننا (بالدوار أو الديوان ، أو الساحة) الذى يشيده بعض القبائل فى صعيد مصر لنزول الضيوف والغرباء ومن على شاكلتهم به ، والعمل على راحتهم ، فهذا بلا شك من الأعمال الخيرية التى يبقى ثوابها بعد موت صاحبها ، ما دام ذلك البنيان منتفعاً به ، وما دام المقصود به وجه الله تعالى .

سادساً : حفر نهر ، أو شق قناة يجرى فيها الماء فيشرب منه الدواب والناس وتروى منه أراضيهم وتسقى به زروعهم بدون أجر ومن غير عوض .

سابعاً : حفر بئر أو عين أو إقامة آلة رافعة للمياه من باطن الأرض ومن جوفها للشرب وغيره بدون أجر .

ومن ذلك ما يعده بعض أهل الخير من ملء حياض من الرخام أو غيره بالماء النقى فيشرب منه المارة والمسافرون ، والغادون ، والرائحون .

ثامناً : غرس النخيل ونحوها حيث يجلس الناس تحتها فيستنشقون منها هواء عليلا ، ونسيما طيباً ، ويتقون بها حر الشمس اللافح والصيف القائظ ، وربما يأكلون مما يتساقط منها رطباً جنياً ، وثمراً شهياً بدون ثمن ، ومن غير عوض .

تاسعاً : ترك الموروث لوارثه مصحفاً للقراءة فيه ، والحفظ منه ، ومن ذلك وقف المصاحف ووضعها فى أماكن العبادة كالمساجد ليقرأ فيها من يشاء رغبة فى تلاوة القرآن الكريم ، وحفظه فى الصدور وغير ذلك ، وينتفع الميت بالثواب ما بقى المصحف منتفعاً به .

يشهد لذلك كله ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه وأبو داود ، والترمذى والنسائى فى سننهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وقال المنذرى : وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو كتبه . أو أو عمل به ما بقى خطه . وناسخ ما فيه حرمة عليه وزره . ووزره من عمل به ما بقى خطه ، وقوله : أو ولد صالح أى مسلم يدعو له . قال المناوى : وفى الحقيقة الإنسان ينتفع بالدعاء سواء أكان من ولده أم من غيره . ففائدة تخصيص الولد بالذكر تحريضه على دعائه لوالديه . نعم ينتفع الوالد بأعمال ولده الصالحة ولو لم يدع له ؛ لأنه هو السبب فى وجوده وصلاحه وإرشاده إلى الهدى . ففيه دليل على أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت .

وورد أن الإنسان ينعم فى الآخرة بنعيم عظيم فيقول :

من أين هذا النعيم ؟ فإنى لم أعمل فى الدنيا عملا يوجب لى ذلك فيقال : هذا من دعاء ولدك الصالح لك .

وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره . وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، ومسجداً بناه . وبيتاً لابن السبيل بناه ، ونهراً أجراه . وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه بعد موته) .

وأخرجه أيضاً البزار ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبع يجرى للعبد أجرها بعد موته وهو فى قبره ، من علم علماً ، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً : أو غرس نخلا ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً . أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته .

ونظم البقاعى(١) رحمه الله فى كتابه (سر الروح) ما اجتمع فى الروايتين رواية أبى هريرة ، ورواية أنس بن مالك من الخصال وهى تسع فقال : (من بحر الكامل) . :

---

(١) البقاعى (بكسر الباء) : هو برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى نسبة إلى بقاع كلب (موضع بالقرب من دمشق) ، صاحب كتاب (سر الروح) ، وهذا الكتاب مختصر من كتاب (الروح) لشيخه ابن القيم الجوزية ، وللبقاعى أيضاً كتاب يسمى (الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة) ، وقد توفى رحمه الله سنة ٨٨٥ هـ .

للعبدِ يجرى الأَجرُ بعد الموت فى
تسعٍ كما قال الرسولُ المُصْطَفى

إجراءُ نهرٍ حفر بئرٍ غرس نخْلٍ
نشر علمٍ ، والتصدق فى الشِّفا

وبنـاءُ بيتِ ابن السبيلِ ومسجدٍ
وبتركه ابنًا صالحًا أَو مُصْحفا

وقد أوصل الحافظ (١) السيوطى هذه الخصال إلى إحدى عشرة خصلة، وقد نظمها رحمه الله (من بحر الوافر) فقال :

إذا مات ابنُ آدمَ ليس يجرى
عليه من فِعـال غيرُ عَشْرِ

عـلومٌ بثَّها ودعـاءُ نجلٍ
وغرسُ النخل والصدقاتُ تجرى

وراثةُ مُصحفٍ ورباطُ ثُغرٍ
وحفر البئر أَو إجراءُ نَهْرِ

وبيتٌ للغريبِ بنـاهُ يأْوِى
إليه أَو بنـاءُ محلِّ ذِكْرِ

وتعـليمٌ لقـرآنٍ كريمٍ
فخـذها من أَحاديث بحصْرِ

---

(١) هو عبد الرحمن (جلال الدين) بن محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطى . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ ، ومات أبوه وهو ابن ست سنوات فنشأ يتيماً ، وحفظ القرآن الكريم وسنه أقل –

(وبعد) : فإنه لا تنافى بين حديث : (إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) وبين الأحاديث الأخرى التى أثبتت أكثر من ثلاث خصال :

إما لأن مفهوم العدد غير حجة كما هو معروف فى أصول الفقه .

وإما لأن الله أطلع الرسول أولا على ما فى الحديث الخصال الثلاث ثم أطلعه على الزائد عنها فأخبر به .

المذاهب فى جعل ثواب العبادات للغير :

إعلم أن العبادات ثلاثة أنواع :

١ ـ عبادات بدنية محضة كالصلاة والصوم والاعتكاف وقراءة القرآن والذكر .

٢ ـ عبادات مالية محضة كالزكاة والصدقة .

٣ ـ عبادات مركبة من المال والبدن وهى الحج (فإنه مالى من حيث اشتراط القدرة على الزاد والراحلة ، وبدنى من حيث الوقوف والطواف والسعى ورمى الجمار) .

ثم اعلم أيضاً أن مذهب الحنفية ومذهب الحنابلة بجواز للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية أم مالية أم مركبة منهما .

ذكر فى كتب الحنفية (كالزيلعى والبحر والهداية وفتح القدير) أن كل من أتى بعبادة سواء أكانت صلاة أو صوماً أو صدقة أو قرآناً أو ذكراً أو طوافاً أو حجاً أو عمرة أو غير ذلك من أنواع البر له جعل ثوابها لغيره من الأحياء أو الأموات ويصل ثوابها إليه وأنه لا فرق بين من ينوى عند الفعل الغير أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره .

وذكر فى كتاب المغنى لابن قدامة الحنبلى(١) ، أن أية قربة فعلها الإنسان

= من ثمان سنين ، ثم حفظ كثيراً من متون العلم ، وله مؤلفات قيمة منها : الإتقان فى علوم القرآن ، والمزهر فى علوم اللغة ، والأشباه والنظائر ، وبغية الوعاة فى تراجم النحاة ، وأسباب النزول وغير ذلك . مات رحمه الله سنة ٩١١ هـ .

(١) هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ صاحب كتاب المغنى ، وهو العمدة فى مذهب الحنابلة ، ومن أجل الكتب الفقهية قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء : ما رأيت فى كتب الإسلام فى العلم مثل المحلى =

وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك بمشيئته تعالى . وقال بن القيم من علماء الحنابلة فى كتاب الروح : (أفضل ما يهدى إلى الميت الصدقة والاستغفار والدعاء له والحج عنه . وأما قراءة القرآن وإهداؤها إليه تطوعاً بغير أجر فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج) .

أما مذهب الشافعية والمالكية فالمشهور عندهم أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن لا يصل ثوابها إلى الميت بخلاف غيرها من العبادة المالية المحضة مثل الزكاة والصدقة أو المركبة منهما مثل الحج فإنه يصل ثوابها إليه .

ولكن المتأخرين من أهل المذهبين اختاروا وصول الثواب إلى الميت فى جميع العبادات ومنها قراءة القرآن . ونفعها إما بوصول ثوابها أو حصول بركتها .

ثم اعلم أن المعتزلة ذهبوا إلى أنه ليس للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية أم مالية أم مركبة منهما فمذهبهم على عكس مذهب الحنفية ومن وافقهم من أهل السنة .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى سورة النجم : **« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »** ، وقالوا فى الاستدلال بهذه الآية : أخبر الله عز وجل فى الآية الكريمة : بأن الإنسان ليس له إلا سعيه وعمله وسعى غيره ليس سعيه وعمله .

ويرد عليهم بما أجاب به الكمال(١)بن الهمام فى كتابه فتح القدير (فى باب الحج عن الغير) :

بأن الآية مقيدة بما لم يهبه العامل للغير . لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين (أى أبيضين بهما شعر أسود) أحدهما عن نفسه . والآخر عن أمته .

لابن حزم وكتاب المغنى لابن قدامة فى جودتهما ، وتحقيق ما فيهما ، ونقل عنه أنه قال : ولم تطب نفسى بالفتيا حتى صارت عندى نسخة من المغنى .

(١) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين الشهير بابن الهمام . ولد سنة ٧٨٨ هـ ، كان إماماً فى الفقه والأصول ، وعلوم العربية بارعاً فى الحديث والتفسير والمنطق والمناظرة ، وله مؤلفات قيمة منها : شرح الهداية المسمى بفتح القدير ، شرع فيه ولكنه لم يتمه بل كتب فيه إلى الوكالة ، وقد سلك فيه مسلك الإنصاف ، والسير مع الدليل غير متأثر بالتعصبات المذهبية ، وله فى علم التوحيد كتاب (المسايرة) وفى الأصول كتاب (التحرير) ، وله مختصر فى مسائل الصلاة اسمه (زاد الفقير) ، توفى سنة ٨٦١ هـ .

وروى هذا الحديث عدة من الصحابة ، وانتشر مخرجوه . فلا يبعد أن يكون القدر المشترك ، وهو أنه ضحى عن أمته مشهور يجوز تقييد الكتاب به أو ننظر إليه وإلى ما رواه الدار قطني : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان لى أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : (إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صيامك) .

وإلى ما رواه الدارقطني أيضاً عن الإمام على كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من مر على المقابر ، وقرأ «قل هو الله أحد» إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات) .

وإلى ما روى عن أنس بن مالك : (أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله) إننا نتصدق عن موتانا ، ونحج عنهم وندعو لهم . فهل يصل ذلك إليهم ؟ قال : (نعم إنه ليصل إليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه) .

وإلى قوله صلى الله عليه وسلم : (إقرءوا على موتاكم يس) .

(رواه أبو داود)

فهذه الآثار ونحوها من السنة يبلغ القدر المشترك فيها بين الكل وهو : (أن من جعل شيئاً من الصالحات لغيره وصل ثوابه إليه ، ونفعه الله به) مبلغ التواتر .

وكذا ما فى كتاب الله تعالى : من الأمر بالدعاء للوالدين فى قوله تعالى : «**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً**» . ومن الإخبار باستغفار الملائكة للمؤمنين فى قوله تعالى فى سورة غافر :

«الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم .»

وفى قوله تعالى فى آية أخرى فى سورة الشورى : «**والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم**» .

قطعى فى حصول الانتفاع بعمل الغير . فيخالف ظاهر الآية التى استدل بها المعتزلة ثم قال الكمال بن الهمام : وقد ثبت فى ضمن إبطالنا لقول المعتزلة انتفاء قول الشافعى ومالك رحمهما الله فى العبادات البدنية بما فى الآثار . (انتهى بتصرف) .

واستدل المعتزلة لمذهبهم بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له) .

قالوا فى استدلالهم : إن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الميت إنما ينتفع بما كان تسبب فيه فى حياته ، وما لم يكن قد تسبب فيه فهو منقطع عنه . ويرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقل : انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر عن انقطاع عمله . وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل الفاعل لا ثواب عمله . فالمنقطع شىء والوصل إليه شىء آخر .

والخلاصة مما تقدم أن المذاهب ثلاثة :

١ – مذهب قائل بوصول ثواب العمل من الغير إلى الميت مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية محضة (أى خالصة) أم مالية محضة . أم مركبة منهما وهو مذهب الحنفية والحنابلة ومن وافقهم من المتأخرين من علماء المالكية والشافعية .

٢ – ومذهب قائل بعدم الوصول مطلقاً وهو مذهب المعتزلة .

٣ – ومذهب فصل فى العبادة فقال :

إن كانت العبادة بدنية محضة فلا يصل ثوابها إلى الميت . وإن كانت مالية ومحضة . أو مركبة منهما وصل ثوابها إليه ، وهو مذهب المالكية والشافعية فى المشهور عندهم .

والمذهب الراجح والمختار هو الأول لرجحان أدلته وقوتها . وللعمل به من عهد سلفنا الصالح إلى وقتنا هذا .

إذا علمت أن المذهب الراجح والمختار هو مذهب الحنفية ومن وافقهم عرفت أن ما ينتفع به الميت مما تسبب فيه غيره هو .

أولا – الدعاء والاستغفار للميت :

فقد ورد فى السنة الصحيحة أحاديث كثيرة فى دعائه عليه الصلاة والسلام للميت المسلم فى صلاة الجنائز فقد كان يقول : (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه . وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار) رواه مسلم من حديث عوف بن مالك إلى غير ذلك من الأدعية المختلفة المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام لكل ميت صلى عليه كما كان يأمر أصحابه بالدعاء ويقول لهم : (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً . ويأمرهم أيضاً بالاستغفار للميت عقب دفنه ومواراته تحت التراب ، فقد روى أصحاب السنن عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

كذلك ورد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا خرج إلى المقابر لزيارة الموتى دعا لهم وترحم عليهم . وكان يعلم أصحابه ما يدعون به إذا خرجوا لزيارتها .

فقد ورد فى صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية) .

وفى صحيح مسلم أيضاً أن السيدة عائشة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم : كيف أقول إذا زرت القبور ؟ قال : (قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) .

وفى كتاب الروح لابن القيم ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم للأموات فعلا وتعليماً ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصراً بعد عصر أكثر من

أن يذكر وأشهر من ينكر . وقد جاء أن الله يرفع درجة العبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنى لى هذا ؟ فيقول : بدعاء ولدك لك اهـ .

وفى شرح المنهاج لابن النحوى أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع الميت والحى القريب والبعيد بوصية وغيرها وفيه أحاديث كثيرة بل كان أفضل الدعاء أن يدعو المؤمن لأخيه بظهر الغيب .

ثانياً — الصدقة عن الميت :

وتكون بالنقود والطعام واللباس وسقى الماء ووقف الأرض أو الدار وغير ذلك مما ينتفع به الفقراء وأصحاب الحاجة .

وتقع الصدقة عن الميت ويصل ثوابها إليه (سواء أكانت من ولد الميت أم من غيره) .

روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها : (أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمى افتتلت نفسها (أى ماتت فجأة) ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم) .
(رواه البخارى ومسلم)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (أن سعد بن عبادة(١) توفيت أمه وهو غائب عنها . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمى توفيت وأنا غائب عنها . فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم . قال : فإنى أشهدك أن حائطى (أى بستانى وحديقتى) المخراف (بفتح الميم وسكون الخاء المعجمه وفتح الراء) صدقة عنها) .
(رواه البخارى والترمذى وأبو داود والنسائى . وفى السنن ومسند الإمام أحمد)

---

(١) سعد بن عبادة سيد الخزرج كما كان سعد بن معاذ سيد الأوس (والأوس والخزرج ابنا عم ، وأخوان لأم ، أمهما هى قيلة بفتح القاف وسكون الياء ، وهما من قبيلة الأزد هاجر من اليمن بعد تهدم سد مأرب فسكنا بيثرب ، وكونا بها أسرتين كبيرتين)، شهد سعد بن عبادة مع الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، وغزوة الخندق ، وأبلى فيها بلاء حسناً وحمل راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، كما قاد فرقة من جيش المسلمين فى يوم فتح مكة المبين . توفى سنة ١٤ هـ .

أما أمه فاسمها عمرة بنت مسعود أنصارية خزرجية أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت سنة خمس من الهجرة .

عن سعد بن عبادة أيضاً أنه قال : يا رسول الله إن أم سعد ماتت . فأى الصدقة أفضل ؟ قال : الماء ، فحفر بئراً وقال : هذه لأم سعد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : (أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبى مات وترك مالا ولم يوص ، فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم) .

(رواه الإمام مسلم)

(وبعد) : فإنه يؤخذ من هذه الأحاديث أن الصدقة من الولد سواء أكان ابناً أم بنتاً تنفع والديهما بعد موتهما ويصل ثوابها إليهما بدون وصية منهما.

وحكى الإمام النووى فى شرح الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصل ثوابها من غير تقييد بكونها من الولد .

ثالثاً ــ الحج عن الميت :

روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما : (أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته . اقضوا الله فالله أحق بالقضاء) .

وفى رواية للإمام أحمد والبخارى مثل ذلك ، وفيها جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أختى نذرت أن تحج (الحديث) .

وعن ابن عباس أيضاً قال : (جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الراحلة . فهل يقضى عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم) . (رواه الجماعة)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى . قال : حججت عن نفسك ؟ قال : لا . قال : حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة) . (رواه أبو داود وابن ماجه)

فى الأحاديث المتقدمة دليل على جواز الحج عن الميت من الولد ومن

غير الوارث لعدم استفصاله(١) عليه الصلاة والسلام في الرواية الثانية ، وعدم الاستفصال منه – في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال كما هو معروف في علم الأصول كما يؤخذ من حديث الخثعمية جواز الحج عن الغير إذا كان عاجزاً ، ويدل حديث شبرمة على أن الإنسان يؤدي الحج أولا عن نفسه ثم عن غيره . ويدل أيضاً على جواز الحج عن الميت عن غير الولد .

رابعاً – الصلاة والصوم عن الميت :

روى الدارقطني(٢) : (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك) .

وأما حديث : (لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد) ، فمعناه في حق الخروج عن العهدة لا في حق الثواب . هكذا قاله بعض العلماء .

وروى عن ابن عباس(٣) أنه قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقالوا : لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى) . (رواه مسلم)

وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال : (إن امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهراً ، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجأة . فجاءت

---

(١) الاستفصال : هو طلب التفصيل .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي المشهور بالدارقطني (بفتح الراء) نسبة إلى دار القطن (محلة كبيرة ببغداد) . ولد سنة ٣٠٥ هـ وهو أمير المؤمنين في الحديث ، وصاحب السنن والعلل والأفراد وغير ذلك ، توفي سنة ٣٨٥ هـ .

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبر هذه الأمة ، وترجمان القرآن ، والصحابي الجليل ، وأحد العبادلة المكثرين من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل) . ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ومات بالطائف سنة ٦٨ هجرية وهو ابن سبعين سنة .

ابنتها أو أختها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها) .
(رواه أهل السنن والإمام أحمد)

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) وهو تقرير لقاعدة عامة فيمن مات وعليه صوم واجب بأى سبب من أسباب الوجوب .

وكذلك حديث ابن عباس الأول ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيه : (فدين الله أحق أن يقضى) .

وأما حديث ابن عباس الثانى ، فهو تنصيص على بعض أفراد العام وهو صوم النذر ، فلا يصح مخصصاً ولا مقيداً لحديث السيدة عائشة رضى الله عنها .

فاستفيد من هذه الأحاديث الثلاثة أن الولى يصوم استحباباً عمن مات وعليه صوم واجب سواء أكان نذراً أم غير نذر كما قاله جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث . حتى قال البيهقى : هذه السنة ثابتة لا أعلم خلافاً بين أصحاب الحديث فى صحتها .

وفى المسند للإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : (أن العاص ابن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنة (ناقة) وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين (أى بعيراً) وأن عمرو بن العاص (أخا هشام) سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) .

فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عمراً بأن موت أبيه على الكفر منع من وصول الثواب إليه . وأنه لو أسلم لأجزأ الصوم والصدقة عنه ولحقه ثوابهما .

وصول ثواب قراءة القرآن للميت :

اعلم أن قراءة القرآن للميت تنفعه ، ويصل إليه ثوابها سواء أكانت عند القبر أم بعيدة عنه لأن الله هو المطلع على القارئ ، وعلى إتقانه للقراءة وإخلاصه فيها ، والبعد والقرب بين القارئ والميت ليس دخل له فى وصول الثواب وعدم وصوله وهذا هو مذهب الجمهور وهو الحق .

١ ــ يدل لذلك من السنة ما روى عن معقل بن يسار المزنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرأوا يس على موتاكم) .

(رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد)

ولفظه : (يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم) .

وأخرجه أيضاً النسائى وابن حبان وصححه . وأعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة أبى عثمان وأبيه المذكورين فى السند . قال الدارقطنى : هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ولا يصح فى الباب حديث . قال محمد بن على بن محمد الشوكانى اليمنى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ فى كتابه (نيل الأوطار) : واللفظ نص فى الأموات ، وتناوله للحى المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقرينة .

قال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان قال : كانت المشيخة يقولون : إذا قرئت (يعنى : يس) لميت خفف عنه بها ، وأسنده صاحب مسند الفردوس من طريق مروان بن سالم عن صفوان ابن عمرو عن شريح عن أبى الدرداء ، وأبى ذر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه) .

٢ ــ وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس بن مالك : (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنه يومئذ ، وكان له بعدد من دفن فيها حسنات) .

فالحديث الأول هو : (اقرءوا يس على موتاكم) يفيد استحباب قراءة يس على الموتى مطلقاً سواء أكانت عند القبر أم بعيدة عنه . والحديث الثانى وهو : (من دخل المقابر . . . إلخ) يفيد استحباب قراءتها عند القبر ، ولا تنافى بين الحديثين فتقرأ يس عند القبر وغيره .

٣ ــ وأخرج أبو القاسم (سعد بن على الزنجانى) فى فوائده عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه : (من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وألهاكم التكاثر ، ثم قال : إنى جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى) .

ويروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة . وذكر الخلال عن الشعبي قال : كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن . وذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن وكان الإمام أحمد رحمه الله ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذلك لما أخبره محمد بن قدامة الجوهرى بأثر ابن عمر .

وقال ابن القيم : قد نبه النبي صلى الله عليه وسلم بوصول ثواب الصوم الذى هو مجرد ترك ، ونية تقوم بالقلب لا يطلع عليه إلا الله . وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة التى هى عمل باللسان تسمعه الأذن . وتراه العين بطريق الأولى .

على أنه ورد فى ذلك أحاديث تصرح بوصول ثواب القراءة إلى الأموات وهى وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلا . وقد عمل بها المسلمون خلفاً عن سلف ، فإنهم ما زالوا فى كل عصر ومصر يجتمعون . ويقرأون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعاً عملياً من الأئمة التى لا تجتمع على ضلالة . اهـ .

وإذ قد عرفت أن قراءة القرآن تنفع الميت فلتعلم أن هذا مشروط بعدم أخذ الأجرة على القراءة ، لأن أخذها على القراءة يحبط ثوابها ، ولا يكون للقارئ من قراءته إلا هذه الأجرة التى لولاها ما قرأ ، وإذاً فلا ثواب له هو ، فكيف يهدى للميت ثواب ما قرأ ؟ وقد قال علماء الحنفية : إن القارئ بالأجرة لا يستحق الثواب له ولا للميت ، والآخذ والمعطى آثمان ، والصورة الصحيحة لوصول ثواب القراءة للميت ، وانتفاعه بها أن يكون القارئ صديق الميت أو قريبه ، وتكون قراءته تعبداً وحسبة لله تعالى . لا فى مقابلة نفع دنيوى ، ثم يهب ثوابها للميت ، فهذه هى التى يصل ثوابها ونفعها إليه .

سئل ابن حجر المكى عما لو قرأ إنسان الفاتحة لأهل المقبرة . فهل يقسم الثواب بينهم ، أو يصل لكل منهم ثواب ذلك كاملا ؟ فأجاب : بأنه أفتى جمع بأنه يصل لكل منهم الثواب كاملا ، وهو اللائق بسعة الفضل .

وأما إهداء ثواب القراءة للرسول عليه الصلاة والسلام فقد ذكر

ابن حجر المتقدم ذكره فى الفتاوى الفقهية أن الحافظ ابن تيمية منع إهداء ثواب القراءة للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال : لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه وهو الصلاة وسؤال الوسيلة له .

ورد عليه تقى الدين السبكى وغيره : بأن مثل ذلك لا يحتاج لإذن خاص ، ألا ترى أن ابن عمر كان يعتمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عمراً بعد موته من غير وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل الحافظ ابن حجر العسقلانى : عمن قرأ شيئاً من القرآن ؟ وقال فى دعائه :

(اللهم اجعل ثواب ما قرأته ، أو مثل ثواب ما قرأته زيادة فى شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) .

فما معنى الزيادة مع كماله صلى الله عليه وسلم ؟

فأجاب بقوله : هذا مخترع من متأخرى القراء لا أعرف لهم سلفاً فيه . ولكن هو ليس بمحال كما تخيله السائل ، فقد ورد فى رؤية الكعبة : (اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً) . فلعل المخترع المذكور قاسه على ذلك ، وكأنه لحظ أن معنى طلب الزيادة أن تتقبل قراءته فيثيبه الله عليها . وإذا أثيب أحد من الأمة على فعل طاعة من الطاعات كان للذى علمه نظير أجره ، وللمعلم الأول وهو الشارع صلى الله عليه وسلم جميع ذلك فهذا معنى الزيادة فى شرفه عليه الصلاة والسلام ، وإن كان شرفه مستقراً حاصلا .

(انتهى من الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) .

وصول ثواب الذكر إلى الميت ونفعه به

الذكر :

ما يجرى على اللسان والقلب أو بأحدهما من تهليل الله وتسبيحه ، وتحميده وتكبيره وتقديسه وتنزيهه ، والثناء عليه بما هو أهله ، ووصفه بصفات الكمال ، ونعوت الجلال والجمال وقد أمر الله بالإكثار منه فقال : **« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا »** .

وأخبر أنه يذكر من يذكره فقال : **« فاذكرونى أذكركم »** .

والمقصود من الذكر تطهير النفس ، وإيقاظ الضمائر ، واطمئنان

القلوب وتثبيتها فتزداد إيماناً بربها ، ويقيناً ببارئها وصدق الله العظيم إذ يقول :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .(سورة الرعد آية : ٢٨ ، ٢٩)

وأفضل الذكر ما كان بكلمة التوحيد .

روى عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الذكر « **لا إله إلا الله** ») .

(رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (أحب كلمة إلى الله « **لا إله إلا الله** » . لا يقبل الله عملا إلا بها ، وهى كلمة التقوى ، وكلمة الإخلاص وبراءة من الشرك . من قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله ، وحقنت دمه . ولقى الله فيحاسبه ، وهى ثمن الجنة لمن وفى بحقها ، وقام بواجباتها . وهى توجب المغفرة ، وهى تجدد ما درس فيه الإيمان فى القلب . وحرز من الشيطان ، وأمان من وحشة القبر وهول الحشر) ، كما فى المسند للإمام أحمد وغيره .

فمن ذكر الله تعالى بأن قال مثلا : « **لا إله إلا الله** » مائة مرة ثم وهب ثواب ذلك للميت فإنه يصل إليه ذلك الثواب إن شاء الله وينفعه على الصحيح قياساً على الصوم ، فإن ثواب الصوم وصل إلى الميت ونفعه — والصوم ترك وكف — فأولى بالوصول الذكر وهو فعل لأن الفعل أولى من الترك .

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نتكلم عما اعتاده بعض الناس من قراءة عدد مخصوص من : « **قل هو الله أحد** » مائة ألف مرة أو : « **لا إله إلا الله** » سبعين ألف مرة ، ويجعلونه فداء لأنفسهم أو أقاربهم أو أصحابهم من النار ويسمون النوع الأول العتاقة الكبرى ، والنوع الثانى العتاقة الصغرى .

وعلى هذا فالعتاقة الكبرى : هى ما يقرأ فيها : « **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** » مائة ألف مرة ، واستدلوا للعتاقة الكبرى بما رواه البزار(١) :

---

(١) البزار : هو الإمام الحسن بن الصباح البزار ، سمع سفيان بن عيينة ، وأبا معاوية وطبقتهما ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يجله ويرفع قدره . قال أبو حاتم الرازى: البزار صدوق، توفى ببغداد سنة تسع وأربعين ومائتين هجرية .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قرأ : « قل هو الله أحد » مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله عز وجل ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلاناً عتيق الله فمن له قبله فليأخذه من الله عز وجل) ولكن هذا الحديث لم يعثر عليه فى مسند أنس عن البزار .

وبحديث حذيفة بن اليمان : (من قرأ : **« قل هو الله أحد »** ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله) .

(رواه الخيارى) بالخاء المعجمة المكسورة (فى فوائده . وذكره السيوطى فى الجامع الصغير . ولم يرمز إليه بتصحيح ولا تضعيف) .

واستدلوا للعتاقة الصغرى (وهى ما يقال فيها : **« لا إله إلا الله »** سبعين ألف مرة) بما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال : **« لا إله إلا الله »** سبعين ألفاً فقد اشترى نفسه من الله) .

قال الحافظ ابن حجر(١) : هذا الحديث ليس بصحيح ولا حسن ، ولا ضعيف بل هو باطل موضوع ولا تحل روايته إلا مقروناً ببيان حاله .

حكم العتاقتين :

أن من فعلهما اعتماداً على هذه الأحاديث الواردة فى هذا العدد المخصوص واعتقد ثبوت الجزاء المذكور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الشراء والعتق من النار ، وغفران جميع الذنوب كان هذا الفعل غير جائز لبنائه على إثبات ما ليس بثابت عن النبى عليه الصلاة والسلام . فقد رد الحفاظ المحدثون أحاديث العتاقتين ولم يقبلوها . أما فعلهما بقصد الثواب والبركة من قراءة القرآن والذكر من غير حصر بالعدد المتقدم . ثم إهداء ثواب القراءة أو التهليل للميت من غير أجر فإنه ينفعه إن شاء الله .

---

(١) هو أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الأصل المعروف بابن حجر المصرى الشافعى أمير المؤمنين فى الحديث ، وشيخ الإسلام . ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ ونشأ بها نشأة صالحة ، حفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً جيداً ، وجوده تجويداً متقناً ، وحفظ البخارى ومختصر ابن الحاجب ، وكان نادر الذكاء ، وكانت ذاكرته قوية وسريعة فى الحفظ وخطب بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وبالجامع الأزهر وغيرهما ، ووعظ الناس فى المحافل والمجتمعات ، وله مؤلفات كثيرة وقيمة منها : فتح البارى ، ومقدمته والإصابة فى تمييز الصحابة . وتخريج الكشاف ، وبلوغ المرام شرح سبل السلام فى الحديث . توفى رحمه الله سنة ٨٥٢ هـ .

زيارة القبور

تندب زيارة القبور للرجال فى أى يوم من الأيام للعظة والاعتبار بجلال الموت ، وأهوال القيامة فيرق القلب ، وتدمع العين ، وتتدارك النفس ما فات ، وتزهد فى الدنيا ، وترغب فى الآخرة . فضلا عن أن الموتى ينتفعون بالدعاء والاستغفار لهم والسلام والترحم عليهم من الزائرين ، والائتناس بهم وسؤال العافية لهم لقوله عليه الصلاة والسلام : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة) .

(رواه الإمام مسلم والترمذى)

وفى رواية : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى ألا فزوروها فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً) .

(رواه الحاكم وابن النجار)

وفى سنن ابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة . وكان عليه الصلاة والسلام يزور قبور أهل البقيع بالمدينة مراراً ، ويسلم عليهم ، ويدعو لهم ، ويزور قبور الشهداء بأحد كل حول مرة . فإذا وصل إليها قال : السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب عن محمد بن واسع(١) قال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده ، وحدث سفيان الثورى(٢) فقال : بلغنى عن الضحاك أنه قال : (من زار قبراً يوم

---

(١) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدى البصرى التابعى الزاهد ، روى عن أنس بن مالك وغيره . توفى سنة ١٢٧ هـ .

(٢) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى ، وقيل له : الثورى نسبة إلى ثور بن عبد مناة أحد أجداده وهو من تابعى التابعين . ولد سنة ٩٧ هـ ، وروى عن أعلام التابعين ، ومن أقرانه : الإمام مالك ، والأوزاعى ، وشعبة ، وسفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث ، وكان لا يسمع شيئاً إلا حفظه وهو من أرباب المذاهب المقلدة ، كان له أتباع يفتون بمذهبه مثل الأشجعى والمعافى بن عمران وغيرهما . توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ .

السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة) .

وقال ابن القيم : الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور ، وسمع سلامه ، وأنس به ورد عليه ، وهذا عام فى حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت فى ذلك . قال : وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت ، وبذلك تعلم أن الزيارة لا تخص بوقت دون وقت ، ولا بيوم دون يوم .

وسبب النهى عن زيارة القبور فى صدر الإسلام ، هو أن المسلمين كانوا حديثى عهد بالكفر ، ثم لما انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصار المسلمون أهل يقين وتقوى أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى زيارتها .

وأول من زار القبور فى الإسلام هو رسولنا صلى الله عليه وسلم ، وقدوتنا الذى نقتدى به ، ونقتفى آثاره فأول زيارة له على ما أعلم للقبور هى زيارة قبر أمه عليه الصلاة والسلام .

وكما تندب زيارتها للرجال تندب أيضاً للنساء للمعانى السابقة بشرط أمن الفتنة منهن ، وعدم اشتمال الزيارة على محرم من ندب ونياحة ، وخلاعة ومجون لأن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كيف يا رسول الله إذا زرت القبور ؟ قال : (قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) ؛

وكانت رضى الله عنها تزور قبر أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه بمكة ، كما كانت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها تزور قبر عم أبيها سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه سيد الشهداء كل جمعة بأحد بالمدينة المنورة .

أما إذا كانت زيارتهن لا يؤمن منها الفتنة ، أو اشتملت على محرم فحينئذ تحرم وتمنع منها المرأة منعاً باتاً كما يفعله نساء القاهرة فى زماننا حيث يخرجن إلى المقابر بخلاعة وسفور ، وبهيئة فاضحة يندى منها جبين الحياء ، وتنتحب لها الفضيلة . وهناك فى المقابر يختلط الشبان بالفتيات وينظرون إليهن نظرات أثيمة ويشيرون إليهن بإشارات شيطانية ، هناك يختلط الحابل(1) بالنابل ،

---

(1) الحابل : صاحب الحبلة (بكسر الحاء) التى يصاد بها الوحش ، والنابل : صاحب =

هناك يأكلن ويشربن ، ويقمن ويقعدن وينمن على المقابر ويمكثن فيها أياماً في مواسم خاصة معروفة عند أهل مصر ، وهل من العظة والاعتبار أن نجعل القبور بدل الدور والقصور . وننقل إليها المأكل والمشرب ، ونقيم بها اليوم واليومين والثلاثة ، أو نحيلها مسرحاً من مسارح الشهوات ، وأمكنة للفسوق والدعارات ؟

وإذا كانت زيارة القبور بهذه المثابة فتركها مطلوب محتم ؛ لأن ضررها أشد وأعظم . وفيها إغضاب رب العالمين ، وإزعاج من أودعناهم القبور ، ودفناهم تحت الثرى والصخور .

وعلى هؤلاء الزائرات تنزل اللعنات من الله والملائكة ، وتحفهن الشياطين من كل جانب وعلى تلك الزيارة يحمل الحديث النبوى الشريف : (لعن الله زوارات القبور) ، (بفتح الزاى وتشديد الواو جمع زواة بمعنى زائرة) .

قال القرطبي : اللعن المذكور فى الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة كما تقتضيه الصيغة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك . وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . قال الشوكانى فى نيل الأوطار : وهذا الكلام ينبغى اعتماده فى الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة فى الظاهر .

فإذا علمت أن زيارة القبور فى ذاتها مشروعة ومندوبة فسلم على الأموات عند وصولك إلى قبورهم ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يسلم عليهم فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع أسأل الله لى ولكم العافية « أى السلامة من سخط الله ومكروهات الآخرة ») ، وغير ذلك مما ورد فى السنة النبوية .

ثم قف بأدب واحترام ، واستقبل بوجهك قبر الميت الذى تريد زيارته ، واقرب منه كقربك منه حياً احتراماً له ، وادع له بالمغفرة والرحمة ، وتذكر

=النبل (بفتح النون) الصائد بها وذلك أن يجتمع الصائدون فيختلط أصحاب النبال بأصحاب الحبائل (أى الشباك) ، فلا يصاد شيء ، وإنما يصاد فى الانفراد وقولنا : اختلط الحابل بالنابل مثل يضرب فى اختلاط الأمر على القوم حتى لا يعرفوا وجهه .

هادم اللذات ، ومفرق الجماعات . وأنك ميت كمن فى القبور وتفكر فيما تصير إليه من ضيق اللحود . وصولة الدود ، وأنت لا تدرى ما تئول إليه من شدة الحساب ، وصعوبة الجواب . ليدخل قلبك الروع والخشية . والعظة والاعتبار .

كان الربيع بن خيثم إذا وجد غفلة خرج إلى القبور وبكى ، وقال : كنا وكنتم ، ويحيي الليل كله فيصبح كأنه من قبره (أى بعث من قبره) .

وإياك والجلوس على المقابر ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ، وتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر .

(رواه الإمام مسلم وأبو داود النسائى وابن ماجه)

وكذا الاستناد إليها ، فعن عمرو بن حزم قال : رآنى النبى صلى الله عليه وسلم متكئاً على قبر فقال : (لا تؤذ صاحب هذا القبر) .

(رواه الإمام أحمد)

وأحذرك من التبول والتغوط عندها ، وكثرة الضوضاء واللغط ، ومن كل ما يخالف الدين ، ويحول بين القلوب والخشية ، وبين الموتى والرحمة ، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن بعد أن تجلس بجوار القبر لتأدية القرآن على الوجه المطلوب بالسكينة والتدبر والاتعاظ ، ثم قل بعد القراءة : اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان ، أو إلى أهل المقابر . والأفضل أن يكون المقروء هو : « **قل هو الله أحد** » لقوله عليه الصلاة والسلام : (من مر على المقابر فقرأ : « **قل هو الله أحد** » إحدى عشرة مرة ، ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات) — (رواه الدارقطنى) . أو سورة يس لحديث : (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ ، وكان له بعدد من فيها حسنات) .

والحديثان ضعيفان ، ولكن يعمل بهما فى فضائل الأعمال .

واقصد أيها الأخ المسلم بزيارتك وجه الله تعالى ، وإصلاح القلب ، ونفع الميت بما يتلى عنده من القرآن والدعاء له ؛ واحذر من الطواف بالقبور والأضرحة ومن التمسح بها أو تقبيلها ؛ فإن ذلك خاص بالكعبة المشرفة ، واحذر أيضاً من إلقاء الشكاوى فى الأضرحة ، وشرح القضايا ، وطلب

الفصل من أصحابها ، فإن هذا عمل غير مشروع يأباه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب الأضرحة أنفسهم : **« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »** .

حكاية وعظية تناسب المقام :

قال مالك بن دينار(١) : أتيت المقابر يوماً لأنظر فى الموتى واعتبر . وأتفكر فيها وأتعظ ، فجعلت أجول بين المقابر وأنشد :

أَتيت القبور فنـاديتُهـا ... فأَين المعظَّمُ والمفتخِرْ
وأَين المـدلُّ بسـلطانه ... وأَين العزيز إذا ما قدرْ
وأَين الملبَّى إذا مـا دَعَـا ... وأَين المزكَّى إذا ما حَضرْ

قال مالك : فنظرت فإذا ببهلول بن عمر المجنون قاعد بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتّهل (أى يدعو ويتضرع إلى الله) وإلى الأرض فيعتبر (أى يتعظ) وعن يمينه فيضحك ، وعن يساره فيبكى . فقلت له : السلام عليك يا بهلول . فقال : وعليك السلام يا مالك بن دينار . فقلت له : أراك قاعداً بين القبور ، فقال : قعدت عند قوم لا يؤذوننى ، وإن غبت عنهم لا يغتابوننى ، فقلت له : أراك تنظر إلى السماء فتبتّهل ، وإلى الأرض فتعتبر ، وعن يمينك فتضحك ، وعن يسارك فتبكى ، فقال لى : يا مالك إذا نظرت إلى السماء تذكرت قوله تعالى : **« وفى السماء رزقكم وما توعدون »** فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتّهل ، وإذا نظرت إلى الأرض تذكرت قوله تعالى : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** . فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر ، وإذا نظرت عن اليمين تذكرت قوله تعالى: **« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش**

---

(١) مالك بن دينار : إمام تابعى جليل . ولد بالبصرة ومات بها سنة ١٣١ هـ ، روى عن كثير من الصحابة مثل أنس بن مالك ، وجلس فى مجلس الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وسالم بن عبد الله وغيرهم ، وكان رحمه الله زاهداً عزوفاً عن النساء ينطق بالحكمة التى تدور حول الزهد فى الدنيا ، والدعوة إلى العمل الصالح .

مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » . فحق لمن سمع هذه الآيات أن يضحك ، وإذا نظرت إلى الشمال تذكرت قوله تعالى : « **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لابارد ولا كريم »** . فحق لمن سمع هذه الآيات أن يبكى .

موعظة أخرى :

مر الإسكندر المقدونى(١) بمدينة قد ملكها غيره من الملوك فقال لحاشيته : انظروا هل بقى أحد من نسل ملوكها ؟ فقالوا : رجل يسكن المقابر . فأحضر فسأله الإسكندر عن إقامته بين المقابر فقال : أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء ، فقال له الإسكندر : هل تتبعنى فأحيي شرفك إن كانت لك همة ؟ فقال : همتى عظيمة إن أنلتنيها فقال : ما هى ؟ قال : حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى لا فقر معه ، وسرور لا مكروه فيه ، قال الإسكندر : ليس عندى هذا ، فقال دعنى ألتمسه ممن هو عنده .

فى صمت القبور عظات :

تحت هذا العنوان كتب أحد الكتاب ما يأتى :

ليت المترفين يتيقظون فى غفوتهم ، وينسلخون من أحضان أحلامهم ساعة من الزمن يعيشونها فوق المقابر ، وما أرق النفس حين تقف بين المقابر تطل على حاضرها ، وتبكى على المظلم من صفحات غابرها ، وترسل بين الأجداث المبعثرة أناتها ، وتنسلخ لحة من نزعاتها .

فوق المقابر نتساءل عن رفات صديق كان كالزَّنْبقة(٢) ، فطوح به

---

(١) هو الإسكندر الأكبر بن فيليب . ولد سنة ٣٥٦ ق م ، ثم تتلمذ للعالم الإغريقى الشهير أرسطو (المعلم الأول) فثقفه وعلمه ، ولقنه آداب الإغريق وأشعارهم ، وتولى عرش مقدونيا وعمره عشرون سنة ، وفى سنة ٣٣٢ ق م فتح مصر ، وأسس مدينة الإسكندرية فى السنة نفسها ، وسميت باسمه ، وخلدت ذكراه ، ومات سنة ٣٢٣ ق م بعد أن أسس امبراطورية عظيمة .

(٢) الزنبقة : واحدة الزنبق (بفتح الزاى وسكون النون وفتح الباء) نبات له زهر جميل طيب الرائحة .

الردى(١) فى وادى النسيان . قضى وخلف وجوهاً علاها الوجوم(٢) ، ونفوساً طوقتها الهموم . وهياكل تدرج فى هذه الحياة . وعن قريب أو بعيد ستكون نهب المنون . يطويها السكون .

فوق المقابر الجاثمة كأنها عجائز غاصت فى الرمال أقدامها . أو أيامى تعثرت فى معترك(٣) الحياة أحلامها ، تثور الذكريات ، وتتساقط العبرات ، ما أعظم خشوع النفس حين تجثو بين المقابر ، تفكر فى ظلماتها ، وتصغى إلى الصدى(٤) يتهدج فى جنباتها(٥) ، يذيع على الدنيا العبر ، ويرجّع فى لوعة تاريخ من غبر ، بين المقابر أصداء تهتف ، ورياح تصفر وتعزف . بين المقابر تذكر النفس بدنيا المال ، وبالحياة التى ثملت من مراشف(٦) الآمال .

ليتك يا نسل الطين ذكرت أنك خلقت من ماء مهين . فطرحت الأنفة والخيلاء فالعزة لله رب الأرض والسماء .

ليتك أيها المتأله(٧) الساخر ، ذكرت سكان المقابر . وأنك إلى ما صاروا إليه صائر ، إلى الوحشة ومرارة الندم ؛ وفحيح الأفاعى(٨) بين موج الظلم : **« يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى »** إنها الحياة كلها غرور وأحلام ، وسراب تتراقص فى طريقه الأوهام ، فهل اتعظ الإنسان قبل أن تدك الأرض وتزلزل الجبال ، وتجلجل صيحة الحق : **« ذلك يوم الخروج »** .

زيارة القبر النبوى

إعلم أن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام من أفضل المندوبات . وأعظم القربات ، وأشرف الغايات ، وكيف لا تكون كذلك ؟ وقد ضم هذا القبر

---

(١) طوح : ذهب ، والردى : الهلالا أى ذهب به الهلاك هنا وهنا .

(٢) الوجوم : الحزن الشديد .

(٣) تعثرت : سقطت ، ومعترك الحياة : ميدانها ، وأصل المعترك موضع الحرب .

(٤) الصدى : الصوت الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها .

(٥) يتهدج : يتقطع الصوت فى ارتعاش ، وجنباتها : نواحيها .

(٦) ثملت (بفتح الثاء وكسر الميم) : سكرت ، ومراشف : جمع مرشف ومعناه الرشف وهو أخذ الماء بالشفتين .

(٧) المتــأله : المتكلف الألوهية .

(٨) فحيح الأفاعى : أصواتها .

جسده الشريف ، وحوى بدنه الطاهر ، وهو خير بقاع الأرض وأفضلها .
وفي ذلك يقول الشاعر (من بحر الكامل) :

جزم الجميعُ بأَن خيرَ الأَرض
ما قد حاط ذاتَ المصطفى وحواها
ونعمْ لقد صدقوا بساكنها علتْ
كالنفس حين زكتْ زكى مأْواها

وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على زيارة قبره الشريف . وبالغ في الندب إليها بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : (من زار قبري وجبت له شفاعتي (١)) (رواه الدار قطني والبزار)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي (٢)) (أخرجه الدار قطني)

وقوله عليه الصلاة والسلام : (من جاءني زائراً لا تهمه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً) .

(رواه الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن)

فإذا صحت عزيمتك أيها المسلم على زيارة المسجد النبوي ، وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فاغتسل أو توضأ والغسل أفضل ، والبس نظيف ثيابك ، والجديد أولى وأفضل ، ثم اذهب إلى المسجد متواضعاً وخاشعاً أو متخشعاً معظماً لحرمة المدينة التي اختارها الله دار هجرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومهبط الوحي والقرآن ومنبعاً للإسلام والأحكام ، وأكثر من الصلاة والسلام على خير الأنام . فإذا دخلت المسجد فاقصد الروضة الشريفة ، وصل فيها

---

(١) روى عن ابن عمر ، وفي إسناده موسى بن هلال العبدي . قال أبو حاتم : موسى ابن هلال مجهول (أي العدالة) ، وقد صحح هذا الحديث ابن السكن ، وعبد الحق ، وتقي الدين السبكي .

(٢) أخرجه الدارقطني عن رجل من آل حاطب عن حاطب وفي إسناده الرجل المجهول ، وعن ابن عباس عند العقيلي مثله وفي إسناده فضالة بن سعد المازني وهو ضعيف ورواه أبو يعلى في مسنده ، وابن عدي في كامله ، وفي إسناده حفص بن أبي داود وهو ضعيف الحديث .

ركعتين تحية للمسجد ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن زيد المازنى الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)(١) ، وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة . ومنبرى على حوضى) ثم اذهب إلى القبر الشريف وقل بأدب وتواضع : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، يا رسول الله : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته . اللهم أعط سيدنا محمداً عبدك ورسولك الوسيلة(٢) والفضيلة . وابعثه المقام المحمود الذى وعدته) .

وهنا فى هذا المقام بعد أن تجعل وجهك للقبلة أن تسأل الله حاجتك ، وحسن الخاتمة ، والرضوان والمغفرة ، وإياك أن تقبل الجدار والنحاس ، وإياك أن تطوف بالقبر الشريف ؛ فإن الطواف خاص بالكعبة . ثم انتقل خطوة إلى يمينك للسلام على سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقل : (السلام عليك يا أبا بكر يا خليفة رسول الله ، وثانيه فى الغار ، جزاك الله عن أمة رسول الله خيراً) ، ثم تقدم خطوة إلى يمينك أيضاً للسلام على سيدنا عمر رضى الله عنه وقل : السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى أعز الله بك الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد خيراً) ، ومن طال عليه هذا اقتصر على بعضه وأقله : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك

---

(١) قال الطبرى : فى المراد بيتى قولان :
أحدهما : القبر كما روى مفسراً بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة .
والثانى : المراد ببيتى سكناه على ظاهره .

(٢) الوسيلة : المنزلة العالية فى الجنة التى لا تنبغى إلا له عليه الصلاة والسلام ، والفضيلة : المرتبة الزائدة على المخلوقين ، والمقام المحمود : هو مقام الشفاعة العظمى التى لا تكون إلا له صلى الله عليه وسلم .

وفائدة هذا الدعاء مع تحقيق مدلوله — له عليه الصلاة والسلام الامتثال ، أو ترتب الثواب الموعود لقائله ، وهو ثبوت شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقائله شفاعة مخصوصة كدخول الجنة مع السابقين ، وكرفع الدرجات وزيادة العطيات .

يا أبا بكر ، السلام عليك يا عمر) فقد روى نافع أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر ، وقال : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه) .

وإذا فرغت من الزيارة فأت الروضة الشريفة ، وأكثر فيها من الصلاة والدعاء . ثم اخرج من المسجد النبوى برجلك اليسرى .

ما قاله بعض الزائرين لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فى الجوهر المنظم للعلامة ابن حجر أن أعرابياً وقف على القبر النبوى الشريف وقال : (اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك ، والشيطان عدوك . فإن غفرت لى سر حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لى غضب حبيبك . ورضى عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك ، اللهم إن العرب إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره ، وأن هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين (، فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب . إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال .

وقدم أعرابى المدينة فدخل المسجد النبوى ثم وقف عند قبره عليه السلام فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : **«ولو أنهم إذظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً»**(١) . وجئتك مستغفراً من ذنبى ، مستشفعاً بك إلى ربى . ثم أنشد يقول : (من بحر البسيط) :

يا خيرَ من دُفنت بالقاع أعظُمُه
فطاب من طيبهنَّ القاعُ والأَكَم(٢)

نفسى فداءُ لقبر أَنت ساكنه
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .

(٢) القـاع : الأرض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال ، والأكم وهى قطعة من الأرض أو الرمل أرفع قليلا مما حولها .

أنت الشفيعُ الذى ترجى شفاعته

على الصراط إذا ما زلَّتِ القدم[1]

وصاحباكَ فلا أَنْساهما أَبدًا

منى السلامُ عليكمْ ما جرى القلمْ

زيارة جبانة البقيع :

إعلم أن جبانة البقيع أنشئت بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام بثلاثين شهراً .

فقد روى أن سيدنا عثمان بن مظعون أول من دفن فيها وكان قد مضى على الهجرة سنتان وستة أشهر . ويقال للبقيع . بقيع الغرقد (بفتح الغين وسكون الراء وفتح القاف) لأنه كان ينبت به الغرقد (وهو شجر عظام من العضاة . أو هو العوسج إذا عظم واحدته غرقدة) ثم قطع هذا الشجر ، ودفن فيه الرسول الموتى من المسلمين ، ولا يزال إلى الآن يدفن فيه الموتى من سكان المدينة .

فالبقيع : مقبرة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم . وهى تقع شرقى المسجد النبوى على بعد خمس دقائق تقريباً .

والبقيع : مكان طيب ، وتربة مباركة فقد ضمت كثيراً من الأجساد الطاهرة . والأنفس الزكية .

روى أنه دفن به نحو عشرة آلاف من الصحابة . كما دفن به كثير من التابعين ، وآل البيت ، والشهداء والصالحين . فمن الصحابة عثمان بن مظعون . والعباس بن عبد المطلب وأخته صفية بنت عبد المطلب . وبنات الرسول الأربع ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان . والحسن بن الإمام على . وكل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ما عدا السيدة خديجة رضى الله عنها فإنها دفنت بجبانة المعلى بمكة المكرمة . وكان موتها قبل الهجرة . وما عدا السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية فإنها دفنت بموضع يقال له :

---

(١) زلت القدم : سقطت . والقدم مؤنثة وليست مذكرة .

سرف (بفتح السين وكسر الراء) . يبعد هذا الموضوع عن مكة بخمسة عشر كيلو مترا بوصية منها ، ومن آل البيت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى زين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وجعفر الصادق بن محمدالباقر

وممن دفن بالبقيع من آل البيت الأمير جمال الدين جماز الكبير بن عز الدين قاسم بن مهنا من ذرية سيدنا الحسين وجد الأشراف الذين يسكنون بمدينة قنا وضواحيها ، والمتوفى سنة ٦٠٠ هجرية .

وممن دفن بهذه الجبانة الفيحاء ، سيدنا نافع مولى ابن عمر وشيخ القراء وهو من التابعين . وكذلك الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة . وتلميذ نافع وهو من أتباع التابعين وغيرهم من أولياء الله الصالحين . وعباده المتقين.

(وبعد) : فأى بقعة من بقاع الأرض ضمت من الصحابة والتابعين . وأتباع التابعين . وآل البيت الطاهرين . وعباد الله المخلصين مثل ما ضمته جبانة البقيع ، وأى مكان أولى بالزيارة من البقيع . بعد زيادرة القبر الشريف والمكان الذى ضم جسد أفضل مخلوق ، وأكرم رسول عرفته البشرية .

إذا علمت أيها المسلم ذلك فأكثر وأنت بالمدينة من زيارة البقيع ، واذهب إليه عقب زيارتك للقبر النبوى بعد السلام على رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم . وهناك قل : كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند زيارته للبقيع : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . أنتم السابقون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل البقيع اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم) .

ثم اذهب فى يوم الخميس من كل أسبوع إلى أحد ، فإذا وصلت إليه فزر قبور الشهداء هناك . وابدأ بقبر سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الملقب بأسد الله وقل « **سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** » . (سلام عليكم دار قوم مؤمنين . أنتم السابقون ، وإنا إن شاء الله لاحقون) واقرأ آية الكرسى وسورة يس ، وسورة الإخلاص ثم هب ثواب ما قرأت للشهداء . وتذكر ما لاقاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى موقعة أحد .

وضع الجريد الأخضر ونحوه على القبر :

الأصل فى ذلك ما ورد فى السنة كما فى البخارى أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم مر بحائط (أى بستان) من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما . فقال النبى صلى الله عليه وسلم (يعذبان وما يعذبان فى كبير . ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستنزه من بوله . وكان الآخر يمشى بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين . فوضع على كل قبر منهما كسرة . فقيل له : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا) .

وإزاء ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من وضع الجريدة على القبرين بعد كسرها كسرتين اختلف العلماء .

فمنهم من قال : إن ما فعله صلى الله عليه وسلم كان خصوصية له . لأنه عليه الصلاة والسلام غرز الكسرتين من الجريدة بأمر مغيب عنا وهو تعذيبهما أن الحديث محمول على أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداوة فى الكسرتين لا أن فى الرطب معنى ليس فى اليابس .

على أنه لم يؤثر عن جمهور الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم فعلوا أو أوصوا بذلك اللهم إلا بريدة بن الحصيب ، وعلى هذا القول لا يجوز لأحد أن يضع جريداً أو ورداً أو ريحاناً أو نحوها على القبور .

ومنهم من قال : إن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام ليس خصوصية له بل هو عام له ولغيره من الأمة ، والدليل على ذلك أن بريدة بن الحصيب أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فهم عدم الخصوصية فاقتدى بالرسول عليه الصلاة والسلام فى ذلك ، وأوصى بأن يوضع على قبره بعد دفنه جريدتان . وأن الحكمة فى ذلك أن الجريد يسبح الله تعالى ما دام رطباً فيحصل تخفيف العذاب ببركة التسبيح .

وعلى هذا فيطرد الحكم فى كل ما فيه رطوبة من شجر أو زرع وكذا فيما فيه بركة كالذكر وتلاوة القرآن من باب أولى .

ونحن إذا أنعمنا النظر فى الرأيين وجدنا الرأى المجوز أرجح لأن بريدة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصى بأن يوضع على قبره جريدتان ولم ينكر عليه أحد . ولو كان هناك من أنكر عليه لوصل إلينا ، ولا سيما وقد بقى هذا العمل إلى وقتنا هذا بدون نكير .

مالا ينفع الميت من الأعمال

فمما لا ينفع الميت من الأعمال ما يأتيه أهله وأقاربه من أشياء تخالف الدين الإسلامى ، وتتنافى مع سماحته وهى لا تفيد الميت ولا تنفعه . وإنما تضر الحى وتؤلمه . وتعرضه لسخط الله وبغضه . وعدم رضاه فمن ذلك :

١ ـ أن المحتضر الذى دنت روحه للخروج من جسده يجتمع حوله أهله وبعض جيرانه . وبدل أن يلقنوه الشهادتين ، ويقرءوا عنده ما تيسر من القرآن الكريم ليسهل عليه خروج روحه يسمعونه أصواتاً مزعجة . وصيحات منكرة فإذا أسلم روحه لبارئها ، وخرجت من جسدها زاد الصخب والضوضاء . وعلا النحيب والبكاء ، وصدرت كلمات من الأفواه كعادة أهل الجاهلية مثل قولهم : (واجملى ، ويا جسرى ، ويا كبدى ، ليس هذا يومك يا حبيبى) وشاهدت نساء قد تجمعن فى رحبة منزل الميت أو خارجه ثم قامت وسطهن نائحة نادبة ويقال لها (معددة) تردد كلاماً ما أنزل الله به من سلطان . وتقول فحشاً وهجراً فتلهب فى نفوسهن الحزن والأسى ، وتثير عواطفهن . فيلطمن خدودهن ويشققن ثيابهن ، ويضعن فوق رءوسهن طيناً . وعلى وجوههن أصباغاً ، ويشددن فى وسطهن حبلا طويلا . وفى كل هذه المعمعة يصحن ويولولن بأصوات تزلزل القلوب . وتزعج النفوس ناسيات قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب . ودعا بدعوى الجاهلية) . وما فعله عمر مع النادبة التى ضربها حتى سقط خمارها وقد تقدم ذلك .

والداهية الكبرى ، والمصيبة العظمى اجتماعهن فى منزل الميت ثلاثة أيام أو سبعاً أو أكثر للندب والنياحة كعادة أهل الريف والقرى ، والواجب اتباع السنة عند وقوع المصيبة بالتزام الصبر ، وتجنب رفع الصوت ، والتسليم لقضاء الله وقدره ، قال عليه الصلاة والسلام : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) . وأن نقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها) أو (إن لله ما أخذ . وله ما أعطى . وكل شىء عنده بأجل مسمى) .

٢ - مغالاة أهل الميت فى كفنه ، وفى ذلك إسراف ممقوت . وخروج على ما رسمته السنة من نظام الكفن . ولا ينفع الميت اللهم إلا القدر المسنون من الكفن والزائد على هذا يضر الحى . والحى أولى من الميت .

٣ - ومن البدع أيضاً سير الجنود والفرسان أمام الجنازة بخطا منظمة . وحركات مرتبة لإعلاء شأن الميت . وتفخيم أمره . والإشادة بذكره . أو سير جماعة أمام جنائز الشبان يلبسون زياً خاصاً . ويمشون مشياً معروفاً . وبأيديهم المباخر والأباريق . والبعض منهم بأيديهم موسيقا ترسل نغمات تثير لواعج الحزن . وتبعث فى النفوس الأسى . وتترك فى القلوب التحسر والتفجع . أو سير المنشدين أمام الجنازة وهم يرددون عبارات من البردة . ودلائل الخيرات. أو يهللون . أو يذكرون بأصوات مزعجة خارجة عن حد اللياقة لا تليق بمقام الموت وما ينبغي له من العظة والاعتبار ، إذا سألتهم عن ذلك قالوا : نفعل ذلك للفرق بين جنازة المسلم والكافر . هؤلاء قد قلبوا الأوضاع وخالفوا السنة.

٤ - ومن البدع المذمومة ما يفعله الجهلة من ضرب الكأس ، ورفع الأعلام السوداء أمام الجنازة بصورة مزرية ، وأصوات مزعجة ، والدق بالطبل الكبير ، والتزمير بالمزمار البلدى فى جنازة نحو صغير مات قبل الختان جزعاً عليه وتحرقاً لموته قبل ختانه ، وما درى أهله أن فعلهم هذا حرام من وجهين الجزع ومزمارة الشيطان . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فيجب على الحاضرين إنكار ذلك ومنعه .

٥ - ومن ذلك الإسراف فى الحفلات التى تقام للميت فى يوم وفاته وبعده إلى ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة وفى كل يوم من الوفاة وحفلة الأربعين والذكرى السنوية إلى غير ذلك .

وفى هذه الحفلات تنفق الأموال الطائلة ، وتبدد ذات اليمين ، وذات الشمال بدون وعى ، ومن غير حساب . فمن سرادقات تنصب ، وسجاجيد تفرش ، وكراسى تصف مذهبة وغير مذهبة ، ومصابيح كهربائية داخل السرادقات وخارجها تضىء بأنوار ساطعة ، متلألئة . فتحيل الظلام إلى ضياء؛ والليل إلى نهار . إلى لفافات التبغ والطباق (السجاير) توزع على المعزين ، وكتاب الله يتلى عليهم ، والتنافس فى إحضار كبار القراء بأجر باهظ يقرءون من القرآن الكريم ما يشاء لهم الهوى ، وينتقلون من أوائل السور إلى أواخرها ،

فيقطعون أوصال الآيات المنظومة فى عقد واحد ، وفى موضوع واحد من التمطيط والمغالاة فى المد المتصل والمنفصل ، واللازم والعارض للسكون .

ويكررون الآية الواحدة بأوجه مختلفة ، وفى كل مرة بنظام خاص . فقد يرفع فيها القارئ الصوت . وقد يخفضه ،وقد يتغنى فى قراءته ،وقد يخرج عن حدود القراءة الشرعية . والقرآن فى كل هذا يلعنه قال رسول الله) رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) .

والمعزون يطلقون أصواتهم بالاستحســـان بصوت القارئ ولو كان فى الآية وعيد شديد . وعذاب أليم ، وذكر جهنم وبئس المصير . فتشعر وأنت جالس فى أحد السرادقات كأنك فى حفل عرس وزفاف . لا فى حفل ميت ترك الديار وسكن المقابر ، وطرح الدنيا وزخارفها وراءه ظهريا .

يبذل أهل الميت فى هذه الحفلات المتعددة الأموال الكثيرة وهم فى أشد الحاجة إليها . وكثيراً ما يكون فى الورثة صغار ويتامى هم فى حاجة إلى الرعاية ، وحفظ الأموال لهم فى مستقبل الزمان لإصلاح معيشتهم ، وشئون حياتهم ، والأخذ بأيديهم . وتربيتهم التربية الصحيحة فهم أولى بهذا المال . وأحق بهذا التراث .

فلا يليق بأهل الميت أن يخسروا المال مع فقد عزيز لديهم فيكونوا من : **« الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .**

يفعل ذلك أهل الميت تفاخراً ،ورغبة فى الشهرة ،وحباً فى الرياء والسمعة ، أو دفعاً للملامة والمعرة ، أو استحياء من الناس ، أو البعد عن القيل والقال .

ومن العجيب أن الميت لا يناله من كل ذلك رحمة أو حسنة . ولا جزاء أو مثوبة ؛ وأن الحى لا يناله إلا المضرة والخيبة ، والحسرة والندامة . وليعلم أهل الميت أنهم لو قرءوا فاتحة الكتاب قراءة صحيحة شرعية . وأهدوا ثواب القراءة لميتهم لوصل ثواب ذلك إلى الميت ونفعه ؛ ولكان هذا أيضاً خيراً من تلك الحفلات التى يقرأ فيها القرآن بأجر ولا سيما إذا كانت القراءة غير شرعية وغير متقنة .

(وبعد) : فإنى أنصح للقارئين فى المآتم وغيرها بألا يخرجوا بقراءتهم عن الحدود الشرعية بالتمطيط الفاحش ، والتغنى الزائد ، وتقطيع أوصال

الآية أو الآيات ، وإخراج الحروف عن أوضاعها العربية حتى يقع النقص والزيادة ، ويختل نظم القرآن ، وتذهب روعته ، وعليهم أن يتجنبوا التكرار لغير ما سبب مقبول فقد أصبح التكرار عند قراء القاهرة وغيرها عادة متغلغلة فى نفوسهم ، وله لديهم نغم مخصوص ، وأصوات متنوعة . تسمعها من القارئ الواحد فى الآية الواحدة بل فى بعض الآية وعليهم أيضاً أن يتقنوا قراءتهم ، ويجودوا تلاوتهم وأن يحسنوا الوقف والابتداء فى القراءة .

فقد سمعت بأذنى وأنا بالقاهرة فى حى بولاق واحداً من القراء يقرأ من سورة التحريم فى سرادق فخم قول الله عز وجل : « **ومريم ابنة عمران** » فوقف على كلمة عمران ثم ابتدأ فقال : **التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ...** » الآية .

فتألمت وقلت : يا سبحان الله ؟ كيف وصف هذا القارئ عمران هو أبو السيدة مريم رضى الله عنها بصفة الأنثى ؟

وسمعت آخر فى مدينة القاهرة أيضاً فى حفل جامع ، وسرادق كبير يقرأ من سورة مريم قوله تعالى : « **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء** » فوقف على سوء ، ثم ابتدأ فقال : « **أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً** » .

فقلت : سبحان الله . هذا بهتان عظيم ، الله عز وجل ينفى السوء عن عمران والد السيدة مريم رضى الله عنها البتول ، العفيفة أصلا وذاتاً . (على لسان قومها) ، وهذا القارئ يثبت للسيد عمران السوء الذى قد نفاه الله عنه .

أيها القارئ : لكتابى لم أكن متقولا ، ولا متجنياً على هؤلاء القارئين ، وحسبى الله على ما أقول ، وكفى به شهيداً .

وأنصح لهم أيضاً أن يرضوا باليسير من الأجر ، وألا يجعلوا كتاب الله عرضة للمساومة ، والأخذ والرد ، والجشع والطمع ، فقد يأخذ بعض القارئين المشهورين مائتى جنيه مصرى فى الليلة الواحدة أجرة على قراءته ربعين من القرآن . ورحم الله قارئاً من قراء الصعيد قد أعطى له من غير قصد مليم أحمر أجرة على تلاوته فأخذه راضياً قانعاً بما قسم الله له . ثم جاء المعطى فى صباح اليوم التالى يقدم إلى هذا القارئ جنيهاً ذهبياً مع الاعتذار الشديد إليه قائلا له : يا سيدى الشيخ : كنت وضعت المليم والجنيه معاً فى جيبى ، ثم أعطيتك المليم خطأً بدل الجنيه .

فحلف هذا القارئ الكريم . والشيخ القانع ألا يأخذ إلا المليم وقال :

هذا نصيبي الذى أعطانيه الله فلا آخذ سواه ، فعظم شأن هذا الشيخ عند ذلك الرجل ، وعند الناس . وبارك الله فيه وفى أولاده .

كما أنصح لكبار الورثة ، وللأوصياء أن يخافوا الله فيما تركه الميت من أموال ، وما خلفه من ثروة بأن يراعوا فيه حق الورثة الصغار ومن لا رشد عنده ، واليتامى الذين لا حول لهم ولا قوة فلا يبددوا أموالهم فى مثل حفلات المآتم الآثمة التى تتجلى فيها المظاهر الخداعة الكاذبة . والرياء والسمعة . والمباهاة والافتخار حتى لا يكونوا من الذين قال الله فيهم : « **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** » .

ومن ذلك أيضاً عقر ذبيحة أمام نعش الميت عند خروجه من داره تحت عتبة الدار أو عند قبره رياء وسمعة ، وفخراً ومحمدة . وهذا منهى عنه شرعاً لقوله عليه الصلاة والسلام : (لا عقر فى الإسلام) بفتح العين وسكون القاف —

فقد كان يعقر فى الجاهلية (أى يذبح أو ينحر) عند القبر بقرة أو شاة أو بعير . حتى يقال : إن الميت كان مطعماً بعد مماته كما كان مطعماً فى حياته.

والحكمة فى النهى أن فى الذبح على هذه الحالة المتقدمة تشبيهاً بالقرابين التى كانت تقدم فى الوثنية للآلهة ، ورياء ومباهاة ، فليس المقصود به وجه الله تعالى :

وليس من السنة أن يصلح أهل الميت الطعام لمن يجتمع عندهم : قال الإمام أحمد : هو من فعل الجاهلية . وأنكره إنكاراً شديداً .

وروى ابن ماجه والإمام أحمد بإسناد صحيح عن جرير(١)بن عبد الله البجلى (نسبة إلى بجيلة على وزن حنيفة اسم أم القبيلة) قال : (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة) لما فى ذلك من التثقيل

---

(١) أسلم جرير بن عبد الله البجلى قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً ، وضربه الرسول صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال له : (اللهم اجعله هادياً مهدياً) ، وكان حسن الصورة . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (جرير يوسف هذه الأمة) ، وكان له فى الحروب بالعراق القادسية وغيرها أثر عظيم ، وكانت قبيلة بجيلة متفرقة فجمعهم سيدنا عمر رضى الله عنه وأمر عليهم جريراً ، فسار بهم إلى العراق وأقام بالكوفة ، ثم خرج منها فى خلافة الإمام على ، وتوفى سنة ٥١ هـ .

على أهل الميت وشغلهم مع ما هم فيه . ولمخالفته السنة . بل من السنة ان يصلح جيران الميت والأباعد من اقاربه طعاماً لأهل الميت يشبعهم يومهم وليلتهم ، ويلحون عليهم فى الأكل لأن الحزن يمنعهم من ذلك فيضعفون .

فقد روى عبد الله بن جعفر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اصنعوا لآل جعفر (١) طعاماً ، فقد أتاهم ما يشغلهم) (رواه أبو داود والترمذى) وحسنه . قل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد سيدنا جعفر بن أبى طالب فى غزوة موئتة : (بضم الميم وسكون الهمزة أو تحريكها بالفتح) سنة ثمان من الهجرة .

ولقد شاهدت بنفسى فى بلادنا بالصعيد فى محافظة قنا أن أهل الميت يذبحون الخرفان وغيرها ، ويقدمون الموائد ذات الأصناف العديدة ، والأطعمة اللذيذة واللحوم الشهية لمن يأتى إليهم معزياً من بلاد قريبة لا تتجاوز المسافة بين هؤلاء وهؤلاء أكثر من عشرة كيلومترات ويفرغون أنفسهم شيوخاً وكهولا ، وشباناً وصغاراً لمقابلة من يعزيهم من بعد طلوع الشمس بساعتين تقريباً إلى منتصف الليل مدة أسبوع بل أزيد ، ثم يطوفون على المعزين جماعة فى صف واحد كل فرد من هذه الجماعة يحمل عُلبه (بضم العين) من التبغ (السجاير) وكثيراً ما يكون فى حاجة شديدة إلى ثمنها فيقدمها للمعزين ليأخذ كل معز لفافة واحدة من هذا التبغ . وبعض المعزين لا يتورعون من أخذ لفافات متعددة فى الجلسة الواحدة .

ومن العجيب أن هذا البعض يتورعون من تناول القهوة التى تقدم لهم ، لأنهم يرون فى شربها غضاضة ولا يتناسب مع جلال هذه المصيبة بينما يأخذون السجاير بشغف ورغبة أكيدة فكأنهم يحرمون القهوة ويحلون السجاير .

---

(١) هو سيدنا جعفر بن أبى طالب شقيق الإمام على وأكبر منه سناً ولكنه أسلم بعد الإمام على بقليل ، وهو ذو الهجرتين وذو الجناحين لأن النبى عليه الصلاة والسلام رآه بعد قتله يطير فى الجنة بجناحين مضرجين بالدماء فلقب بذلك . وولد قبل البعثة باثنى عشر عاماً ، وتوفى شهيداً فى غزوة مؤتة فى السنة الثامنة من الهجرة وفى هذه الغزوة قطعت يمينه أولا فأخذ لواء الحرب بشماله فقطعت فاحتضن اللواء بعضديه فضربه الروم بسيوفهم حتى قطعوه نصفين ، ولما أقبل عليه المسلمون وجدوا فى بدنه تسعين ضربة ما بين طعنة رمح ، وضربة سيف - رحمه الله ورضى عنه .

وكان الأجدر بهؤلاء ألا يقبلوا شيئاً من ذلك فإن المآتم لم تجعل للأكل والشرب والتدخين ، والضيافة .

هؤلاء الذين قد أصيبوا بموت فرد منهم يتركون أعمالهم وزراعتهم ، وشئونهم الدنيوية ويستمرون على ذلك أياماً وأياماً غير مفكرين فيما يترتب على هذا الترك من أضرار جسيمة ، وإتلافات بليغة ، وضياع للثروة المترقبة من زرعهم الذى هو عماد معيشتهم ، وثروتهم فى الحياة .

ولقد رأيت بنفسى فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى قبيلة فى الصعيد مات منها رجل إبان جنى القطن فقامت تلك القبيلة على بكرة(١) أبيها ، وبقضها(٢) وقضيضها ، بشيبها(٣) وشبانها ، مجندين لمقابلة من يأتى إليهم معزياً ، وتقديم السجاير والقهوة ، والأكل لبعض المعزين طارحين وراءهم ثمار القطن المتفتحة وقتذاك تعلن صارخة وكأنها تقول : أنا الذهب الأبيض ، أنا الثمرة المرجوة ، قطوفى دانية ، ونفعى عميم . أدر عليكم الأموال وأملأ بيوتكم بالخيرات ، هيا اقطفونى سريعاً ، واجنوا ثمرى على جناح البرق فإن نيل مصر قد دق أجراسه بالخطر الداهم ، والفيضان الكاسر ولكن كما قال الشاعر :

لقد أسمعتَ لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادى

فهم فى مأتمهم غارقون ، وفى مصيبتهم منغمسون ، ولسان حال النيل يقول : أيها المزارعون : أحذركم من بطشى وفتكى ، وغدرى واعتدائى ، لا أرحم فيكم مصاباً ، ولا شيخاً قد بلغ من الكبر عتياً ، ولا كهلا قوياً ، ولا شاباً فتياً ، ولا طفلا رضيعاً ، ولا أماً حنوناً ، ولا أباً رحيماً ، ولا أخاً مواسياً ، ولا زرعاً مثمراً ، ولا قطناً متفتحاً .

---

(١) البكرة (بفتح الباء وسكون الكاف) الجماعة ومنه : « جاءوا على بكرة أبيهم » : أى لم يتخلف منهم أحد .

(٢) القض (بفتح القاف وتشديد الضاد) : صغار الحصى وما تفتت منه ، القضيض : هو كبار الحصى ، يقال : (جاء القوم قضهم وقضيضهم) : أى جميعهم ومعناه هنا أن القبيلة جميعها تركت أعمالها ، واهتمت بالمأتم ، ولم تهتم بغيره .

(٣) الشيب (بكسر الشين وسكون الياء) : جمع لأشيب وهو المبيض شعر الرأس .

ثم طغى الماء على أمر قد قدر . فأغرق أشجار قطن هؤلاء المصابين . وغمر لوزها المتفتح . وقضى على محصولهم المترقب . وثمرتهم المرجوة .

كل هذا كان أثراً لتركهم أعمالهم . وتجنيدهم أجمعين للكارثة الكبرى التى حلت بهم ، وبالطبع عضوا أصبع الندم ، وضربوا كفاً على كف بعد الانتهاء من أيام العزاء ، ولكن لات ساعة مندم ، وصدق المثل العامى : (موتة وخراب ديار) .

فهل خسارة أعظم من هذه الخسارة ؟ وخراب للديار أعظم من هذا الخراب ؟

ومن ذلك البناء على القبور وحولها ، كالقباب المقامة على بعض قبور الصالحين وكالحيشان المعروفة فى قرافة الإمام الشافعى وغيرها . :

هذه البدعة تضر الحى ولا تنفع الميت ، فقد ورد فى مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقعد على القبور ، وأن تقصص (أى تطلى بالقصة بفتح القاف وتشديد الصاد وهى الجير المعروف) أو يبنى عليها ، وفى رواية أن تجصص .

والحكمة فى النهى أن القبر للبلى والفناء ، لا للدوام والبقاء ، وأن تقصيصه أو تجصيصه من زينة الدنيا وزخارفها ولا حاجة للميت إليها ، وهذا النهى محمول على الكراهة التحريمية إذا لم يقصد بالبناء الزينة والتفاخر والرياء والسمعة وإلا كان ذلك حراماً وإثماً مبيناً .

قال يحيى (١) الغزال الشاعر الأندلسى فى مقابر الأغنياء والفقراء مما فيه حكمة :

---

(١) يحيى الغزال : شاعر أندلسى ، لقب بالغزال لحسن شكله وجماله ، كما لقب بشاعر الأندلس ، وكان إلى جانب هذين اللقبين يعرف بأنه حكيم لأنه كان يحسن التصرف فى الأمور وفى الكلام ، وإذا فوجىء بكلام خطير عرف كيف يرد عليه ويخلص من المآزق .

ولهذه الخصلة عين سفيراً لخمسة من الخلفاء الأمويين بالأندلس لدى بعض الدول الأجنبية ، أولهم : عبد الرحمن الثانى ، وآخرهم : محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . وعمر هذا الشاعر طويلا فعاش إلى أربع وتسعين سنة كان يقول فيها الشعر .

أرى أهل اليسار إذا توفوا[1]

بَنَوْا تلك المقابرَ بالصخور

أبوا إلَّا مباهاةً وفخرًا

عَلَى الفقراءِ حتَّى فى القبور

فإن يكنِ التفاضلُ فى ذراها

فإنَّ العدْل فيها فِى القعور

لعمرُ أَبيهمو لوْ أبصرْوعا

لما عرفوا الغنىَّ من الفقير

ولا عرَفوا العبيدَ من الموالِي

ولا عرفوا الإناث من الذكور

ولا منْ كان يلبسُ ثوب صوف

منَ البدنِ المباشِر للحرير[2]

إذا أكل الثرىَ هذَا وهذا

فما فضلُ الكبير على الحقير

هذا وبناء المقابر وتشييدها والبناء عليها عادة قديمة جداً ورثها المصريون عن أجدادهم الفراعنة ؛ فمن المعروف تاريخياً أن قدماء المصريين عنوا بتشييد مقابرهم . واهتموا بها اهتماماً عظيما ، فبنوها بالأحجار فى الوقت الذى كانوا

---

(١) فى رواية :

* إذا أميتو . .

وهذه القصيدة من بحر الوافر .

(٢) البيت فى رواية هكذا :

ولا الجلد المباشر ثوبِ صوف ولا الجسد المنعم بالحرير

يبنون فيه دورهم من قوالب اللبن (الطوب الذى لم يحرق) ثم تفننوا فى تزيينها بالنقوش والزخارف ، فأودعوا فيها متاع الميت ، وما كان يحبه فى حياته من أنواع الطعام والشراب واللباس واعتقاداً منهم أن الروح تعود إلى الجسد بعد الموت ليحيا الإنسان بعد ذلك حياة خالدة ، وأن الميت إذا عادت إليه روحه استطاع أن يتمتع بما كان يحبه ويتمتع به فى حياته الدنيوية ، ولكى تبقى الروح متمتعة بالحياة يجب أن يكون الجسم بعد الموت باقياً على صورته ؛ ولذا عملوا على تحنيط موتاهم ، وبناء المقابر الحصينة لها كى يحفظ الجسم بها من أيدى العابثين ، وقد بلغ الأمر بقدماء المصريين أن بنوا مقابرهم من طبقتين إحداهما فى أسفل الأرض ، والأخرى فوقها ، وكان البناء يطلى من الخارج بطبقة من الطين ، تعلوها أخرى من الجير ، وكانت تدهن بلون الخشب ، ثم تطورت تلك القبور فأصبحت تبنى لها مقاصير .

أما قبور الملوك فحدث عنها ولا حرج فقد شيدوها بالأحجار الضخمة ، وأنفقوا الكثير من الأموال على بنائها ، وأحكموا أبوابها وسراديبها إحكاماً متيناً حتى لا يسطو اللصوص على تلك المقابر فيسلبوها كنوزها وما أودع فيها :

وما أهرام الجيزة (التى لا تزال إلى اليوم شامخة بأنوفها ، تتيه فخاراً وعجباً ببنائها ونظامها وهندستها ، وتطل على القاهرة وضواحيها بعظمتها وفخامتها وهى رابضة فى مكانها ، كالطود العظيم لا تخاف عاديات الزمان ، ولا صروف الأيام) — إلا مقابر لبعض ملوك الفراعنة ، ومدائن لهم كالملك خوفو وخفرع ومنقرع .

طريقة أهل عنيزة فى الجنائز والمقابر(١) :

لقد أعجبتنى طريقة أهل عنيزة بنجد فى جنائزهم ومآتمهم ومقابرهم ، فرأيتهم لا يصيحون ولا ينوحون ، ولا يأتون فيها منكراً من القول وزوراً ،

---

(١) عنيزة (بالتصغير) من أهم المدن فى القصيم بنجد ، تقع فى سهل رملى وهى ذات مبان ضخمة تشبه الحصون والقلاع ، تحيط بها المزارع وأشجار النخيل التى تعطى تمراً شهياً ، شديد الحلاوة ، وقيمته الغذائية كثيرة جداً ، وتشتهر عنيزة بالتمر السكرى ، وغيره ، لقبها الكاتب اللبنانى (أمين الريحانى) بباريس نجد ، بها نخبة من العلماء الأفاضل ، وكثير من الطلاب الأذكياء .

يمشون فى الجنازة صامتين خاشعين ، لاتصحبهم النساء ، ولا يسمح لهن بالخروج . ولا يجتمع أهل الميت بعد دفن ميتهم من مكان معين لتقبل العزاء . وإنما يذهب كل إلى مصالحه .

فالتاجر يذهب إلى متجره ، والزارع إلى مزرعته ، والبستاني إلى حديقته والمدرس إلى معهده أو مدرسته ، ومن عجيب ما رأيت فى عنيزة وأنا مدرس بمعهدها العلمي فى سنة ١٣٧٦ هـ الموافقة سنة ١٩٥٦ م أن طالباً من طلابي بالسنة الرابعة الثانوية قد توفيت زوجه وهى حامل فى شهرها الثامن خرج خرج عقب دفنها مباشرة إلى وادى الرمة بنجد مع بعض زملائه بالمعهد فى رحلة للتنزه . وللترويح عن النفس .

كما شاهدت بنفسى أيضاً جنازة كبير علماء عنيزة بل كبير علماء نجد بأسرها وقتئذ هو المرحوم الشيخ : عبد الرحمن(١) بن ناصر السعدى العالم الفاضل ، والورع الزاهد ، والتقى الصالح ، صاحب المؤلفات الكثيرة القيمة والمكانة السامية فى النفوس ، وخطيب مسجدها الجامع ، ومفتيها الضليع .

شاهدت جنازته رحمه الله فى شهر جمادى الآخرة عام ١٣٧٦ هـ ، ومشيت فيها وكنت من المشيعين لها فكانت بحق جنازة شرعية يعلوها الجلال ، ويحيط بها الوقار ، لا يشوبها شائبة الابتداع ، ولا يخالطها عمل من أعمال الشيطان ، وكنا نمشى معها ، وكأن على رءوسنا الطير ، ونسير فيها خاشعين

---

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم . ولد رحمه الله فى مدينة عنيزة فى اليوم الثانى عشر من شهر المحرم سنة ١٣٠٧ هـ وتوفيت والدته وله أربع سنين ، وتوفى والده وله سبع سنين فأصبح لطيماً ، ولكنه نشأ نشأة حسنة ، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وأتقنه ، وعمره إحدى عشرة سنة ، ثم اشتغل بالتعليم على علماء بلده وغيرها فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يقضى جل وقته فى ذلك .

وله مؤلفات مفيدة ونافعة منها : تفسير القرآن المسمى بتيسير الكريم المنان ، والدرة المختصرة فى محاسن الإسلام ، والحق الواضح المبين فى شرح توحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، والقول السديد فى مقاصد التوحيد ، بلغت مؤلفاته أكثر من أربعة عشر مؤلفاً ، وكان رحمه الله يهدى مؤلفاته لمن يزوره من علماء مصر وغيرهم ، توفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ وله من العمر ٦٨ سنة ونصف سنة تقريباً – طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه .

صامتين لا بكاء فيها ولا عويل ، ولا ذكر معها ولا تهليل . حتى ووري جسده الطاهر التراب . وقبل أهله التعزية عند القبر ، وانصرف كل مشيع إلى عمله . ولم يقم له رحمه الله حفل ولا مأتم كما يفعل في ديارنا المصرية ، ولم تكن مقابر عنيزة مخالفة للدين ، ولا منافية للسنة النبوية ، بل توافقها كل الموافقة . وتسير معها جنباً إلى جنب .

فما أحسن عمل أهل عنيزة في جنائزهم ، وفي مقابرهم ودفن موتاهم وما أحوجنا نحن المصريين إلى اتباع تعاليم الإسلام في جنائزنا ومآتمنا . ومقابرنا ودفن موتانا . وفي أفراحنا وأحزاننا .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى اتباع شريعته الغراء . وأن يجنبنا طريق المخالفة والابتداع ، وسبيل الغي والضلال .

المعتقدات الفاسدة من أهل الميت وغيرهم :

١ — منها : اعتقاد البسطاء أن المقتول من بني آدم يصير عفريتاً بعد ثلاثة أيام من قتله ، وأنه يظهر في مكان قتله للخائف بصورة مزعجة ، وهذا اعتقاد فاسد يشبه ما كان يعتقده أهل الجاهلية في المقتول قبل الأخذ بثأره .

فقد ذكر الزبير بن بكار (كما في حاشية الشنواني على مختصر بن أبي جمرة) أن العرب كانت في الجاهلية تقول : إذا قتل الرجل فلم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة (بفتح الميم مخففة) فتدور حول قبره فتقول : إسقوني إسقوني (أي من دم القاتل) فإذا أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا عمرُو إلَّا تدعْ شتمي ومنقصتي
أضربكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقوني

وفي المختار والهامة من طير الليل وهو الصدى (وهو ذكر البوم) والجمع هام ، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو (أي تصيح) عند قبره تقول : إسقوني ، إسقوني فإذا أدرك بثأره طارت اهـ .

ولما جاء الإسلام نفى هذا الاعتقاد الباطل .

فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ، ولا طيرة ولا هامة .ولا صفر .وفر من المجذوم فرارك من الأسد) .

فنفى الرسول عليه الصلاة والسلام أو نهى عن اعتقاد ذلك لأن هذا شىء لا حقيقة له . وإنما هو من نسج الخيال ، وبنات الأفكار .

٢ ــ ومنها : أن بعض أهل الميت يضع شيئاً من الخبز والملح والماء مع الميت فى القبر عند دفنه زاعمين أنه يتناول منه مع الملائكة (منكر ونكير) فتكرمه عند السؤال فى القبر ، وهذا اعتقاد فاسد لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فهم فى غنى عن الخبز والملح والماء وغير ذلك من كل مطعوم ومشروب . ولأن حياة الميت فى القبر تشبه حال النائم فى نومه . ولا تشبه الحياة الدنيوية التى تقوم على الهواء والأكل والشراب . ومثل هذا الاعتقاد ما يفعله بعض النسوة التى يجهلن أمور دينهن من وضع قطعة من النقود فى كفن الميت يسميها هؤلاء النسوة الجاهلات بالمعدية (بضم الميم . وتشديد الياء) أى تعدى الميت من سؤال الملكين وفتنتهما إلى بر السلامة والأمان .

كذبن ورب الكعبة . فإن الملائكة لا يحتاجون إلى نقود ولا إلى سواها من متاع الحياة الدنيا . ومن حطامها الفانى . ولا يرتشون . ولا يقبلون هدية من الغير . فهذا شأن أكلة الحرام . ذوى الأيدى الأثيمة التى تمتد إلى سلب ما فى أيدى الناس . وأصحاب البطون الشرهة الخبيثة من أولاد آدم وحواء .

٣ ــ ومنها : أن نساء بعض أهل القرى المصرية إذا ماتت منهن امرأة ، ثم ماتت أخرى من قبيلتها أو من غيرها ولم يمض على وفاة الأولى أربعون يوماً فإنهن يرسلن امرأة تغطى قبرها بملاءة حتى تدفن الثانية ؛ لكيلا تغار منها اعتقاداً منهن أن المتوفاة إذا لم يغط قبرها تحصل لها غيرة . وهذا اعتقاد باطل يدل على السذاجة . والجهل الفاضح .

٤ ــ ومنها : رمى ماء غسل الميت فى خارج المنزل قبل خروج الميت منه لئلا يموت غيره . وهذه بدعة ذميمة تدل على سخف معتقدها فإن الآجال مكتوبة ولها عند الله وقت معلوم . ولن يطيل أجل المرء احتياطه واحترامه .

٥ – ومنها : وضع ثياب الميت التى كان يرتديها فى حياته أمام قارئ يتلو عليها ما تيسر من القرآن اعتقاداً من أهل الميت أن روح فقيدهم لا تزال مختبئة بثيابه ، وأن القارئ بقراءته يصرفها عن الثياب ، ويخلصها منها ، وهذا اعتقاد خاطئ ، وضلال ظاهر ؛ لأن الروح متى خرجت من بدنها بالموت صعدت إلى السماء ، ثم هبطت إلى الأرض لتشاهد غسل بدن الميت الذى كانت تعمره ، ثم إذا وضع الميت فى الكفن أدرجت بين الكفن والجسد ؛ فتسمع من يتكلم ، وتشاهد من حضر ، ولا تزال كذلك حتى يدفن فى القبر ، فتدخل حينئذ الروح بدنها ، فيحيا الميت حياة برزخية بها العلم والفهم والإدراك والقدرة على الإجابة عن أسئلة الملكين .

وبذلك بان لك أن الروح لا تبقى فى ثياب الميت ولا فى منزله حتى تصرف وتخلص من الثياب .

* * *

القسم الرابع

الساعة وعلاماتها

الساعة :

هي الوقت الذي يموت فيه الأحياء ، وينتهي فيه هذا العالم .

وعلاماتها :

١ — صغرى .

٢ — كبرى : وهي أشراطها

قال تعالى : « **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**(١) » ، وهي كلها تدل على قرب الساعة (القيامة) لا على تقيينها وتحديدها ، فإن معرفة ذلك الوقت على التعيين والتحديد مما اختص الله به لم يطلع عليه نبياً مرسلا ، ولا ملكاً مقرباً . قال الله تعالى : « **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو...** »(٢). وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على قربها قال تعالى : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** »(٣) ، وقال عز وجل : « **يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً**»(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : (بعثت أنا والساعة كهاتين . وأشار بالسبابة والوسطى) كناية عن قرب الساعة ودنوها .

فأما علاماتها الصغرى : فكثيرة منها : مبعث الرسول محمد صلى الله

---

(١) سورة محمد آية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .

(٣) سورة القمر الآية الأولى .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٣ .

عليه وسلم ، وانشقاق القمر ، وقد حصلا فعلا ومنها : تطاول الناس فى البنيان ، فقد بنيت ناطحات السحاب ، وشيدت خارقات الغمام ، وتباهى الناس فى الزخرفة والزينة ، ومنها : أن تلد الأمة ربتها وسيدتها ، ومنها : انحلال الدين من قلوب المسلمين ، والتحلل من الأخلاق الكريمة ، وضعف الوازع الدينى والخلقى ، حتى ضيّعت الأمانات ، ووسد الأمر لغير أهله ، وتلاشى الحياء من قلوب النساء والرجال على السواء ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وظهرت المـائلات المميلات التى رءوسهن كأسنمة البخت ، وقصرت بنات حواء المسلمات ثيابهن تقصيراً شنيعاً حتى بدت العورات ، وظهرت السوءات ، وغير ذلك كثير وكثير ، والأمر فى ازدياد ، وخطر داهم ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على جمر .

وأما علاماتها الكبرى : فالمتفق عليه فيها خمس : روى أن أول الآيات ظهوراً المسيح الدجال ، ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، ثم خروج الدابة ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، ولنتكلم عنها بالترتيب فنقول :

أولها : ظهور المسيح الدجال (أى الكذاب) : المسيح الدجال : رجل كافر كذاب يلبس الحق بالباطل من بنى آدم يظهر فى آخر الزمان قرب قيام الساعة ، يدعى الألوهية وهو كاذب فى ادعائه ، فقد جعل الله صورته على وصف لا يدع مجالا للشك فى كذب ما يدعيه من الألوهية ، فلو كان إلهـاً حقاً كما يدعى ما حدث فى خلقته نقص ، إذ أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية (أى مرتفعة وبها ضوء) وممسوح العين اليسرى ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم .

روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بعث نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك . ا . ف . ر) .

واعلم أنه يطوف الدنيا ، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فإن الملائكة تطرده عن هذه الأماكن المقدسة .

روى الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس من بلد إلا سيطؤه) أى سيدخله (الدجال إلا مكة والمدينة) ، وفى

رواية أبي جعفر الطحاوى : (فلا يبقى موضع إلا دخله غير مكة والمدينة ، وبيت المقدس ، وجبل الطور ، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع) .

ومدة بقائه فى الدنيا أربعون يوماً كما فى بعض الروايات .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فقال : (إنه شاب قطط) بفتح القاف والطاء أى قصير الشعر جعده) عينه طافية كأننى أشبهه بعبد العزى بن قطن : فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف . يا عباد الله فاثبتوا . قلنا : يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة . ويوم كشهر ، ويوم كجمعة . وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . أقدروا له قدره).

يحدث الله على يديه خوارق كثيرة للعادات ، فتنة للناس ومحنة . فيتبعه من ضل وغوى ، ويخالفه من رشد واهتدى . فتنته عظيمة ، تدهش العقول ، وتبهر النفوس الضعيفة . منها : أنه معه جنة ونار . وأن جنته نار . وناره جنة . ومنها : أنه معه نهر من ماء . ونهر من نار . فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق . وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب . ومنها : أنه يأمر السماء بإنزال المطر فتمطر ، ويأمر الأرض بالإنبات فتنبت . ومنها : أنه يمر على الأرض الخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها . وروى أنه يقتل شخصاً بالسيف فيقطعه قطعتين ثم يحييه . وأن ذلك الشخص بعد الإحياء يقول له : يا دجال ما زدت فيك إلا بصيرة . ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته . ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا على غيره ولا يستطيع الإتيان بأمر خارق للعادة ، ويبطل أمره ، ويقتله المسيح عليه الصلاة والسلام عند لد (لد بضم اللام وتشديد الدال مصروف بلدة قريبة من بيت المقدس . وقد كان خروجه من جهة المشرق من قرى أصبهان .

هذا وقد روى البخارى جملة أحاديث فى الدجال فى باب ذكر الدجال من كتاب الفتن . كما روى الإمام مسلم فى صحيحه عدة أحاديث فى باب ذكر الدجال من كتاب الفتن وأشراط الساعة . وروى غيرهما كذلك

وقد ذكر الشوكانى فى التوضيح أن أحاديث خروج المسيح الدجال بلغت مائة حديث وهى فى الصحاح والمعاجم والمسانيد .

والخلاصة :

أن الدجال فتنة أظهر الرسول عليه الصلاة والسلام أمرها . وحذر المسلمين منه . وكثيراً ما كان يستعيذ بالله من فتنته فى صلاته وفى غيرها . ووصفه بأوصاف لا تجعل عند المسلم شبهة فى كذبه وتضليله .

ثانيها : نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء على المنارة البيضاء شرقى دمشق على رأى الجمهور بعد ظهور المسيح الدجال . وحينما يراه الدجال ويشاهده يختفى ، وينطلق هارباً ، ولكن السيد المسيح يدركه عند باب لد ثم يقتله ويقتل أتباعه ، ويهزم الله اليهود ولا يبقى شىء مما خلقه الله يستتر وراءه يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء وقال : يا عبد الله المسلم . هذا يهودى تعال فاقتله . وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ("لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلا فليكسرن الصليب ، وليضعن الجزية . وليتركن القلاص (النياق) فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد) .

ويكثر الأمن فى زمنه . والخصب والبركة والرخاء .

قال العلماء : وإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان يكون مقرراً لشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومجدداً لها ؛ لأنها آخر الشرائع ونبيها خاتم النبيين . فيكون عيسى عليه السلام حكماً مقسطاً لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إماماً ، ولا قاضياً ولا مفتياً . قد قبض الله العلم . وخلا الناس منه ، ولا أحد يصلح لذلك غير عيسى عليه الصلاة والسلام . وبعد انتهاء مدة بقائه فى الأرض التى قدرها الله له يموت عيسى عليه الصلاة والسلام بالمدينة . ويدفن بجوار أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

هذا وأحاديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام قرب الساعة وحكمه فى الناس متواترة (أى تواتراً معنوياً) قاله الإبى (بكسر الهمزة وتشديد الباء مع الكسر) فى شرحه صحيح مسلم .

ثالثها : ظهور يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وهلاك الدجال فيقتلون من بقى من أتباع الدجال ، وينحاز عيسى عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم ويشيعون فى الناس الرعب ، وينتشرون فى الأرض ، ويسرعون من كل مرتفع مصداق هذا قوله تعالى : **« حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون »** ويحصل للخلق فى زمنهم قحط شديد، ويسعون فى الأرض فساداً. ولكنهم لا يدخلون مكة والمدينة وبيت المقدس ، ولا يصلون إلى من عصمه الله منهم . ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فيموتون ، وتستقيم الحال للمسيح عليه الصلاة والسلام والمؤمنين . وبينما هم كذلك إذ يبعث الله على سيدنا عيسى والمؤمنين ريحاً لينة تقبض أرواحهم ولا يبقى فى الأرض إلا الكفار والأشرار الفجار .

وهذا يأجوج ومأجوج قبيلتان من بنى آدم من أولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام ، وقد بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقصتهم مع ذى القرنين مذكورة فى أواخر سورة الكهف .

رابعها : خروج دابة من الأرض : وهى المذكورة فى قوله تعالى فى سورة النمل **« إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون »**

والمعنى : إذا دنا وقرب وقوع مدلول القول . وحق عليهم العذاب لفساد الدنيا ، وضياع الدين أخرجنا للموجودين من الكفار دابة من دواب الأرض تحدثهم بأن الناس وهم الكفار كانوا بآيات الله لا يصدقون .

وقد اختلف الصحابة والتابعون فى المراد بهذه الدابة ، وفى صفتها ، وفى مكان خروجها اختلافاً كثيراً .

فمن قائل : إنها (الجساسة) ، كما فى حديث الإمام مسلم فى قصة الجساسة (بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى(سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال؛

ومن قائل : إنها (الفصيل) ، الذى كان لناقة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام ، فلما قتلت هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ، ثم انطبق عليه الحجر . فهو فيه إلى وقت خروجه بإذن الله تعالى .

يدل لهذا القائل ما ذكر فى الحديث الذى أخرجه أبو داود الطيالسى وفيه : (فبينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها عليه المسجد الحرام لن يروعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب) .

فإن الرغاء إنما يكون للإبل ، وهنا يقول الإمام القرطبي وهو أصح الأقوال .

ومن قائل : إن الدابة إنما هى (إنسان متكلم) يناظر أهل البدع والكفر ، أو هو عالم بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأحكام شرعه ، يظهر فى الوقت الذى يقل فيه العلماء ، ويقبض فيه العلم بموتهم . ويعم الجهل بأحكام الدين ، ويتخذ الناس رؤساء جهالا ، يستفتونهم فى دينهم فيفتونهم فيضلون ويضلون .

وقائل هذا يقول : إن الذى دعاه إلى تفسير الدابة بالإنسان ، وصفها بالكلام ، ولأن الإنسان دابة من الدواب . ولقول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الدابة وخروجها فقال : (تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام) كما أنه أخرج الإمام أحمد والطيالسى ونعيم بن حماد ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالخاتم ، وتخطم أنف الكافر بالعصا حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر) . ولكن أقوال الصحابة والتابعين فى خروج الدابة وصفتها وإن كان فيها كثير من الغرابة والخيال ترد هذا القول :

(وبعد) : فقد اختلفت الروايات فى هذه الدابة اختلافاً عظيما وكثر الاضطراب فيها ، ونسج الخيال وخيم عليها ، وأخذ المتكلمون فى شأنها يغربون فى وصفها وجسمها ، وكيفية خلقها . ونوعها . والمكان الذى تخرج منه .

ويغنينا عن كل هذا وذاك أن نعتقد بأن من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى خروج دابة عظيمة من الأرض ذات قوائم قرب انتهاء الدنيا . وخراب العالم . تكلم الكفار بأنهم الناس كانوا لا يصدقون بالقرآن ، ولا يذعنون به والله أعلم .

خامسها : طلوع الشمس من مغربها : جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون) ،

فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .
واختلفت الروايات فى طلوعها من مغربها هل هو يوم واحد ؟ أو ثلاثة أيام ؟ ثم تطلع من المشرق على عادتها إلى أن تقوم القيامة . وإذا طلعت الشمس من مغربها غربت فى مشرقها ، وعند ذلك يغلق باب التوبة على المؤمن العاصى والكافر . ويستمر ذلك إلى قيام الساعة .
(تنبيه) : روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى) . قال الإمام القرطبى . وأيها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً منها .
وهناك علامات أخرى كظهور محمد المهدى والدخان . والخسوف الثلاثة ، ونار تخرج من اليمن من قعر عدن تركتها . لأنه ليس فى وسعى الآن الكتابة عنها ، وربما أفردت رسالة مستقلة فى علامات الساعة . وتحدثت عنها حديثاً مستفيضاً ، وخرجت أحاديثها إذا توفرت الدواعى . ومنعت الموانع .

أهوال ما قبيل القيامة

إعلم أيها المسلم أنه عندما يختل نظام العالم . وتدق ساعة الخطر موذنة بقرب زوال الدنيا ، معلنة بدنو انقضاء أجلها ، تكون أهوال وأهوال . وفظائع وشدائد تصم الآذان ، وتصك الأسنان ، وتفزع القلوب وتوجفها . وتخشع الأبصار وتزيغها « **قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة** » . وتهلع النفوس وتزعجها ، وتشيب منها الولدان ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى .
فمن شمس تكور ، وتلف لفاً ، ويذهب بنورها وضوئها . ونجوم تنكدر وتتساقط ، وجبال تتفتت ، ثم تسير سيراً سريعاً : « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب** » إلى نياق (جمع ناقة) قد مضى على حملها عشرة أشهر كان صاحبها ينتظر بفروغ صبر أولادها المترقبة . وأجنتها المحبوبة المنتظرة ، فيتركها بدون أكل ومرعى . بل لا يسأل عنها مطلقاً ولا عن أجنتها التى فى بطونها ؛ لأن الخوف قد ملك عليه نفسه . واستولى على مشاعره ؛

فانشغل بذاته عن غيره . وإلى وحوش كانت ضارية تفتك بمن يقترب منها . وتفترس من يدنو منها . ولكنها الآن فى هذه الأوقات العصيبة . والأحوال المخيفة تختلط بغيرها . وتتجمع فى مكان واحد وكأن بينها وبين غيرها صلة قديمة . وارتباطاً وثيقاً . ولكن الخوف قد جمعها ، والوجل قد ألف بينها وبين غيرها ، وإلى بحار تختلط ببعضها ثم تجف وتيبس ثم تملأ ناراً متأججة . وذلك هو تسجيرها .

يشهد لذلك كله قوله تعالى : « **إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذاالجبالسيرت . وإذاالعشار عطلت . وإذا الوحوشحشرت. وإذا البحار سجرت** إلى غير ذلك من الأهوال التى وردت فى القرآنالكريم .

روى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب(١) قال : (بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس . وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض فاضطربت ؛ لأن الله تعالى جعل الجبال أوتاداً . ففزعت الجن إلى الإنس ، والإنس إلى الجن . واضطربت الدواب والطيور والوحوش . فماج بعضهم فى بعض . فقالت الجن نحن نأتيكم بالخبر اليقين . فانطلقوا فإذا هى نار تتأجج فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم(٢) . وهذه من نصوص القرآن ظاهرة . لا يسع المؤمن ردها ، ولا التكذيب بها ؛ وفى هذه الصيحة المذكورة فى قوله تعالى : « **وما ينظر هؤلاء إلا صيحةواحدة ما لها من فواق**(٣) » وفى قوله : « **وما ينظرون إلاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون** » تكون السماء كالمهل(٤)

---

(١) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد ، الأنصارى الخزرجى ، الصحابى الجليل ، وأول من كتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ شهد العقبة وبدراً .

عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح) . مات سنة ٣٠ هـ (كما فى أسد الغابة) .

(٢) يقال : تهب رياح باردة من الشام تهلك المؤمنين ، ويبقى شرار الناس .

(٣) فواق (بفتح الفاء وضمها) : أى توقف مقدار فواق ، وهو ما بين الحلبتين من اللبن . أو معناه : رجوع والآية مذكورة فى سورة ص .

(٤) المهل (بضم الميم وسكون الهاء) : ما يتبقى أسفل الزيت ، والعهن : الصوف المندوف

وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما . وفيها تنشقق السماء فتكون أبواباً (من كثرة الشقوق) وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض ، فتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى أقطار السماء والأرض . فتتلقاهم الملائكة يضربون وجوههم حتى يرجعوا وذلك قوله تعالى : **« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »**

النفخ فى الصور :

ورد النفخ فى الصور صراحة فى كتاب الله العزيز فى عشر آيات كما أحصيتها من المصحف العثمانى وإليك بيانها :

١ — قال الله تعالى : **« وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير »** . (من سورة الأنعام)

٢ — قال الله تعالى : **« وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً »** . (من سورة الكهف)

٣ — قال الله تعالى : **« يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً »** .
(من سورة طه)

٤ — قال الله تعالى : **« فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »** . (من سورة المؤمنون)

٥ — قال الله تعالى : **« ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين »** . (من سورة النمل)

٦ — قال الله تعالى : **« ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون »** . (من سورة يس)

٧ — قال الله تعالى : **« ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »** .
(من سورة الزمر)

٨ — قال الله تعالى : **« ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد »** .
(من سورة ق)

٩ — قال الله تعالى : **« فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة »** (من سورة الحاقة)

١٠ – قال الله تعالى : **« يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً »** .

(من سورة النبأ)

كما ورد فى السنة النبوية من ذلك ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف أنعم (أى أفرح وأسر) وصاحب الصور قد التقم الصور ينتظر متى يؤمر أن ينفخ ؟ قالوا : وماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان عن أبى سعيد ، وأخرجه أحمد والحاكم أيضاً عن بن عباس ، وأخرجه غيرهم عن زيد بن أرقم .

والصور (بضم الصاد وسكون الواو) هو : قرن عظيم من نور كهيئة البوق فيه ثقوب كثيرة بعدد أرواح الخلائق كلها ، وقيل فى وصفه غير هذا . وقيل : إن النفخ فى الصور تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ فى البوق ، ولكن ورود الصور فى الأحاديث مع ذكر بعض أوصافه يبعد هذا القول ، وأن النفخ والصور حقيقتان لا يراد بهما المجاز . ونحن نؤمن بالنفخ فى الصور ونفوض الأمر فيه لله وحده عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير .

والنافخ فيه إسرافيل ، ويكون جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والنفخ فى الصور مرتان لا ثلاث على الصحيح ، النفخة الأولى وتسمى نفخة الصعق والفناء ، وبها يموت من بقى من الخلق على وجه الأرض والسماء ، ويغشى على من كان ميتاً من قبل لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء فيغشى عليهم بالنفخة الأولى حتى على نبينا صلى الله عليه وسلم ويبقى رؤساء الملائكة الأربعة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وقيل معهم حملة العرش الثمانية أحياء لأنهم جميعاً من المستثنى فى قوله تعالى : **« ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله »**

وبعد هذه النفخة يموت هؤلاء المذكورون وآخرهم موتاً سيدنا عزرائيل على الصحيح ، ويقبض روح نفسه ، وقيل القابض له هو الله عز وجل : ثم يمكث الخلائق على هذه الحالة أربعين سنة وهى المدة التى تكون بين نفخة الصعق وبين نفخة البعث والإحياء ، وقبيل انتهاء تلك المدة يرسل الله مطراً غزيراً خاثراً (أى ثخيناً) من تحت العرش يشبه منى الرجال يقال له ماء

الحيوان : (أى الحياة) فينبت الله به الأجساد والأبدان كما ينبت البقل حتى إذا تكاملت هذه الأجسام ، وانتهت مدة الأربعين سنة أحيا الله جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش . وأمر إسرافيل بأخذ الصور فيأخذه فيدعو الله الأرواح فتتجمع فيه ثم يأمره بالنفخ فينفخ . يقال لهذه النفخة نفخة البعث وهى المذكورة فى قوله تعالى : **« ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »** . وينادى قائماً على صخرة بيت المقدس قائلا : (أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة(١) ، والأعضاء المتمزقة . والشعور المتفرقة . إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن . وتخرج الأرواح من ثقوب الصور كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض . فتدخل أجسادها فلا تخطئ روح جسدها ، وتمشى فيه كالسم فى اللديغ (، ويقال : إن أرواح المسلمين تتوهج نوراً ، وأرواح غيرهم مظلمة) فيحيا من مات ، ويفيق من غشى عليه كالأنبياء والشهداء فتنشق الأرض عن الجميع . وذلك قوله تعالى : **« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب(٢) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير »** . (سورة ق)

وقوله تعالى : **« يوم يخرجون من الأجداث سراعاً »** وقوله : **« يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع »** أى مسرعين إلى إجابة نداء إسرافيل عليه السلام إلى أرض المحشر والموقف الأعظم للعرض على
إجابة نداء إسرافيل عليه السلام إلى أرض المحشر والموقف الأعظم للعرض
على رب العالمين ، وللحساب والجزاء فى يوم الدين : **« يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله »** .

البعث ..

اعلم أن الله سبحانه وتعالى سيعيد الأجسام فى يوم القيامة كما كانت عليه فى الدنيا ثم تتصل كل روح بجسدها فيحيا العبد ويقدم للحساب والجزاء ، وهذا ما يقال له : البعث والنشر والإعادة .

---

(١) الأوصال : جمع وصل (بضم الواو وكسرها) كل عضو على حدة .

(٢) هو صخرة بيت المقدس وهى أقرب مكان من الأرض إلى السماء كما قيل فى كتب التفسير .

وقد أجمع أهل الملل والأديان السماوية على إثبات البعث . وجاء به القرآن الكريم صراحة فى غير ما آية ، كما وردت به السنة الصحيحة فى غير ما حديث . وعلى هذا فمنكر البعث كافر والعياذ بالله . والآن نسوق إليك طائفة من آيات الله تدل على ذلك :

قال تعالى : « **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير** » .

وقال : **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** » .

وقال جل شأنه : « **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** » .

وقال : « **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** » .

ومن السنة ما روى أن أبى بن خلف الجمحى على أصح الأقوال خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر البعث والمعاد ، وأتاه بعظم قد رم وبلى فقبضه وفتته بيده ، وقال : يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم وبلى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (نعم ويبعثك ويدخلك النار) .

وقد اختلف العلماء فى الإعادة : هل هى عن عدم ، أو عن تفريق . فذهب إلى الأول أكثر علماء الكلام وقالوا : إن الله يعدم الذوات والأجزاء كلها ثم يعيدها بعد ذلك وعرفوا البعث بأنه : (إحياء الله الموتى فى قبورهم ، وإخراجهم منها بعد جمع أجزائهم الأصلية المعدومة التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره بأعيانها وأعراضها ورد أرواحها إليها) .

فعلى هذا التعريف . وعلى هذا المذهب يكون المعاد هو الجسم الأول بعينه وذاته لا بمثله ، وإلا لزم أن يكون المثاب أو المعذاب غير الجسم الذى أطاع أو عصى وهو باطل بالإجماع . وتكون الإعادة بعد ذهاب العين والأثر جميعاً .

ويمكن الاستدلال له بقوله تعالى : « **كما بدأنا أول خلق نعيده** » . فقد بين سبحانه أن الإعادة تكون وفق الابتداء ، ولما كان الابتداء عن عدم فتكون الإعادة كذلك ، ولا يسمى الإيجاد ثانياً إعادة إلا إذا تقدمه عدم محض (أى خالص) .

وذهب إلى الثانى وهو أن الإعادة عن تفريق جماعة من المعتزلة ومن

وافقهم وقالوا فى تعريف البعث : (إنه إحياء الله الموتى فى قبورهم . وإخراجهم منها بعد جمع أجزائهم الأصلية المتفرقة التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره بأعيانها وأعراضها ورد أرواحها إليها) .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى : « **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم** » .

وهذا بخلاف عجب الذنب ، وأجسام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فإنها لا تفنى ولا تبلى . وكذلك الحكم فى أجسام غيرهم ممن لا تأكل الأرض أجسامهم . كالشهداء الذين قتلوا فى سبيل الحق والواجب . وجعلوا كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وكالمؤذنين الذين احتسبوا أذانهم لله عز وجل ، وادخروا ثواب ذلك عند الله لا لأجرة يأخذونها على أذانهم من الغير .

وأول من تنشق عنه الأرض هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فهو أول من يبعث من قبره الشريف ، وأول وارد المحشر وأول من يمر على الصراط . كما أنه أول من يدخل الجنة .

هذا ويكون البعث والحشر (وهو جمع الناس وغيرهم فى المحشر والموقف الأعظم) لمن يجازى خيراً أو شراً . كالإنس والجن والملائكة . ولمن لا يجازى كالبهائم ونحوها للقصاص من المعتدى عليها تحقيقاً للعدل الإلهى .

أخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء) . قال مجاهد بن جبير التابعى : تقاد المنقورة من الناقرة ، والمركوضة من الراكضة ، والجلحاء (التى لا قرون لها) من ذات القرنين ، والناس ينظرون ، ثم يقال : (كونى تراباً لا جنة ولا ناراً) : أى بعد القصاص فى المحشر تصير البهائم ونحوها ممن لا يجازى تراباً .

وأما السقط (بكسر السين وسكون القاف) ، فإن ألقى بعد نفخ الروح فيه بعث وحشر وصار كأهل الجنة فى الجمال والسن وغير ذلك ، وإن ألقى قبل نفخ الروح فيه فإنه لا يبعث ولا يحشر وهذا ما ذهب إليه المحققون من

العلماء وصححه النووى واختاره ؛ لأن الأدلة تشهد له وذهبت طائفة منهم الإمام الغزالى وجماعة إلى أنه لا يبعث ولا يحشر إلا من يجازى لعدم تكليف البهائم ونحوها ولأنها ليست أهلا للكرامة . قال العلامة الآلوسى فى تفسيره لسورة التكوير : وإلى هذا القول أميل . ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول لأن لهم ما يصلح مستنداً فى الجملة . وأنا شخصياً أرى هذا الرأى وأستريح له .

شبه المنكرين للبعث والرد عليها :

تمسك المنكرون للبعث بشبه واهية : « **فقال الكافرون هذا شىء عجيب أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد** » . فهؤلاء الكفار قد استبعدوا إعادتهم ورجوعهم أحياء مرة أخرى بعد أن صاروا تراباً وعظاماً وتعجبوا من ذلك وقالوا : إن هذا لشىء عجيب ، فرد الله عليهم بقوله : « **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** » ،فبين لهم أنه عالم بأجزائهم ، وما تنقص الأرض منهم ، وقادر على جمع أجزائهم وإعادتهم .

وقال الفلاسفة : لو أكل إنسان إنساناً بحيث صار المأكول جزءاً من الآكل . فتلك الأجزاء يستحيل أن تعاد فيهما معاً كما يستحيل أن تعاد فى أحدهما دون الآخر .

والجواب : هو أن المعاد الأجزاء الأصلية من ابتداء الخلق ، ولعل الله يحفظها من أن تصير جزءاً أصلياً لبدن آخر ، وأما غيرها فهى فضلات فى الآكل لا اعتبار لها .

وقالوا أيضاً : البعث نوع من التناسخ المحال ؛ لأن الجسم المعاد ليس هو الأول ، وهذا عين التناسخ .

والجواب : أن المعاد يكون تناسخاً لو لم يكن الجسم الثانى مخلوقاً من الأجزاء الأصلية للجسم الأول . فهو هو ، ولم تعد الروح إلا للجسم الذى كانت فيه ، وتناسخ الأرواح هو : انتقال الروح من بدنها بعد الموت إلى أبدان أخرى مختلفة . فالبعث إذاً ليس من تناسخ الأرواح وهو المطلوب .

وأكتفى بهذه الشبه التى ذكرتها والرد عليها ، ولا داعى لذكر باقيها .

خاتمة فى فوائد منثورة

(الفائدة الأولى) : حكم الإسلام فى تشريح جثث الموتى للاستفادة منها فى دراسة الطب ، وحكمه فى نقل قلب الميت أو عينه . أو أى جزء منه إلى غيره من الأحياء .

أجابت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى منذ سنوات بما يأتى :

لا شك أن تعلم الطب يقتضى علم التشريح لمعرفة الداء . وموضع العلة فى الجسم . ولتشخيص العلاج النافع بالقدر المستطاع فى ضوء ما يهدى إليه الطبيب العارف . وكذلك تشتد الحاجة إلى تشريح الجثة فى الحوادث الجنائية . والتمكن من إثباتها ، أو نفيها عن المتهم . وفى ذلك تمكن للعدالة من أن تأخذ وضعها الحق فى الأحكام .

وجملة القول : إن التشريح لمثل هذه المقاصد أمر يرتبط كثيراً بحياة الناس ، فلا بد منه ولا شبهة فى إقراره . ولكن يقتصر على موضع الضرورة بدون توسع ؛ لأن للميت كرامة يجب أن تراعى ، ولا يجوز التعرض له بما يؤذيه لو كان حياً عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى) .

أما نقل قلب الميت أو عينه أو أى جزء منه إلى غيره من الأحياء لينتفع الحى بهذا الجزء أمر جائز شرعاً ، ولا يقال : إن أخذ جزء من الميت بعد وفاته لينتفع به الحى يعتبر إهانة للميت ومساساً بكرامته الآدمية؛ لأن هذا مقصود لمنفعة الحى ، والحى أولى من الميت لأنه لا يزال فى مجال الانتفاع به فى المجتمع ، فانتفاعه بجزء من الميت أولى من ترك هذا الجزء يبلى فى التراب وينبغى أن يلاحظ أن يستأذن أهل الميت إن كان له أهل حتى لا يوجد خلاف بينهم .

(الفائده الثانية) : (: قال علماء الحنفية : حامل ماتت وولدها حى يضطرب فى بطنها شق بطنها من الجانب الأيسر وأخرج ولدها . ولو بالعكس بأن مات الولد فى بطنها وهى حية . وخيف عليها قطع الولد وأخرج قطعاً .

فلو كان حياً لم يجز تقطيعه ؛ لأن موت الأم به موهوم . فلا يجوز قتل آدمي حي لأمر موهوم .

(الفائدة الثالثة) : يكره أن يجعل على القبر مظلة تقيه من الشمس ؛ لأن سيدنا عمر رضي الله عنه رأى قبة على قبر فنحاها وأبعدها وقال : (دعوه يظله عمله) . نعم لو كانت المظلة لوقاية من يجتمعون لنحو القراءة على الميت من الحر والبرد والمطر ، فلا بأس بذلك ، وأما جعل السراج أو المصباح الكهربي على القبر فحرام حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر . لما فيه من الإسراف وإضاعة المال ، والتشبه بالمجوس الذين يوقدون النار على قبور موتاهم ، وما أجهل القائمين والقائمات على خدمة الأضرحة ، وقبور الصالحين حيث يوقدونها طول الليل والأبواب مغلقة والناس نيام . وقد تكون في مناطق خالية من السكان ، ينعق فيها البوم والغربان . وقد لعن الله أمثال هؤلاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج) .

(رواه أبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان مرفوعاً)

(الفائدة الرابعة) : ذكر في فتح القدير لابن الهمام أنه لا يدفن صغير ولا كبير في البيت الذي كان فيه فإن ذلك خاص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل ينقل إلى مقابر المسلمين ، ويكره الدفن في الأماكن التي تسمى فساقي اهـ وهي : كبيت معقود بالبناء يسع جماعة لمخالفتها السنة والكراهة فيها من وجوه :

١ – عدم اللحـــد .

٢ – ودفن جماعة معاً بلا ضرورة .

٣ – واختلاط الرجال بالنساء بلا حاجز .

٤ – طلاؤها بالجص : (أي الجير) .

٥ – والبناء عليها اهـ بحر .

(الفائدة الخامسة) : من عليه ديون ومظالم جهل أصحابها ، وأيس من معرفتهم ، وهذا يشمل ورثته ، فعليه أو على ورثته التصدق بقدرها من ماله ، ولو استغرقت جميع ماله ، هذا إذا كان له مال ، فلو لم يقدر على الأداء لفقره ، أو لنسيانه ، أو لعدم قدرته لا يؤاخذ به في الآخرة إذا كان الدين ثمن متاع ، أو كان قرضاً . أما إذا كان غصباً فإنه يؤاخذ به في الآخرة وإن

نسي غصبه . وإن علم الوارث دين مورثه والدين غصب أو غيره فعليه أن يقضيه من التركة ، وإن لم يقض فهو مؤاخذ به فى الآخرة ، وإن لم يجد المديون ولا وارثه صاحب الدين ولا وارثه برئ فى الآخرة . (أخذ ذلك من فقه الحنفية) .

(**الفائدة السادسة**) : سئل ابن تيمية عما يقوله بعض الناس : من أن لله ملائكة ينقلون الموتى من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود والنصارى ، وينقلون الموتى من مقابر اليهود والنصارى إلى مقابر المسلمين .

فأجاب : بأن الأجساد لا تنقل من القبور ، وأن المقبور يكون يوم القيامة مع نظرائه (أشباهه) الحقيقيين ، فمن كان ظاهره الإسلام ، وختم له بشر فى علم الله أو كان كتابياً ، وختم له بخير فمات مسلماً قبل أن يغرغر فى علم الله فإنه يكون يوم الحشر مع أشباهه الحقيقيين ولو كان مقبوراً مع غيرهم ، ولم يسمع أثر فى نقل الملائكة للأجساد .

(**الفائدة السابعة**) : قال اليافعى فى روض الرياحين عن شقيق البلخى : طلبنا خمساً فوجدناها فى خمس :

١ ـ طلبنا ترك الذنوب فوجدناه فى صلاة الضحى .
٢ ـ وطلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل .
٣ ـ وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن .
٤ ـ وطلبنا عبور الصراط فوجدناه فى الصوم والصدقة .
٥ ـ وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة .

(**الفائدة الثامنة**) : قال الإمام ابن القيم فى كتاب الروح : أفضل ما يهدى إلى الميت ما كان أنفع فى نفسه ، فالعتق عنه والصدقة أفضل من الصيام عنه . وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصدقة سقى الماء) ، وهذا فى موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش ، وإلا فسقى الماء على الأنهار لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة ، وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق من الداعى ، وإخلاص وتضرع فهو فى موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة ؛ والوقوف للدعاء على قبره ، والحج عنه . والصوم . وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

(**الفائدة التاسعة**) : إذا نبش قبر الميت وأخذ كفنه فإنه يكفن للسنة وهكذا ما دام طرياً . لا يعاد غسله ولا الصلاة عليه . وإذا تفسخ فإنه يلف فى ثوب واحد . وإذا مات شخص وغسل وصلى عليه ثم دفن . وبعد أيام أخرج من قبره وشرحت جثته فإنه لا يعاد غسله ولا الصلاة عليه . ومن دفن وأهيل عليه التراب بغير صلاة صلى على قبره وجوباً ما لم يغلب على الظن تفسخه . فإذا كان الأمر كذلك فلا يصلى عليه . وكذلك الحكم فيمن تردى فى نحو بئر أو وقع عليه بنيان ولم يمكن إخراجه . فإنه يصلى عليه فى هذه الحالة وهو فى البئر أو تحت البنيان ، بخلاف ما لو غرق فى بحر ولم يمكن إخراجه فإنه لا يصلى عليه لعدم تحقق وجوده أمام المصلى . (انتهى من كتب فقه الحنفية) .

(**الفائدة العاشرة**) : لا ينفعك من دنياك إلا العمل الصالح :

روى مسلم مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يتبع الميت ثلاث ، يرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله . فيرجع أهله وماله ويبقى عمله) . وفى هذا المعنى ما حصل بين أبى الدرداء وسلمان الفارسى . روى أن أبا الدرداء أرسل لسلمان الفارسى فى مكاتبته ، هلم يا أخى إلى الأرض المقدسة فلعلك أن تدفن بها ، فأرسل سلمان يقول له : اعلم يا أخى أن الأرض المقدسة لا تقدس أحداً وإنما يقدس كل إنسان عمله .

(**الفائدة الحادية عشرة**) : حمل الجنازة عبادة . فينبغى للقادر على حملها أن يبادر إلى فعل تلك العبادة ، ولا يأنف من حملها من كان ذا جاه . فقد حمل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأفضل الخلق أجمعين جنازة سعد ابن معاذ .

(**الفائدة الثانية عشرة**) : حال الصغار فى البعث والحشر : الصحيح أن الصغار يبعثون ويحشرون صغاراً على الحالة التى ماتوا عليها . وإنما يقع التغيير عند دخول الجنة . يشهد لذلك ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يبعث كل عبد على ما مات عليه) .

وإلى هنا قد تم الكتاب وتم طبعه ، والحمد لله أولا وآخراً والشكر له بداية ونهاية : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه . وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » .

نبذة من تاريخ حياتى

أنا محمد (الملقب برشاد) بن عبد الظاهر بن خليفة بن عوض بن يوسف ابن على بن عبد الله بن شاهين بن سليمان بن مخدم(١) . ولدت صبيحة يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة تسع وتسعمائة وألف ميلادية ، بقريتنا المسماة بالشيخ عيسى التابعة لمحافظة ومركز قنا ، من أبوين متوسطى الحال ، ينتميان إلى سيدنا الحسين رضى الله عنه ، ثم حفظت القرآن كله حفظاً جيداً مع ترتيله وتجويده على قراءة حفص ، وأنا صغير فى كتاب القرية التى ولدت فيها ، ثم التحقت بمعهد أسيوط كطالب أزهرى فى سنة ١٩٢٥ م وفى هذا المعهد حصلت على الشهادة الأولية (لابتدائية) ، ثم على الشهادة الثانوية بقسميها ، بعد ما درست فيه الفقه الحنفى والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة ، وأجزاء من تفسير النسفى ، وكتاب الزبيدى فى الحديث ، والجغرافيا والتاريخ ، والطبيعة والكيمياء والأحياء ، والحساب والجبر والهندسة .

ومن شيوخى فى هذا المعهد الشيخ محمد عبد الله الجهنى ، والشيخ عبد الله خلاف الله ، وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر السابق ، والشيخ عبد العليم رضوان .

وفى سنة ١٩٣٤ م التحقت بكلية الشريعة الإسلامية بالقاهرة ، ودرست فيها : الفقه الحنفى ، والفقه المقارن ، وتفسير وأحاديث الأحكام ، ومصطلح

---

(١) بقية نسبى من جهة الأب : مخدم المذكور (بضم الميم وفتح الدال مشددة أى كثير الخدم) وهو جد أشراف المخادمة ، وبلدة الشيخ عيسى بمحافظة قنا : ابن بوين بن هاشم بن مهنا ابن جماز (الملقب بجمال الدين) بن قاسم (المقلب بعز الدين ، والذى يكنى بأبى فليته) بن مهنا بن الحسين بن مهنا ابن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة ، ابن الحسن بن جعفر الحجة (بضم الحاء) ابن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين رضى الله عنه .

أما نسبى من جهة الأم : فأمى الحاجة حنيفة بنت مصطفى بن على كرار بن حمد بن محمد ابن خليل بن محمد بن على بن مخدم المتقدم ذكره ، فيجتمع نسب أبى وأمى فى هذا الجد العظيم رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

الحديث ورجاله ، وتاريخ التشريع الإسلامى . وعلم المنطق ومن شيوخى فى هذه الكلية : الشيخ عبد الرحمن تاج . والشيخ محمد سامون ، والشيخ محمد عبد الفتاح العنانى ، والشيخ عبد الحفيظ الدفتار .

وفى هذه الكلية حصلت على الشهادة العالية فى سنة ١٩٣٨ . وبعد فترة من الزمن أكثر من ست سنوات لأمر أراده الله وقدره التحقت بتخصص التدريس ومدته عامان . ودرست فيه علم التربية وتاريخها والتربية العملية . وعلم النفس . والخط العربى ، والرسم النظرى ، ثم أعطيت فى نهايته شهادة العالمية (بكسر اللام) مع إجازة التدريس فى سنة ١٩٤٧ م ، وفى هذه السنة نفسها عينت إماماً ومدرساً بزاوية على الفيومى بالمغربلين بالقاهرة . ومكثت فيها مدة تسعة أشهر ، ثم عينت مدرساً للغة العربية بالتعليم الحر ثم بالتعليم الأميرى . ومكثت فيهما سنتين وثمانية أشهر .

وفى أول شهر نوفمبر عام ١٩٥٠ م عينت مدرساً بالأزهر الشريف عقب نجاحى فى مسابقة أزهرية للتدريس ، وكم كان سرورى حينما عينت مدرساً به ؛ لأن هذا التعيين قد صادف هوى كبيراً فى نفسى ، ورغبة طالما كانت تتردد بين جوانبى وضلوعى . ومكثت مدرساً للعلوم الدينية والعربية أكثر من عشرين عاماً بالمعاهد الأزهرية (معهد سوهاج ، ثم معهد بنها . ثم معهد البعوث الإسلامية) والمعهد العلمى بمدينة عنيزة بنجد . والمعهد الدينى بمدينة مقديشو عاصمة الصومال ، ومعهد الدراسات الإسلامية بها أيضاً .

وفى شهر مارس سنة ١٩٦٨ م عينت مفتشاً بالأزهر . ولا زلت أشغل هذه الوظيفة حتى الآن .

مؤلفـــاتى :

١ ـ الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معاً فى العربية . وقد طبعت فى عام ١٩٥٢ م وهى تقع فى ٩٦ صفحة .

٢ ـ كتاب الدار البرزخية من الموت إلى البعث ـ وهو الذى بين أيدينا ويقع فى ١٧ ملزمة .

٣ ـ كتاب المرشد فى مصطلح الحديث . وهو لا يزال إلى الآن مخطوطاً لم يقدم للطبع .

ومما من الله به على أن رزقني بخمسة أولاد مطيعين مستقيمين . ثلاثة ذكور ، وبنتين . وكلهم من سيدة مثالية فاضلة . وزوجة صالحة . قد صدق فيها وفى أمثالها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة . إن أمرها أطاعته . وإن نظر إليها سرته . وإن أقسم عليها أبرته . وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله) .
(رواه ابن ماجه عن أبى أمامة)

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

غرة شهر رمضان المعظم سنة ١٣٩٣ هـ

٢٨ من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٣ م

محمد عبد الظاهر خليفة عوض

* * *

المراجع

القرآن الكريم

١ – الصحيحان فى السنن للبخارى ومسلم .

٢ – السنن الأربع لأبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجه .

٣ – نيل الأوطار للشوكانى .

٤ – مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٥ – شرح الصدور للسيوطى (من أهم المراجع) .

٦ – مختصر التذكرة للشعرانى (من أهم المراجع) .

٧ – تخريج أحاديث الإحياء للعراقى .

٨ – نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى .

٩ – الروح لابن القيم (مرجع مهم جداً) .

١٠ – سر الروح للبقاعى .

١١ – وسائل الرحمات للحلوانى (مهم) .

١٢ – هادى الأرواح لمصطفى الطير .

١٣ – شرح الجوهرة فى التوحيد لعبد السلام .

١٤ – حاشيتا الباجورى والأمير .

١٥ – الخريدة وشرحها فى التوحيد للدردير .

١٦ – مذكرات فى التوحيد لحسين مكى .

١٧ – كتب أخرى فى التوحيد لا أذكر أسماء مؤلفيها .

١٨ – التفسير للجمل والصاوى والفخر وغيرهم .

١٩ – الإحياء للغزالى .

٢٠ – الإبداع لعلى محفوظ .

٢١ – مجلة نور الإسلام (الأزهر) .
٢٢ – مجلة الإسلام ، ومجلة الإرشاد .
٢٣ – العبادات فى الفقه الحنفى .
٢٤ – تنوير القلوب للكردى .
٢٥ – أسد الغابة لابن الأثير .
٢٦ – نور اليقين للخضرى .
٢٧ – نهج البلاغة للإمام على .
٢٨ – جواهر الأدب لأحمد الهاشمى :
٢٩ – كتب أخرى فى الأدب وغيره .

* * *

الأعلام

* * *

فهرس الكتاب

القسم الثانى

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

القسم الثالث

القسم الرابع

* * *